رواية

# دليل القاتل المحترف لتنظيف البيوت

أدب أيسلندي حديث

هالجريمر هيلجاسون

ترجمة: كريم كيلاني

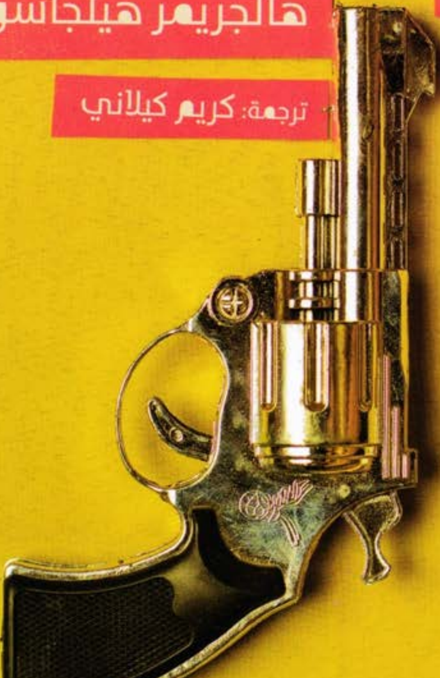

مكتبة المحروسة 1349

# دَليلُ القاتِل المُحتَرِف لِتَنظيفَ البيوت

مكتبة | 1349

عنوان الكتاب: دَليلُ القاتِل المُحتَرِف لِتَنظيف البيوت
Hitman's Guide to Housecleaning
المؤلف: هالجريمر هيلجاسون Hallgrímur Helgason
ترجمة: كريم كيلاني
مراجعة لغوية: محمود شرف
إخراج داخلي: رشا عبدالله

مركز المحروسة
للنشر و الخدمات الصحفية و المعلومات

قطعة رقم 7399 ش 28 من ش 9 - المقطم - القاهرة
ت، ف:- 002 02 28432157

mahrousaeg
almahrosacenter
almahrosacenter
www.mahrousaeg.com
info@mahrousaeg.com
mahrosacenter@gmail.com

رئيس مجلس الإدارة: فريد زهران
مدير النشر: عبدالله صقر

رقم الإيداع: 16055/ 2022
الترقيم الدولي: 978-977-313-916-2

جميع حقوق الطبع والنشر باللغة العربية
محفوظة لمركز المحروسة
2022

This book has been translated with a financial support from:

ICELANDIC LITERATURE CENTER

Copyright © Hallgrímur Helgason, 2008
Title of the original Icelandic edition: Tíu ráð til að hætta að drepa fólk og byrja að vaska upp
Published by agreement with Forlagið, www.forlagid.is

رواية

مكتبة | 1349

# دَليلُ القاتِل المُحتَرِف لِتَنظيفِ البيوت

هالجريمر هيلجاسون

ترجمة
كريم كيلاني

مركز المحروسة
للنشر و الخدمات الصحفية و المعلومات

الطبعة الأولى 2022

13 9 23

مكتبة

t.me/soramnqraa

دار الكتب والوثائق القومية

**بطاقة فهرسة**

**فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية**

هيلجاسون، هالجريمر

دَليلُ القاتِل المُحترِف لِتَنظيف البيوت/ هالجريمر هيلجاسون؛ ترجمة/ كريم كيلاني.-ط1

القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2022

325 ص؛ 14.5×21.5 سم

تدمك 978-977-313-916-2

1 - القصص الايسلندية

أ- كيلاني، كريم (مترجم)

ب- العنوان

839.693

رقم الإيداع 2022/16055

مكتبة
t.me/soramnqraa

# 1
# توكسيك

## 2006/05/15

سـمَّتني والـدتي توميسـلاف، وكان والـدي مـن بوكشـيتش[1]. بعـد أسـبوعي الأول في الولايـات المتحـدة، أصبَحـتُ أُدعَـى تـوم بوكسـيك، وهـو مـا تحـوَّل فيـما بعـدُ إلى "توكسـيك" [2]. يُفـسِّر ذلـك مـا وصلـتُ إليـه اليـوم.

أحيانًـا لا أعـرف إن كنـتُ أنـا مَـن سـمَّمتُ اسـمي أم أن اسـمي هـو مـا سَـمَّمني، عـلى كل حـالٍ أنـا أتسـبَّب في الخطـر، أو هـذا عـلى الأقـل مـا تقولـه مونيتـا، حبيبتـي حـادَّة المـزاج، إنهـا مُدمِنـة عـلى الخَطَـر. عاشـت مونيتـا في بـيرو حتـى قُتِـل أهلهـا في تفجـيرٍ انتحـاريٍّ، ثـم انتقلـت إلى الولايـات المتحـدة وعـثَرَت عـلى وظيفـة في وول سـتريت. صـادَف أن يكـون

(1) Bokšić: قرية صغيرة في شرق كرواتيا.
(2) Toxic: مُؤذٍ أو سامٌ.

أولُ يـومِ عمـلٍ لهـا هـو 11 سـبتمبر، وفي أول رحلـة لنـا معًـا إلى كرواتيـا شَـهِدَت جريمتَـيْ قتـل، عـليَّ أن أُقـرَّ بـأن واحـدة منهـما ارتكبتهـا بنفسـي، أمَّـا الأخـرى فكانـت خطـا. في الحقيقـة اعتقـدتُ أن المشـهد رومانسـيًّا.

كُنَّـا نجلـس في مطعـم ميركـو عندمـا أصيـب الشـخص الجالـس بجـوار طاولتنـا برصاصـةٍ في رأسـه، تَنـاثَـر القليـل مـن الدمـاء في كأس نبيـذ مونيتـا، لكننـي لم أخبرهـا... كان نبيذهـا أحمـر عـلى أيَّـة حـالٍ. تقـول إنهـا ليسـت مهووسـةً بالعنـف، لكننـي مـا زلـتُ أعتقـد بأنهـا انجذَبَـت لي بسـبب طبيعتـي المؤذيـة، تعتمـد علاقتنـا عـلى قصـف القنابـل، الجنـس بيننـا متفجِّـرٌ عـلى الـدوام.

حبيبتـي مونيتـا قوامهـا جـذَّاب، ويمكـن ملاحظتهـا بسـهولة، يتفحَّصهـا الرجـال دائمًـا، إنهـا قصـيرة كأغلـب نسـاء أمريـكا الكسـلاوات[1] والبعـض قـال عنهـا إنهـا بدينـة، لكـن هـؤلاء الأشـخاص لم يتسـنَّ لهـم فتـح أفواههـم بعـد مـا قالـوه. عندمـا تمـشي في الشـارع أسـمع نهدَيْهـا يتحـرَّكان في طـربٍ، إنـه صـوتي المُفضَّـل في أمريـكا. يمكـن للآخريـن أيضًـا أن يسـمعوه لـو كانـت ترتـدي قميصهـا البرتقـالي الخَشِـن.

عندمـا رأيتهـا لأول مـرة شـعرتُ أننـي رأيتهـا مـن قبـل، قبـل أن أتزوجهـا سأسـألها إن كانـت مثَّلَـت مـن قبـلُ في فيلـمٍ إباحـيٍّ أو إن كنـتُ رأيتهـا مـن قبـل في إحـدى الصُّـوَر المُصغَّـرة عـلى الإنترنـت.

مـا يُميِّـز حبيبتـي مونيتـا هـو أن أهلهـا ماتـوا، فـلا حَـماةَ لي ولا صَهـر، لا احتفـالات بعيـد الشـكر أو أعيـاد ميـلاد للأطفـال أو أفـراح يتعيَّـن عـليَّ حضورهـا، أي أن تقـف أعـزلَ في حديقـةٍ سـخيفةٍ تحـت حـرارةٍ قائِظَـةٍ، وخلفـك خمسـون شـخصًا.

---

(1) يقصد أمريكا اللاتينية.

نعم، تنجذب مونيتا روزاليس إلى الرجال المُسلَّحين، كانت تُواعِد قبلي طليانيًّا من لونج أيلاند (بالنسبة لنا أصبحت "إيطالي" "طلياني" بعدما أطلق نيكو -خطا- رصاصة على الـ "إي" في لافتة مُعلَّقة على إحدى مطاعمهم، ورغم أن سيرته الذاتية أقلُّ من سيرتي إلَّا أنه يمكن اعتباره زميلًا.

أنا مَن يطلقون عليه بلغتنا "قاتلٌ مأجور"[1] في نيويورك يقولون "قاتل مُتعاقِد"، أو "قاتل محترف". الفضل يرجع إليَّ في إبقاء دُور الجنائز مشغولةً منذ وصَلتُ إلى نيويورك قبل ستِّ سنواتٍ، حتى إنني عقَدتُ اتفاقًا مع إحداها، وأخبرت ديكان أن عليه شراء دار جنائز سرًّا؛ إذ يمكننا أن نجني مالًا أكثر من ضحايانا الموتى... اضرب واهرب إلى البنك!

دعوني أخبركم عن وظيفتي، أعمل طوال الأسبوع في سماور زغرب، مطعمنا الجميل في شرق شارع 21، يناسبني تمامًا مُسمَّى "نادل"[2]؛ إذ إنني أقضي أغلب وقتي منتظرًا الوظيفة التالية؛ وهذا قد يثير المَلَل بشدَّة.

إن الحيوان البلقاني بداخلي، وهو روحي، يشعر دومًا بالجوع لفريسة، يصيبني الارتباك إن مرَّت ثلاثة أشهر دون أن أُطلِق النار. سنة 2002 كانت أقلَّ السنوات عملًا؛ إذ أصَبتُ هدفين وأخطأتُ الثالث. ما زلتُ أشعر بالندم على ذلك الهدف الضائع؛ ففي هذا العمل يُعدُّ عدم إصابة الهدف خطا قاتلًا؛ فقطعًا ليس من مصلحتك أن تُصادِفَ أحد جَرحاكَ المجانين يتسوَّق لشراء الرصاصة التي ستقتلك.

---

(1) placeni ubojica: بالكرواتية في الأصل.

(2) Waiter: يقصد بها "منتظر".

يميـل النـاس إلى الانزعـاج قليـلًا إذا لاحظـوا أنـك تحـاول قتلهـم. لكـن اسـمحوا لي أن أؤكِّـد لكـم أن الهـدف الـذي أخطأتـه في 2002 كان أوَّلَ إصابـة أُسـدِّدها في عـام 2003. حاليًـا لا أضيِّـع رصاصـة أبـدًا.

إليكـم الأمـر: أنـا مـا يطلقـون عليـه ثـلاثي عضـلات البطـن، قيـل لي إن هـذا سـجلًا قياسـيًّا في مانهاتـن، شـخص طليـاني وحسـب يُدعَـى بـيروسي نـال لقـب ثنـائي عضـلات البطـن في الثمانينـات، عندنـا كان چـون جـوتي[1] ملـك حـي كوينـز، لكـن لم يَنَـل أحـدٌ لقـب ثـلاثي قبـل توكسـيك.

في الواقـع لا أعتقـد أن الطِّليـان كـما كانـوا في سـابق عهدهـم، فعندمـا تُنتـج أفلامًـا عـن نفسـك أكـثر مـن قيامـك بقتـل النـاس فهـذا يعنـي أن أمـرك انتهـى. في غضـون عشريـن عامًـا سـيكون لدينـا مسلسـل كـ "آل سـوبرانو": "آل سليشـكو"[2]، لكننـي حينهـا سـأكون مثـل "زنـاد مرتعـش"، أنتـشي بالڤياجـرا، وأتشـبَّه بالنسـاء.

اعتـدتُ أن أقـول لمونيتـا إن كَـونَ المـرء ثـلاثيَّ عضـلات البطـن يتعلَّـق بالبيئـة، وأنـا منـاصر للبيئـة، فلسـت أرغـب في إضافـة رصاصـة لا لـزوم لهـا في تلـك المدينـة المزعجـة في الأصـل، هكـذا أخبرتهـا في لقاءنـا الثالـث، بعدمـا سـألَتني للمـرة الثالثـة عـن عمـلي. اسـتغرق الأمـر أربعـة أسـابيع مـن المكالمـات الهاتفيـة واقتحـام وجيـز لبيتهـا حتـى أحصـل عـلى اللقـاء الرابـع.

عفـوًا... القيـام بعضـلات البطـن السـتة يعنـي أن سِـتَّ طلقـات متواليـات تـؤدِّي إلى جنـازة، سِـتُّ رصاصـات، سِـتُّ جنـازات، أرامـل ينتحـبن، ورود... كلُّ شيء.

---

(1) چـون چوزيـف جـوتي چونيـور (1940- 2002): رجـل عصابـات أمريـكي ورئيـس عائلـة مافيـا جامبينـو في نيويـورك.

(2) أكبر عَرَّاب للمافيا في كرواتيا، مات أثناء تبادُلٍ لإطلاق النار في زغرب عام 2002.

بسجلٍّ كهذا كان يجدر بديكان أن يقوم بترقيتي منذ وقتٍ طويل، لكن هذا الوغد عنيدٌ كمؤخِّرة بلا ثقب، لاعق إصبعٍ لعين هكذا أطلقنا عليه لأنه يلعق أصابعه القصيرة السمينة في نهاية كل وجبة، لكن كل ما يقوله هو: "توكسيك نادل ماهر... إنه لا يغفل طلب أبدًا".

سيكون من دواعي سرورنا اتِّباع تعليمات بيليتش عندما يتعلَّق الأمر بوضع حَدٍّ للاعق إصبع.

نحاول أن نحافظ على أ.ق.أ، أو "اختبئ قدر الإمكان" قدر ما أمكننا؛ إذ نقوم بعملنا. هذا يعني أنني عادةً ما أحاول تسوية الأمر في خصوصية غرفة فندق الشخص أو سيارته أو منزله. ويُفضَّل بدون أي شهود. إذا لم ينجح ذلك، فغالبًا ما ندعو الضحية إلى مطعمنا. نكتة "العشاء الأخير" مُتعارَفٌ عليها.

بعد العشاء أحضر له فاتورة المائدة بأكملها، وهو مبلغ مرتفع للغاية لدرجة أنهم يفضِّلون دائمًا أن يدفعوا الثمن بحياتهم. لدينا غرفة خاصة في الخلف نأخذهم إليها، نطلق عليها الغرفة الحمراء، بالرغم من أنها خضراء.

كما قد تكون خمَّنتَ، لا يوجد زبائن دائمون في سماور زغرب.

بالمناسبة، اسم المكان غبي تمامًا لأن "السماور" هي آلة شاي روسية ولا علاقة لها بثقافة كرواتيا، لكن ديكان يعتقد أنها ذكية حقًّا، يحب أن يقول: "التَّصرُّف الغبي هو أفضل تمويه".

على الرغم من أنني ما زِلتُ أنتظر تلك الترقية اللعينة، لكنني في الحقيقة لا يسعني أن أشتكي حقًّا؛ المال جيد، والطعام ممتاز بالطبع. لديَّ شقتي الرائعة على ناصية شارعَيْ سبرنج ووستر، مونيتا على استعداد للمضاجَعة من أجل مَوقع كهذا، وأنا أحب ضوضاء

نيويورك[1]، على الرغم من أنني أفتقد الوطن الأم اللعين كل يوم بحقّ الجحيم.

لكن في وقت سابق من هذا العام، عثرتُ على كابل ذهبي، ووجَدتُ أنه يمكنني مشاهدة HRT[2] وهايدوك سبليت[3] على شاشتي المُسطَّحة في المنزل. تتصل والدتي مرَّةً في السنة لتسأل متى سأعود إلى الدراسة. هذه هي العامِّيَّة الكرواتية التي تعني: "لقد نَفَدَ المال"، بمجرَّد إنهاء المكالمة، أُرسِل لها 2000 دولار عبر الإنترنت. ما يكفي لسنة أخرى.

تعيش بمفردها مع أختي الصغيرة السَّمينة. قُتِلَ أبي وأخي في الحرب. لقد جئتُ من عائلة من الصَّيَّادين. كان جَدِّي حارس تيتو الشخصي، وكان تيتو زعيمَ وطني السابق يوغوسلافيا. توفِّيت يوغسلافيا بعد فترةٍ وجيزة من موته، مثل أرملةٍ عجوزٍ حزينة. أحبَّ تيتو الدِّبَبة، ولا سِيَّما القتلى منهم.

لم تُتَح لي الفرصة مُطلقًا لإطلاق النار على واحد، لكن عندما كنت صغيراً، كان والدي يصطحبني في كثيرٍ من الأحيان لصيد الخنازير. قال "الخنزير البري مثل المرأة، عليك أن تتظاهر بأنَّكَ لا تريد إطلاق النار عليه؛ لذلك نحن فقط ننتظر هنا". كان "منتظرًا" كبيراً، مثلي تمامًا.

أرى نفسي صيَّادًا. أصطاد الخنازير من أجل لُقمَة العيش.

(1) Noisy york: يقصد بها مدينة نيويورك.

(2) Hervatska Radio and Television إذاعة وتلفزيون كرواتيا.

(3) HNK Hajduk Split نادي كرة قدم كرواتي تمَّ تأسيسه سنة 1911.

# 2
# المقضيُّ عليه

## 2006 /5 /5

لكنني الآن في ورطة. لأول مرة في مسيرتي المهنية التي لا تشوبها شائبة. أركب سيارة الشركة، وأعبر جسر ويليامزبرغ تاركًا مانهاتن خلفي، ومونيتا في أذني، وجسدها في ذهني، وعيني على ظهر سائق رادوقان الخنزير. ستواجه الرصاصة صعوبةً مع هذا الرأس. تلقي شمس مانهاتن بعد الظُّهر بظِلالِ ناطحة سَحابٍ على سطح النهر.

"أوه، حبيبي. سأفتقدك" تهمس مونيتا من خلف مكتبها في الطابق السادس والعشرين من برج ترامب. قبل عامين بدأت في الطابق الأرضي. ومع ذلك فهي لم تتخطَّ درجةَ "المبتدئ". هكذا هي مونيتا الخاصة بي، لا يمكنك أن تكرهها. صوتها نصف هندي، لكن اللهجة كلها من بيرو. كانت والدتها من بومباي، ولديها بَشرةُ زيتِ الزَّيتون

الهنـدي، وهـو ملمـسٌ رقيـق يمكـن أن يدفعـك بطـول الطريـق إلى القُطـب الشـمالي في عربـة جولـف يقودهـا الرئيـس بـوش.

"أنـا أيضًـا" أجبـتُ مـرة أخـرى، لسـتُ متأكِّـدًا تمامًـا مـا إذا كانـت تلـك اللغـة الإنجليزيـة التـي أتحـدَّث بهـا مثاليـة بنسـبة مائـة بالمائـة. لكنـي أعتقـد أننـي عـلى حَـقٍّ. سـأفتقد نفـسي، سـأفتقد حيـاتي الرائعـة في المدينـة العظيمـة.

أنـا ذاهـب إلى المنفـى. سـأختفي لمـدة سـتة أشـهر عـلى الأقـل... أقـرأ تذكـرة طائـرتي: نيويـورك- فرانكفـورت- زغـرب. مُوقَّعـة باسـم ديـكان. سـأعود زحفًـا تحـت طاولـة مطبـخ أُمِّـي وفي فمـي مُسـدَّس. لقـد أخفقـتُ، أو شـخصٌ مـا قـضى عـليَّ.

العمليـة رقـم 66 لم تنجـح. لا تسـيئوا فهمـي، صوَّبـتُ الرصاصـة إلى رأس الرجـل آمِنـةً مُعافـاةً، ولكـن كان هنـاك بعـض العواقـب الخطـيرة. تَبـيَّن أن الرجـل البولنـدي ذا الشـارب هـو رجُـلُ مكتـبِ التحقيقـات الفيـدرالي. مـا كان مـن المفـترض أن تكـون جريمـةَ قتـل مُشمِسـة في وضـح النهـار اسـتحالت كابوسًـا. أخذتـه إلى مكـبِّ النفايـات في كوينـز ووضَعتُـه بعيـدًا في كومـة مـن سراويـل ليفـي مزيَّفـة، ثـم غطَّيـت وجهـه القبيـح بمظلَّـة بيبـسي ماكـس القديمـة.

في طريـق عـودتي إلى السـيارة، لاحَظـتُ أن بعـض أصدقائـه وصلـوا متأخِّريـن جـدًّا لجنـازة بـلا تابـوت. قفـز قلبـي الكـرواتي القديـم مـن موسـيقى الڤالـس إلى موسـيقى ديـث ميتـال[1]، واسـتدرتُ بسرعـة. خـلال الدقائـق العـشر التاليـة، ركضـتُ مثـل لاعـب الحواجـز في أولمبيـاد السِّـمنة، عـبر نفايـات حـوالي سـتة آلاف أسرة نوويـة في نيويـورك، مُتَّجِهًـا إلى النهـر، وأخـيرًا بحثـت عـن ملجـأ في حاويـة قديمـة صدئـة مليئـة بدُمـى دِببَـةٍ

---

(1) Death Metal: فـرع مـن موسـيقى الميتـال تسـتخدم فيـه عـادة أصـوات مشـوهة للجيتـار ونغـمات منخفضـة.

قديمة، الغريب أنها تفوح منها رائحة الجبن المشوي. طَوَّق الأوغاد الفيدراليُّون المنطقة؛ لذلك انتهى بي الأمر بقضاء الليلة معهم.

كانت ليلة بلا نوم في أفق مانهاتن والحاوية الباردة والدِّبَبة ذات الرائحة الكريهة. بالنسبة للمَعِدة الفارغة، تشبه رائحة الطعام العِطرَ بالنسبة للانتصاب. في ساعات الصباح، كان جميلًا بعض الشيء أن ترى الغرف في مبنى الأمم المتحدة تضيء، الواحدة تلو الأخرى- وتقلِّب مياه النهر الشرقي الجارية انعكاسها.

كان ذلك قبل شروق الشمس. أعتقد أن كل أُمَّة على وجه الأرض لها مكتبها الخاص في المبنى، وقد بُرمِجَت الأضواء في كل غرفة لتستمرَّ في نفس الوقت الذي تشرق فيه الشمس في البلد الذي تنتمي إليه.

شاهدت 156 شروقًا في تلك الليلة، وقبل كسر رقم 157 كنتُ في النهر. قادني تيَّارُ الجليد البارد إلى مكبٍّ مختلف. كان أشبه بموقع إلكتروني، مليئًا بالخطوط وكابلات الإنترنت. في مصبِّ نفق ميدتاون عثرتُ على سيارة أجرة. واجه السائق مُشكلةً في حقيقة أن ملابسي كانت مُبلَّلةً بالكامل، لكنَّني أخرجتُ مُسدَّسي وجَفَّفتها في لحظة.

توكسيك يسافر تحت اسم إيجور إليتش. لقد وُلِدتُ في سمولينسك الآن، في عام 1971. لقد وُلِدتُ في كل مكان. ذات مرَّة كنت أحمل جواز سفر ألمانيًّا مَنَحني طفولةً سعيدة جدًّا في العاصمة بون آنذاك. حتى إنني بذلتُ الجهد -في طريقي عبر وادي الراين- لاختراع بعض ذكريات الطفولة المثالية.

عمل الأب ديتر بَوَّابًا في السفارة الروسية، وكانت الأم إلسي طاهيةً في السفارة الأمريكية. كل ليلة كانت حربًا باردة، وأنا أُمثِّل برلين، جدار بين عينيَّ. على الرغم من أنني لست مُمثِّلًا، لكن لا أمانع الحصول على حياة جديدة من حين لآخر.

في الواقـع، لطالمـا اسـتمتعتُ بهـذا الجانـب مـن عمـلي، حيـث يمكنـك أن تحصـل عـلى اسـتراحة مـن نفسـك. باسـتثناء عطلـة نهايـة الأسـبوع كـصربيٍّ في عـام 1999. ثـم شـعرت حقًّـا بالرغبـة في قتـل الرجـل الـذي أصبحـتُ عليـه. ولكـن عـلى الرغـم مـن أنهـم وُلِـدوا في مـدن مختلفـة، إلَّا أنهـم عـادَةً مـا يسـتخدمون نفـس العـام، العـام الصحيـح: 1971. وُلِـدتُ قبـل يـومٍ واحـد مـن فـوز نـادي هايـدوك بالبطولـة أخـيراً بعـد حـوالي عشريـن عامًـا مـن الانتظـار. اعتَقَـد والـدي المتعصِّـب لكـرة القـدم أننـي كنـتُ فـألَ خـيرٍ، ووصفنـي بــ "البطـل".

يشـقُّ الطريـقُ السَّريـعُ المسـافةَ عـبر بروكلـين. أُلقـي نظـرة عـلى جميـع الإعلانـات بعينـين شـبه دامعتـين. أنـا فقـط لا أريـد مغـادرة هـذه المدينـة. مَرَرنـا بلوحـة زرقـاء كبـيرة: "أخبـار شـاهد عيـانٍ في السـابعة عـلى شـبكة أي. بي. سي نيويـورك" عـلى مـدار ثلاثـة أيـام متتاليـة كان وجهـي هنـاك، معـروف في دوائـر "العُصبَجيَّـة" ببسـاطةٍ باسـم توكسـيك. لكنهـا لم تكـن أكـثرَ مـن ومضـة. لا توجـد قصـة كبـيرة، مثـل تلـك التـي رُوِيَـت عـن القَتَلة الجماعيِّـين. أصبـح هـؤلاء الرجـال أسـماء مألوفـة في يـوم واحـد، بينـما يتـمُّ ذِكـرُ الرجـال والنسـاء الصادقـين والمجتهديـن في صناعـة الاغتيـال بشـكل عابـر. الأُمَّـة التـي تقيـس كلَّ شيء بالمـال تهـادن الهـواةَ بـدلًا مـن المحترفـين. أعتقـد أننـي لـن أفهـم هـذا البلـد تمامًـا. أنـا أحـبُّ نيويـورك، لكنـي لا أفهـم الباقـي.

سرعـان مـا تضاءَلَـت الضواحـي لندخـل أرض الإقـلاع والهبـوط. جـواز سـفر إيجـور موجـود في جيـب صـدري، مثـل حقيبـة جوتـشي المصنوعـة في الصـين. وخلفـه يـدقُّ قلبـي طبـول الشَّـك.

يقـول رادوڤـان خـارج صالـة المغـادرة الدوليـة: "مـع السـلامة!"[1]. منَعتُـه مـن مرافقتـي إلى الداخـل، إن نظارتـه الشمسـية تـكاد تصيح لمكتب

(1) Doviđenja: بالكرواتيَّة في الأصل.

التحقيقات الفيدرالي مثل شاذٍّ على صفيحٍ ساخن. الغباء ليس قناعًا للأغبياء. حلَقتُ كلَّ شَعري هذا الصباح، وبذَلتُ ما بوسعي لارتداء الملابس الروسية: سُترَة جِلديَّة سوداء، وأبشع سروال چينز في الخزانة، وأحذية ركض من طراز بوما بوتين.

قبل أن أغادر، استدَرتُ في المدخل وودَّعتُ شاشتي المسطحة بقُبلَة إصبع. سألتني مونيتا إذا كان يمكنها رعاية بيتي أثناء غيابي، لكنني رفضتُ. لا ثِقةَ قويَّةً بيننا حتى الآن. وتلك القنبلة المستثارة لن تقضي ستَّةَ أشهر دون أن تنفجر، ولستُ أرغب في وغدٍ ما من بيرو يُجفِّف عَرَقَه القذر بعد ممارسة الجنس على مَناشِفي البرادا.

يسير تسجيل الوصول بسلاسة. شقراء ضحلة ذات غمازات عميقة تُخبِرني ألّا أقلق بشأن حقائبي. سأراهم مرَّةً أخرى في زغرب. يبدو أن لديهم رحلات مباشرة من مدينة نيويورك إلى زغرب للأمتعة فقط. تستلزم الهجرة ضَبطَ النَّفْس. رسَمتُ على وجهي تعبيرات إيجور بينما كان الضابط مُعجَبًا بأعمالي اليدوية الصينيَّة.

ثم أمرني اثنان من رجال الأمن الفخورين أن أُخرِج الهاتف والمحفظة والعملات المعدنية، سترة وحزام وحذاء. لمحوا شيئًا بين عملاتي المعدنية، فانتقل قلبي من موسيقى السامبا إلى موسيقى الروك.

تبيَّن أن أبشع سراويلي يحتوي على رصاصة وحيدة، ذهبية جميلة، 9 ملم، من مسدَّس براوننج هاي باور شبه الآلي، والذي قدَّمه لي دافور لدى وصولي نيويورك.

"ما هذا؟ هذه رصاصة! أليس كذلك؟" سألتني امرأة لاتينية صغيرة من لونج آيلاند بالزِّيِّ الرسمي بلهجةِ مَن يعمل في مركز تسوُّق.

"آه... نعم. هذا، هذا تذكار" أجبتُ.

"تذكار؟".

"إيـه، نعـم. لقـد... تـمَّ نَزعُهـا مـن رأسي" حاوَلـتُ أن أبـدو كـما لـو أن الـشيء تسـبَّب في ضررٍ دائـمٍ لي.

تقتنـع وتسـمح لي بالذهـاب بعـد إعطـائي تدليـكًا لكامـل الجسـم. لـن أعتـاد هـذا السـفر منـزوع السِّـلاح، ليـس مـن طبيعـة الرجـل عبـور البلـدان أو المحيطـات بـدون سـلاح. سـخيف أمـر 11 سـبتمبر، يجعلنـي أرغـب حقًّـا في إطـلاق النـار عـلى بـن لادن. لكنـي لا أسـتطيع؛ لأنَّنـي غـير مسـموح لي بحمـل مسـدس عـلى مـتن الطائـرة.

لقـد بـدأت أتطلَّـع إلى زغـرب عندمـا ظهـر اثنـان مـن الفيدراليـين فجأة وشـقَّا طريقهـما نحـو الواقفـين عنـد البوابـة. التذاكـر في متنـاول يـدي. أنـا آخِـر مَـن في الطابـور. لا أحـد بوسـعه إنـكار حقيقتهـم، أسـتطيع أن أشـمَّ رائحـة الـ "سرِّيَّـة" عـلى طـول الطريـق مـن چـيرسي مثـل كلـب محمـوم. إنهـم يرتـدون السـترات والنظـارات الشمسـية المعتـادة مـن إتـش أنـد إم، وكلهـا مربوطـة في تسريحـة شـعر المباحـث الفيدراليـة الكلاسـيكية القادمة مبـاشرة مـن العاصمـة. المظهـر نوعًـا مـا "رسـمي غـير رسـمي"، لامـع جـدًّا ومُجعَّـد بعـض الـشيء، مثـل مايـكل كيتـون في فيلـم "تَعَدُّديَّـة"[1].

اختبـأتُ عـلى الفـور خلـف الـرُّكَّاب المنتظريـن، والتقطـتُ حقيبتـي، مبتعـدًا عـن البوَّابـة في الاتجـاه المعاكـس للعُمَـلاء السريـين. مـع السـلامة يـا زغـرب. قلبـي ينبـض، لكنـي لا أسـمح لنفـسي بالنظـر إلى الـوراء. لا تنظـر إلى الخطـر أبـدًا! هكـذا اعتـادت مامـا أن تقـول.

أمـشي لمـدة سِـتٍّ دقائـق، وقـد تحوَّلَـت جمجمتـي الحليقـة إلى نافـورة عـلى الطريـق. أروقـة المطـار لا حـصر لهـا. يحـدِّق النـاس في وجهـي وكأنني

---

(1) Multiplicity: فيلم أمريكي أنتج عام 1996.

أحمل "صدَّام" من خصيته في حقيبتي. أخيراً لمحتُ لافتة تشير للحمام، فاتَّجهتُ سريعًا إلى اليسار. داخل الحمام التقطتُ أنفاسي وجفَّفتُ رأسي. وبينما كانوا يُجفِّفون أيديهم، نظر إليَّ ثلاثة رجال أعمال كما لو كنتُ تاجِرَ أسلحةٍ روسيًّا أنتظر زبونًا. أخيراً، عُدتُ إلى البحر المفتوح، لكنَّ مياهَه لم تكن صافية.

دخلتُ الحمَّام بسرعة عندما لمحتُ أحدَ أشباه مايكل كيتون. أعلم أنه لم يرني رغم ذلك. كان يمشي.

أمضي إلى أحد المراحيض وأتظاهر بأنني أفعل ما أفكر فيه. ماذا يمكنني أن أفعل الآن بحق الجحيم؟ لا يمكنني العودة إلى بوَّابتي. مخاطرة كبيرة. سينتظرني آل كيتون هناك، يبتسمون كأقارِبَ سُخَفاء. لكن ماذا بعد ذلك؟ يأتيني الجواب على شكل حزام، طرف حزام يُقحِم نفسه أسفل الجدار بين المرحاض التي أشغله والذي يليه. أنتظر لحظات قليلة وأدعو الله. أخيراً انتهى صاحب الحزام وترك مرحاضه. وإذ أفتح الباب المنخفض، تلتقي أعيننا في المرآة فوق صفِّ الأحواض. يبدو أن الله استجاب لي، إنه يشبه إيجور تمامًا، صاحب الحزام حليق الرأس حتى العَظْم. ها هما مسافران أصلعان وبدينان، يبدوان متشابِهَيْن بشكلٍ مُدهِش، على الرغم من أن صاحب الحزام يرتدي نظَّاراتٍ غير مرئية تقريبًا، وهو أكبر قليلًا من إيجور. لكنه لن يكبر كثيراً الآن. أخرجه إيجور بلكمة شبه صامتة في مؤخرة رأسه، مباشرة في بقعة چي المهبليَّة. تسقط نظَّارته في الحوض بينما يصطدم رأسه بالمرآة. لا يوجد دم، الرفيق ثقيل جدًّا، حتى أكثر ثِقَلًا مني، لكن ما زلت أتمكَّن من نقله إلى نفس المرحاض الذي تغوَّط فيه للمرة الأخيرة، وأُغلِق الباب خلفي.

أفحص نبضه. لا ضربات قلب.

مكتبة
t.me/soramnqraa

يتدفـق الأدرينالـين بشـكل أبطـأ، أشـعر بالرعـب لأننـي أدركـتُ أن عمليتـي رقـم 67 بطلهـا رَجُـلُ ديـن. إنـه يرتـدي حـول رقبتـه ياقـة كهنوتيَّـة بيضـاء، بالإضافـة إلى قميـص أسـود، وسـترة سـوداء، ومعطـف أسـود. بـشرة بيضـاء. أبحـث عـن تذكرتـه وجـواز سـفره ومحفظـة، والآن! توكسـيك إيجـور أصبـح لديـه اسـم جديـد: القِـسُّ ديڤيـد فرينـدلي[1]. وُلِـدتُ في ڤيينـا بولايـة ڤيرجينيـا، في 8 نوفمـبر 1965.

يمكننـي القيـام بذلـك. لم أكـن أميركيًّـا مـن قبـل. إلى أيـن هـو ذاهـب؟ توضِّـح التذكـرة "ريكياڤيـك". تبـدو في أوروبـا. بصعوبـة أنـزع المعطـف والسُّـترة مـن جسـد رجـل الديـن الممتلـئ، ثـم أبـدأ بفَـكِّ أزرار قميصـه، والعَـرَق يتسـاقط مـن رأسي مـرَّةً أخـرى، بينـما أتنفَّـس مثـل الخنزيـر. أتوقَّـف قليـلًا عندمـا أسـمع شـخصًا مـا يدخـل الحـمام وأحـاول مـواراة أنفـاسي الشـديدة خلـف صـوت بولـه. يتبـع ذلـك تدفُّـقٌ سَريـعٌ للميـاه وتجفيـف اليديـن.

بمجـرَّد أن أصبـح المـكان آمنًـا، أخـرج مـن مراحيـض مطـار چـون كنيدي مسـيحيًّا مولـودًا مـن جديـد، مـع هالَـةٍ حـول رقبتـي، ومَهمَّـة جديـدة في الحيـاة: البوابـة 2.

---

(1) David Friendly: ومعنـاه "ديڤيـد وَدود"، وكثـيرًا مـا يسـتغلُّ الكاتـب اسـم "وَدود" لأغـراضٍ فكاهيـة؛ لـذا لَـزِمَ التَّنويـه.

# 3

# طيران أيسلندا

## 2006/05/15

إنـه لأمـرٌ مُدهِـش. أنـا أتحـرَّك عـبر سـماء شـمال المحيـط الأطلـسي بسرعـة الصـوت، ومـع ذلـك فقـد لَحِقَـت بي روحُـه. أشـعر بالقلـق وأنـا مدفـون في إحـدى مقاعـد النافـذة الصغـيرة جـدًّا عـلى مـتن طائـرة مليئـة بالشـقراوات والرِّجـال الطَّيِّبـين. لا أعـرف مـا يحـدث، لكـنَّ سـاقيَّ تقتلانـني تمامًـا. لا بُـدَّ وأن للسـيد "فرينـدلي" صِـلاتٍ مـع السـماء؛ جيـشٌ مـن الملائكة يقرصونـني بأظافرهـم المدبَّبـة ويخنقـون حلقـي بالياقـة الكهنوتيـة.

رجـال الديـن هـم الأسـوأ. مـرة أخـرى أثنـاء الحـرب، أُمِـرتُ ذات مـرَّة بحراسـة كنيسـة في قريـة صغـيرة بالقـرب مـن بلـدة كنـين[1]. كان الـصِّربُ يسـتخدمونها لتخزيـن قنابلهـم، لكننـا الآن نسـيطر على المنطقـة. في صباح

(1) Knin: تقع في كرواتيا.

يـوم أحـدٍ ضبـابي، ظهـر كاهــن القريـة اللعـين فجـأة، وقـال إنـه يريـد إقامـة قُدَّاس. قلـتُ مسـتحيل، لم يُسـمح لأحـد بالدخـول إلى الكنيسـة. كان رجـلًا عجـوزًا ولـه لحيـة بيضـاء وشَـعر أبيـض حـول أذنيـه. بـدا عـلى نحـوٍ مـا راهبًـا أكـثر منـه كاهنًـا. وكان وجهـه مفعـمًا بهـذا الوَهَــن المسـالم. كان النظـر إلى عينيـه بمثابـة نظـرة خاطفـة عـلى الآخـرة: بِرْكتـان صامتتـان في إيڤـروودز. بـدا كـما لـو أنـه مـات بالفعـل، أو أنـه لم يَعُـد يَعبَـأ بـشيء.

ودون أن ينبـس بكلمـة، سـار بجانبـي باتجـاه بـاب الكنيسـة. ركَضـتُ خلفـه وأخبرتـه مـرَّةً أخـرى بكرواتيّـةٍ حـادَّة ألّا يُسـمح لأحـد بدخـول الكنيســة. أصــدرتُ أوامــري. "لا أحــد عــلى الإطــلاق بحــق الجحيــم!" صرخــتُ في أذنــه المُشـعِرَة.

أغلـق عينيـه للحظـة وجيـزة ثـم توَجَّـه نحـو البـاب. حاوَلـتُ دفعـه ببندقيتـي بعيـدًا، لكننـي لم أسـتطع فعـل ذلـك حقًّـا، لم أتمكـن مـن ضرب هــذا العجــوز الــذي كان بمثابـة الـرُّوح الإنسـانية بأَسْرِهـا، أو هـراء تَمِـل مـن هـذا القبيـل.

في صمـت يـوم أحـد مـا، أخـرج مفتاحـه الكبـير وأخـذ يفتـح البـاب الخشـبي. لقـد أمضيـتُ بالفِعـل أربـع سـنوات في الحـرب وأطلقـتُ النـار عـلى أشـخاص أكـثر ممَّـن في شـجرة عائلتـي، لكننـي كنـتُ لا أزال أرتجـف في كل مــكان مثــل السـجائر الرديئـة، والتــي كنــت ســأدخِّنها في وقــتٍ لاحـق مـن ذلـك اليـوم. مـاذا كان يحـدث بحـق الجحيـم؟ لقـد هزمنـي كاهِـنٌ أعـزَلُ في الثمانـين مـن العمـر! كيـف يمكـن لهـذا أن يحـدث؟ عندمـا شـاهَدتُه يختفـي داخـل الكنيسـة، شـعرت بالخـوف في النهايـة وأطلَقـتُ النــار عليــه في ظهــره. ســقط عــلى الأرض الحَجريَّـة، عـلى غـرار مشــهد الصَّلــب، مثـل الرجـل المُعلَّـق عـلى الحائـط المقابـل.

أغلقـتُ البـاب وجلسـت وظهـري بمواجهتـه. كنـتُ سـأبكي لـو لم تُحـوِّل الحـربُ كُلَّ دموعـي إلى حجـارة؛ لذلـك جلسـت هنـاك، وجهـي متيبِّـس،

ألعـن كل شيء: أرضي وأرضـه، وأرضنـا، والحـرب بأكملهـا. جَلسـتُ هنـاك لمـدة حـوالي عشريـن سـيجارة. يـوم أحـد في الجحيـم. لقـد قَتلـتُ رَجُـلَ ديـنٍ، وفوجئـت بشـدَّة بتأثـير ذلـك عـليَّ. لقـد قتَلـتُ رجـالًا أكـبر سِـنًّا مـن قبـل، حتـى لـو كان مـن بينهـم سـيدة، دون أن أعـاني مـن هـذا النـوع مـن المخلَّفـات الأخلاقيـة. ولكـن بطريقـةٍ مـا كان هـذا أكـثر دراماتيكيَّةً بثلاثـة أطنـان -ربمـا بـوزن كنيسـته الصغـيرة- شـعرتُ بقـرونٍ تَشـقُّ طريقهـا بـين خصـلات شَـعري، والذيـل الـذي ينمـو بسرعـة بـين أردافي جعـل جلـوسي مؤلمًـا.

عندهـا بـدأت أفقـد عقـلي. بـدأ شُـعورٌ غريـب ينمـو بداخـلي. شـعرتُ وكأن الانفجـار الكبـير لطَلَقَـة بندقيَّتـي لا يـزال يُـدوِّي داخـل كنيسـة القريـة الصغـيرة، وأن الصـوت الرهيـب كان يملؤهـا ببُـطءٍ، وصـولًا إلى الجـرس. حتـى إننـي سَـمِعتُ الـشيء البرونـزي الدمـوي يتردَّد صـداه بالغضـب، ويملأ رأسي بنفـس الطنـين المعـدني الثقيـل. ثـم سرعـان مـا بـدأت بإطـلاق النـار عـلى جـرس الكنيسـة اللعـين كصبـيٍّ مجنـون يطلـق النـار عـلى الدجـاج. صرَخـتُ في الضبـاب مثـل امـرأة أثنـاء الـولادة.

بعـد حـوالي 15 رصاصـة دقَّ الجـرس، تَـردَّد إطـلاق نـار مـن نـوع مختلـف. ألقيـتُ بنفـسي عـلى العشـب الرطـب، متجنِّبًـا عاصفـة مـن الرصـاص تهـبُّ مبـاشرة مـن الجحيـم. في جـزء مـن الثانيـة، تحطَّمَـت جميـع نوافـذ الكنيسـة إلى أشـلاء.

بعـد لحظـات، انفجـر المـكان المُقـدَّس برُمَّتـه في انفجـارٍ أصفـر كبـير. لَكَـمَ الحـصى ظهـري كمدلِّكـةٍ بأصابـع حديديـة، وتَسـبَّب حجـر زاويـة في انبعـاج خـوذتي. تُرِكـتُ في شـبه إغـماءة. مَـن قَتَـلَ رجُـلًا مـن الكنيسـة تقتلـه الكنيسـة.

لم أدخـل كنيسـةً منـذ ذلـك الحـين. لأسـابيع وشـهور، تعرَّضَـت روحـي الشـابَّة المريضـة للتعذيـب مـن صـورة يسـوع البالـغ مـن العمـر ثمانـين

عامًا، والـذي سـقط مغشـيًّا عليـه عـلى الأرض الحجريـة. في كل ليلـة كنـتُ أدقُّ مسـمارًا حديدّيًـا كبـيرًا في ظهـره وأُخرِجـه مـن قلبـه الـذي انفجـر ليصبـغ عالمـي بالكامـل باللـون الأحمـر.

إنهـم يعرضـون فيلـم "طـرق جانبيـة"[1] عـلى تلفزيـون الطائـرة، وأيضًـا أشـياء قديمـة مثـل سـاينفيلد، وإعلانـات قديمـة مُكـرَّرة لتصفيفـات شَـعرٍ غريبـة الأطـوار. كان سـاينفيلد أمريكيًـا تقليديًّـا في هـذا المسلسـل. شـابًّا مضحـكًا للغايـة، لكـن لم يكـن لديـه حِـسٌّ بالأناقـة. مُبتَـذَل كبذلـة تقليدية مـن تكسـاس. ملابـس رديئـة ونِـكات لذيـذة. هـذا سـاينفيلد بالنسـبة لي. كنـتُ أُفضِّـل أن يكـون العكـس.

يقـرأ الرجـل الجالـس بجـواري إحـدى نسـخ مجلـة "مونسـترز" التـي تبـدو وكأنهـا واحـدة مـن أفـلام العصابـات تلـك (كـم كتابًـا يمكـن أن يُكتـب عـن أولئـك النَّقانـق الصقلِّيِّـين؟). مـن حـينٍ لآخـر يُهَمهِـم بنَعَـم أو لا للرَّجُـل الأكـبر سـنًّا الجالـس في مقعـد الممـر، والـذي لا يَكـفُّ عـن ابتـلاع الحبـوب، لا بُـدَّ وأنهـا مُنشِّـطات؛ إذ يبـدو أنـه لا يسـمح للبائـس بقـراءة كتابـه دون أن يُمطِـرَه بالأسـئلة بلهجـة غريبـة.

اتَّضـح أن الرجـل الـذي يتكلـم أيسـلنديٌّ، والرجـل الـذي يقـرأ لاعـب كـرة سـلة، وُلِـد وترعـرع في بويـز بأيداهـو، ولكنـه الآن ينتقـل إلى شـنايفل سـتيكولمر أو شيء مـن هـذا القبيـل- فريـق صغـير في الاتحـاد الأيسـلندي. آه... نعـم. نسـيتُ أن أذكـر أن هــذه رحلــة طـيران أيسـلندية لغـير المدخِّنـين مـن نيويـورك إلى ريكياڤيـك في أيسـلندا. كانـت هـذه المفاجـأة التـي انتظرتنـي عنـد البوابـة رقـم 2، قـد اتَّخـذ منفـاي منعطفًـا شـماليًّا.

بلمســة مــن ســبَّابتي تتخــلَّى شاشــة الڤيديــو عــن تسريحــة شَــعر ســاينفيلد للحصــول عــلى خريطــة معلومــات: طائــرة حمــراء، بحجــم بريطانيـا تزحـف ببـطء فـوق المحيـط الأطلـسي، وتتجـاوَزُ شـيئًا أبيـض

---

(1) Sideways: فيلم أمريكي أنتج عام 2006.

يقـول الرجـل الثرثـار إنهـا جرينلانـد. أيسـلندا مـن ناحيـة أخـرى تبـدو خـضراء جميلـة. يسـتغرق الشـخص الثرثـار الدقائـقَ العـشر التاليـة لـشرح نظريتــه حــول هــذا الإشــكال: عندمــا اكتشــف الڤايكنــج النرويجيُّــون أيسـلندا قبـل عـام ألـف ميلاديـة، وجـدوا فيهـا رهبانًـا أيرلنديـين، وهـم مَـن أطلقـوا عـلى الأرض اسـمَ جزيـرة، أو أرض المسـيح، فقـد كان يسـوع "عيسـو/ إيسـو" في لغتهـم. ومـع ذلـك، حـوَّل الڤايكنـج اسـمَ المنقـذ إلى "أيـس"، أنـا سـعيدٌ لأنهـم فعلـوا ذلـك؛ وإلَّا كنـتُ سأسـافر إلى كرايسـتلاند.

"موافق، رائع. ماذا عن جرينلاند إذن؟" يسأل لاعب كرة السلة.

"أراد المسـتوطنون الأوائـل أيسـلندا بأكملهـا لأنفسـهم؛ لذلـك أطلقـوا عــلى الأخــرى اســم جرينلانــد، بحيــث تذهــب الموجــة التاليــة مــن المهاجريـن إلى هنـاك وليـس إليهـم. كثـير مـن النـاس يقولـون إنهـا كانـت أوَّلَ خُدعَـة علاقـات عامَّـة في التاريـخ. حقًّـا يجـب أن يكـون العكـس. يجـب تسـمية جرينلانـد باسـم أيسـلندا وأيسـلندا بجرينلانـد".

رائـع. أسـافر باسـمٍ مُسـتعارٍ إلى بلـدٍ باسـمٍ مُسـتعارٍ. الأمـر ليـس سـيئًا للغايـة، لقـد سَـمِعتُ عـن أيسـلندا مـن قبـل.

ذهـب أحـد أصدقـاء ديـكان إلى هنـاك مـرة واحـدة مـن أجـل صفقـة مُربِحـة للغايـة. قـال الليـالي مُشرِقـة والفتيـات طويـلات. أم العكـس؟ إنهـا جزيـرة صغـيرة (آه حسـنًا، إنهـا أكـبر مـن كرواتيـا مرَّتَـيْن) في وسـط شـمال المحيـط الأطلـسي.

تُظهِـر مجلـة رحلـة الطـيران أراضي هلاليَّـةً ووجوهًـا سـاطعة. الصخـور الطحلبيـة والسُّـترات الصوفيـة الضبابيـة. يقولـون إن أيسـلندا بـلادٌ حديثـة وسـاخنة، ولا تـزال نَشِـطةً للغايـة، وتهتـزُّ مـن الانفجـارات والـزلازل يوميًّـا تقريبًـا، مـع غليـان المـاء والحمـم البركانيـة التـي تتفـكَّك عـبر السـطح. أتسـاءل مـا الـذي جـاء بالقـسّ ديڤيـد فرينـدلي لهـذا المـكان البعيـد؟ هـذا أنـا، هـذا هـو. عـليَّ أن أبـدأ في التفكـير مثـل القـسّ. بـارك اللـه روحـي.

أحـاول مـرَّةً أخـرى أن أعـثر عـلى الوضـع الصحيـح لسـاقيَّ اللتـين تؤلمانـــي.

لـدى كل المضيفـات أجسـادٌ لطيفـة، ويتحدَّثـن الإنجليزيـة بثقـة فائقـة. فتيـات مُشرِقـات، ليـالٍ طويلـة. نعـم، هكـذا كان الأمـر. يبـدو أن المظهـر الأيسـلندي عبـارة عــن مزيـجٍ بـين چوليـا سـتيلز وڤيرچينيـا مادسـن[1]. وجـوه عريضـة، وجنتـان غائرتـان، عيـون ميتـة وشـفاه بـاردة. قدَّمَـت لي إحداهـن صينيَّـةَ طَعـامٍ ومنَحَتنـي ابتسـامةً بريئـة كـما لـو أنهـا تُلاطِـفُ جـروًا. حتـمًا بسـبب طـوق الكلـب اللعـين الـذي أرتديـه.

لم أَعُـد رَجُـلًا. أنـا كاهـن. هـذا مـا تفعلـه تلـك الياقـات، تُبعِـد الخطيئة. أو تبقيهـا كلهـا في الداخـل. يبـدأ عقـلي في التحـرُّر مـن مونيتـا وأنـا أحـاول تخيُّـل نفسـي في الفِـراش مـع إحـدى تلـك الحوريـات الشـماليات. لا أفلـح. مونيتـا لهـا اليـد العليـا. أفتقـد بشرتهـا الناعمـة بالفعـل.

إنهـم يجعلونـك تدفـع مقابـل الطعـام. أجـد بعـض الفواتـير المقدَّسـة في محفظـة فرينـدلي وأرسـل لـه خالـص شـكري. اكتشـفتُ أن مـذاق طعـام شركات الطـيران ليـس أفضـلَ حتـى عندمـا تدفـع ثمنـه. ربمـا تتوقَّـف بَراعِـمُ التَّـذوُّق لديـك عـن العمـل عـلى ارتفـاع خمسـة آلاف قـدم. فجـأة يرفـع المتـذاكي صوتـه كـما يرفـع كأسـه مـن النبيـذ الأحمـر ويبتسـم إذ يقـول لي وللاعـب كـرة السـلة "سـكال!"[2]. في البدايـة، أعتقـد أنـه كان يـشرب نَخْـبَ تسريحـة شَـعري الجديـدة، لكنـه أوضـح أن هـذه هـي النسـخة الأيسـلندية مـن "نَخْبـكَ!" اعتـاد الڤايكنـج عـلى الاحتفـال بانتصاراتهـم عـن طريـق مـلء أدمغـة ضحاياهـم بالنبيـذ.

أحبُّ هذا البلد بالفعل.

---

(1) مُمثِّلتان أمريكيتان.

(2) Skal: تعنـي "نَخبَـكَ"، لكـن الكاتـب يتعمَّـد تحريفهـا مـن الكلمـة الأيسـلندية الأصليـة إلى "Skull"؛ لتعنـي جُمجُمَـة.

بعـد العشـاء أحـاول النـوم. أحتـاج حقًّـا إلى قيلولـة مـا بعـد القتـل. لكـن يبـدو أننـي الوحيـد الـذي يريـد أن يغلـق عينيـه. يصيـح الڤايكنـج مـن أجـل جمجمـة كونيـاك أخـرى. ثـم بـدأ الكابـتن يضبـط صوتـه عـبر الإرسـال. وضبـط صوتـه الأجـشَّ إلى أقـصى حـدٍّ في مُكـبِّرات الصـوت العلويـة. كـما يفعـل كل زملائـه في جميـع أنحـاء العـالم، يتحـدَّث باللغـة الجويـة، لغـة السـماء البائـدة.

هـذه المونولوجـات في قمـرة القيـادة تبـدو لي دائمًـا مثـل صـلاة لاتينيـة، تطلـب الإذن مـن اللـه لعبـور حديقتـه. مـدَّة هـذا المـرور أربعـة عـشر دقيقـة.

أُغمِض عيني. أن تكون فريندلي[1] هو طَوقٌ حديديٌّ حول رقبتي.

يمكننـي سـماع المضيفـة تأخـذ طلـب شرابٍ آخـر خلفـي مـن اثنـين مـن الڤايكنـج السُّـعداء. وفي الممـر، قامـت مجموعـة مـن النسـاء السـمينات بـشرب كميـات كبـيرة أعادتهـنَّ إلى أيـام المدرسـة الثانويـة. يبـدو أن الأيسـلنديين مرتبطـون بالـروس، الذيـن لا يسـتطيعون مغـادرة وطنهـم الأم دون أن يثملـوا حتـى النهايـة، ولا يعـودوا إليـه أبـدًا بكامـل وعيهـم. يدفعنـي هـذا للتفكـير في إيڤيـكا العجـوز، الـذي كان يعيـش في شـارعنا في سـبليت. كان يخـاف مـن زوجتـه للغايـة لدرجـة أنـه لم يُشـجِّعه شيءٌ عـلى النـزول إلَّا الـشُّرب كلـما أراد مغـادرة المنـزل، ولم يجـرؤ أبـدًا عـلى العـودة مـا لم يفقـد وعيـه سُـكرًا.

"سـكال!" "سـكال!" أسـمعهم يقولـون ورائي، في كل مـكان حـولي. أتخـلى عـن النـوم وأفتـح عينـي الكهنوتيـة. الآن حـان وقـت البيـع. لقـد حوَّلـوا الطائـرة إلى مركـز تجـاري طائـر، حيـث تنشـغل جميـع المضيفـات بتشـغيل بطاقـات الائتـمان وتوزيـع النظـارات الشمسـية وربطـات العنـق الحريرية.

(1) Friendly: أيضًا تعني ودود.

لم أرَ ذلك من قبل، ولا حتى على متن طيران إيروفلوت[1]. يبدو أنه مزيجٌ فَعَّال ولكنه مميت: الشُّرب والتسوق. أفكِّر أن سلسلة متاجر ماسي وبلومينجديلز حتمًا لديهما ثلاثمائة ألف حانة مفتوحة في أقسام الرجال والنساء. أو ربما لا توجد متاجر في أيسلندا؟

بالرغم من صلاة الطيار، استمرَّت الملائكة في قرص ساقيَّ ولَكْم ضميري الذي حسبتُ أنني فقدته. عادةً لا تحمل مهنتي أي آثار جانبية، مع ذلك أشعر بالتعب بعد أي عملية. قيلولة ما بعد القتل أقرب إلى قيلولة ما بعد الجنس. بالرغم من قِلَّة الجهد البدني (إنها تفضل دائمًا أن تكون فوقي)، فالإنجاز الداخلي يتطلَّب القليل من الراحة.

أتخلَّص أخيراً من التَّسوُّق الثمل لزملائي المسافرين، وأخلد إلى النوم مع مونيتا فوقي- كُرَتاها المُدهِشتان تتقافزان، وشَعرُها الأسود الطويل يدغدغ صدري المنتفخ كطرف لحية الإله البيضاء الطويلة إذ تُلامِس روحي المريضة.

(1) Aeroflot: الخطوط الجوية الروسية.

# 4

# "القشّ فريندلي"

## 2006/05/16

يوقظنـــي الهبـوط. إنــه أمـرٌ قـاسٍ مـع اهتــزاز الطائـرة في كل مـكان، مـن المقدِّمـة إلى الذيـل.

بعـد فـترة طويلـة مـن مُلامَسـتها الأرض يـرنُّ صـوتٌ مُبهِـر ومثـير عـبر السَّـمَّاعات، باللغـة القمريـة أوَّلًا، ثـم باللغـة الإنجليزيـة، يرحِّـب بنـا في درجـة حـرارة محلِّيَّـة تبلـغ ثـلاث درجـات مئويـة.

أعتقـد أن أيسـلندا هـي الاسـم الصحيح بعـد كل شيء. الصـور لم تكذب. تبـدو مثـل القمـر. لا شيء سـوى الحقـول الصخريـة الرماديـة التـي تعلوهـا الطحالـب والجبـال الزرقـاء الصغـيرة عـبر المـدى. ظنِّـي أنهـا حُمَـمٌ بركانيـة. حقـول الحُمَـم البركانيـة، هـذه جزيـرة بـركان.

منحتنـــي المضيفـــةُ ابتســـامةً أفلاطونيـــة أخـــرى إذ أغـــادر الطائـــرة. الممـشى مصنـوع مـن الزجـاج. في الواقـع، تبـدو المناظـر الطبيعيـة وكأنهـا

تصميمٌ ضخم لمجموعة أفلام حرب النجوم. أحاول دخول هذه الأرض الغريبة كزائرٍ عاديٍّ، أحاول جاهِدًا أن أمشي مثل الرجل الذي قتَلتُه الليلة الماضيةً، وهو يتأرجح في حقيبته السوداء ككاهن سعيد، مرتديًا حذاءه الأسود بالكامل، وقميصه وسترته ومعطفه، بالإضافة إلى الياقة البيضاء. ولم أخلع الجينز؛ فأنا قسٌّ معاصر.

أتبع لاعب كرة السلة داخل المحطة. إنه صغير جدًّا بالنسبة لمهنته، أقصر حتى من ستِّ أقدام. ربما يشحنون جميع اللاعبين الصِّغار إلى بطولات الدوري الصغيرة. قال الرجل المتذاكي إن الأُمَّة الأيسلندية تبلغ ثلاثمائة ألف شخص وحسب. هل هذا قانونيٌّ حتى؟ بدا أن حيًّ ليتل إيطالي دولةٌ لها عَلَمها الخاص وكل شيء. إنهم فريق أولمبي صغير، حتمًا سيحصلون على الميدالية الذهبية في إطلاق النار أمام المطاعم.

يقودني لاعبُ كرة السلة إلى إدارة الجوازات، حيث اصطفَّ طابوران أمام قفص زجاجي يضمُّ ضابِطَيْن.

أحدهما لشعوب الاتحاد الأوروبي والآخر لبقية العالم. أحاول أن أتذكَّر ما إذا كانت روسيا عضوًا في الاتحاد الأوروبي عندما أدركتُ أنني أمريكي الآن. أنا فريندلي!

يتحرَّك الصَّفُّ بسرعة كبيرة. أقول لنفسي إن هذا سيكون سهلًا. أجد جواز سفر رَجُل الدين في جيب الصدر الداخلي لمعطفه الأسود، وأمضي نحو الكشك الزجاجي، وأسلِّمه إلى الضابط، وهو رجلٌ ذو بشرة داكنة ولحية رمادية. يفتح الجواز ثم يقول شيئًا بلُغَتِه، فأعطيه نظرةً فارغة.

وبينما يُكرِّر حديثه أدرك أنه يتحدَّث الروسية. اللعين يتحدث الروسية اللعينة.

"معذرة؟" أقول.

"ألا تتحدث الروسية؟" يسأل باللغة الإنجليزية.

"لا، لقد وُلِدتُ في الولايات المتحدة".

يحمل جواز سفري. "يقول هنا إنَّكَ وُلِدتَ في سمولينسك؟".

وفجأةً صارت جميع الأوردة في رقبتي سميكةً مثل الأوتار على جيتار "البيز" الكهربائي. اللعنة. أعطيته جوازَ سَفَرٍ خاطئ! أعطيته جواز سفر إيجور. أنا إيجور الآن، لستُ فريندلي. اللعنة، اللعنة الكبرى.

"إيه... نعم، حدث في الواقع، لكننا انتقلنا... انتقل والداي إلى أمريكا عندما كان عمري ستة أشهر، وهكذا، في ذهني...".

"إذن أنت تعيش في أمريكا منذ ذلك الحين؟".

"آه نعم.. نعم.. بالضبط".

أشعر بالارتياح.

"لكنَّكَ تتحدَّث بلكنة سلافية؟" يسأل اللعين. ما الذي يحدث هنا بحق الجحيم؟ طريقة هذا الرجل مؤهلة جدًّا لوظيفته. أستاذ الفيزياء الروسي العادي الذي يعمل كضابط مراقبة جوازات السفر؟

"آه نعم، إنها قصة غريبة نوعًا ما. والداي... والداي... كنتُ أعيش بمفردي مع والدَيَّ طوال طفولتي، في أعماق الغابة، وتعلَّمتُ منهم اللغة. كانوا يتحدَّثون الإنجليزية بلهجة روسية قوية جدًّا... لكنة روسية قوية جدًّا".

نظر الضابط إليَّ لمدة ثانيتين طويلتين. ثم انحرَفَت عيناه إلى الياقة. "أنت قسٌّ؟".

يصعب فهم لهجته.

"آه... نعم. أنا القسُّ... القسُّ إيليتش".

أصبح الأمر سخيفًا.

"لكـن هـذا ليـس مذكـورًا في جـواز السـفر" اللعنـة. إنـه صربيٌّ لعـين، عنيـدٌ للغايـة.

يطلـب منـي الانتظـار ويـترك كُشـكَه الزجاجـي. أسـمع تنهُّـدات مضطربـة في الصـف خلفـي فـلا أنظـر إلى الـوراء.

بعـد دقيقـة عـاد إلى الكشـك برفقـة ضابـط أكـبر سـنًّا يرتـدي قميصًـا أزرق. إنهـم ينظـرون إليَّ كزوجـين مِثْليَّيْن يقومـان بتجربـة أداء مجموعـة مـن ثلاثـة أشـخاص. أخـيرًا، قـال الأكـبر سـنًّا بلهجـة عرفتهـا مـن الرجـل المتـذاكي والمضيفـات: "أنـت كاهـن؟".

"نعم".

"ماذا تفعل هنا في أيسلندا؟ هل أنتَ هنا من أجل العمل أم...؟".

أخيرًا أجد صوت إيجور. روحه الأرثوذكسية الحقيقية.

"وظيفة القسُّ كلها مُتعَة، ولكن يمكنك تسميتها عملًا إذا أردتَ".

صاحـب القميـص الأزرق يبـدو منبهـرًا. نظـر إليَّ للمـرة الأخـيرة، وسـلَّم لي جـواز السـفر. قـال لي: "حسـنًا. إقامـة سـعيدة".

خـراء! كيـف يمكـن أن أكـون مُهمِـلًا لهـذه الدرجـة؟ كيـف يمكننـي... أم لا. ربمـا كان هـذا أكـثر شيء صحيـح يمكـن القيـام بـه. مـن المحتمـل أن يكـون الفيدراليُّـون قـد عـثروا عـلى جُثَّـة القِـسِّ فرينـدلي الآن. كـم سيسـتغرقون مـن الوقـت للتعـرُّف عليـه؟ وعندمـا يفعلـون ذلـك، يُفضَّـل ألَّا يكتشـفوا أن شـخصًا مـا يركـب أمـواج البحـار الشـمالية بجـواز سـفره. نعـم، كان مجـرَّد حـظ.

أتابع تدفُّق الرُّكَّاب بشكل أكبر داخل مبنى المطار. هناك سجادة على أرضية الردهة، ويقطع الصَّمتَ الناعم صريرُ أحذية السيد فريندلي الجلدية. حذاء إيجور الرياضي موجودٌ داخل الحقيبة بجانب سُترَته الجلدية. وصلتُ إلى القاعة الرئيسية وأنا أتساءل ماذا أفعل.

***

أمضي إلى مكتب وأطلب رحلات طيران إلي فرانكفورت وبرلين ولندن، أي مكان غير هنا. ثمَّة رحلات طيران -كما تقول الأم الشقراء المثيرة- لكن تمَّ حَجزُها جميعًا. الموعد التالي المتاح هو ثلاثة أيام من الآن، إلى كوبنهاجن ثم إلى زغرب. أتساءل ماذا ستقول حقائبي عندما لا يطالب بها أحد. وجَدتُ بطاقة ڤيزا إيجور واشتريتُ له تذكرةً إلى وطن توميسلاڤ. ينظر السيد فريندلي إلى توكسيك إذ يوقِّع على اسم السيد إليتش. فجأة أصبَحَت حياتي البسيطة مُعقَّدة للغاية. كعكة هويَّات مُتعدِّدة الطبقات.

توصيني الشقراء الناضجة بالذهاب إلى المدينة وتعطيني عنوان فندق. تقول بابتسامة: "إنها أربعون دقيقة فقط بالحافلة". آه، حسنًا. أعتقد أن ثلاثة أيام في أرض الڤايكنج لن تؤذي. ومع ذلك، فإن ثلاثة أيام بدون مُسدَّس ستكون صعبةً على توكسيك.

ينقلني سُلَّمٌ متحرِّك عبر رحلة أخيرة، وأمشي عبر صالة الأمتعة المزدحمة. بوابة الخروج مُقسَّمة إلى قسمين: واحدة لمن لديهم ما يصرِّحون به، وأخرى لمن ليس لديهم. تسألني هويتي الأخيرة عمَّا إذا كان يجب عليَّ ألَّا أغتنم هذه الفرصة لأعلن أنني مُذنِب بارتكاب سبعٍ وستِّين جريمة قتل، لكنِّ أطوّح بكل الملائكة بعيدًا مثل سحابة بعوض.

تنتظرني مفاجأة خارج بوابة الخروج. في منطقة الاستقبال الصغيرة، يقف رَجُلٌ ذو شَعرٍ ناعم وامرأة ذات شعر كثيف، يحملان لافتة تقول: الأب فريندلي. لا أشعر بالاتِّساق مع نفسي (أعتقد بسبب تعدُّد الذوات) أرتكب خطأ فادحًا إذا توقَّفتُ أمام اللافتة اللعينة، وأنا أرتدي الياقة اللعينة! سيفهمون على الفور.

"السيِّد فريندلي؟" تبتسم المرأة وتتحدث بلهجة مألوفة أكثر فأكثر.

أنا على وشك أن أُنكِر، لكن رأيت فجأة شرطيَّين يقفان على مسافة أبعد في الصالة، بالقرب من المخرج؛ لذا قبل أن أطلق شفتي، تستحيل "لا" إلى نعم. وانتهى أمري، سأُجبَر خلال الساعات القليلة القادمة على أن أكون فريندلي اللعين.

ها هو القاتل يصبح ضحيَّتَه.

"أنا مسرور جدًّا لرؤيتك يا سيد فريندلي. هل كانت رحلتك جيدة؟"

يسألني الرجل بلكنة أيسلندية قوية جدًّا. ألاحظ أسنانه السيئة عندما يبتسم.

"نعم، نعم، كانت جيدة" فجأة أكره لهجتي. ليست من ڤيرجينيا بما يكفي على ما أعتقد.

"بالكاد تعرَّفتُ عليك!" تقول المرأة "تبدو أصغرَ حتى من صورك على موقعك الإلكتروني". دائمًا ابتسامة كبيرة.

لديَّ مَوقعٌ إلكتروني؟

"حقًّا؟ أنتِ... رأيتِني هناك؟" أغمغم.

اللعنة. أنا قاتِلٌ مُحتَرِف ولستُ جاسوسًا.

"نعم بالطبع!" تستمرُّ المرأة. "لكننا لم نشاهد برنامجك التلفزيوني".

إلهي. لديَّ برنامج تلفزيوني؟ أوَدُّ أن أرى ذلك.

أقول: "لن ترغبي في رؤية ذلك".

"أوه؟ بالطبع! نَودُّ أن نرى ذلك!" يصيح كلاهما بصوت عالٍ مثل الأطفال الذين يتناولون الحلوى. إنهم مجموعة سعيدة. أعتقد أنها إرادة الله. يقدِّمون أنفسهم، أسماؤهم لا تُصدَّق. إنه جودموندور[1] (حتمًا اسمه المسرحي) واسمها أقرب إلى سيكريدر[2]. أتساءل ما هي ألقابهم الأمريكية: جو وسي؟ فحتَّى "تومو" كان طويلًا جدًّا على الأمريكان. كلَّما زاد عدد الأشخاص، كلَّما قَصُرَت أسماؤهم، وكلَّما قَلَّ عدد الأشخاص، كلما طالت الأسماء.

فجأة نظَرَت إليَّ سيكريدر وسألتني: "أليس لديكَ أيُّ أمتِعَة أيها الأب فريندلي؟".

أتوقَّف للحظة.

"كلَّا. الكلمة هي متاعي الوحيد".

يضحكون مثل الهامستر الكرتوني السعيد. أشعر كأنني مُمثِّلٌ قام للتَّوِّ بخطوة مُهِمَّة في تطوير شخصية جديدة. هللويا!

إنهم يعبرون بالأب فريندلي لما بعد الشُّرطيَّيْن (أعطيتُهم نظرةَ مُبارَكة) ويخرجون إلى ساحة انتظار السيارات حيث الجو بارد مثل الثلاجة. وأنا الذي كنت أتطلَّع إلى نبع البحر الأدرياتيكي، وأن أُروِّح عن نفسي على نهر ريفا، وأرتشف البيفو[3] وأراقب المؤخِّرات

---

(1) Goodmoondoor: يتعمَّد الكاتب العبَثَ بالأسامي الأيسلندية الأصلية؛ إشارةً إلى صعوبة نطقها، فيكتب أقربَ نُطقٍ انجليزيٍّ لها، والترجمة الحرفية لهذا الاسم كما نطقه الكاتب هي باب القمر الطيب.

(2) sick reader: أو القارئة المريضة.

(3) Pivo: البيرة بالكرواتية.

المشدودة بسراويل الچينز بإحكام، مع صوت كعبٍ عالٍ يخطو على بلاط الحجر الجيري الأبيض. آه، فتيات سبليت[1].

لكن لا. بدلًا من ذلك، أقف في موقف سياراتٍ قُطبيٍّ أجمع كلَّ قشعريرة تنتابني، وأراقب انعكاس نفسي الجديدة الصَّلعاء في نافذة سيارة لاند كروزر فضِّيَّة (يمكنني في الواقع، أن أنجح في كوني كاهنًا)، يشير اثنان من الغُرَباء إلى أنه يجب عليَّ أن أركب السيارة.

أخبروني أن السيارة قد بارَكَها بالفعل وجود بيني هَن العظيم[2]. يبدو أن جودموندور وسيكريدر على قائمة الإنجيليِّين المحترفين. يديرون قناة تلفزيونية مسيحيَّةً مَحلِّيَّة صغيرة تُسمَّى آمين. بعد دقائق، كنَّا ننزلق في حديقة القمر بينما يتولَّى جودموندور القيادة.

"لدينا العديد من البرامج التلفزيونية المسيحية من أمريكا. بيني هن بالطبع، وكذلك چويس مايرز وچيمي سواجارت وديڤيد تشو. ولدينا أيضًا عرضنا باللغتين: الأيسلندية والإنجليزية أيضًا. نحن على شاشة التلفزيون كل ليلة، أنا وزوجتي. أحيانًا نكون معًا وأحيانًا كلٌّ بمفرده. سترى".

هذا هو جودموندور، يتحدَّث بإنجليزيته البدائية، وتجلس زوجته حَسَنةُ المظهر بجانبه وتبتسم لي في المقعد الخلفي. يكمل زوجها:

"إذن، عمَّ ستتحدَّث الليلة؟ أي نَصٍّ ستتحدَّث منه؟".

"حسنًا... الليلة؟" أسأل.

"نعم. ستكون ضيفًا خاصًّا في برنامجي الليلة".

"على التلفاز؟".

---

(1) Split ثاني أكبر مدن كرواتيا.

(2) Benny Hinn: واعظ ديني تلفزيوني وُلِد في يافا.

"نعم!" يضحك بكل أسنانه الملتوية، تقريبًا مثل المجنون.

"آه... فهمتُ. ظنَنتُ أنِّي...".

لقد أنقذني هاتفي المحمول. كُتب على الشاشة "نيكو" وبدون تفكير أُحيِّيه بالكرواتية: "بوك". نيكو هو المساعد الشخصي لديكان، الرجل الثاني. يسألني أين أنا، فأخبرته بالحقيقة المذهلة، حتى حقيقة أنني أجلس في سيارة فرقة نجوم مسيحية في طريقي إلى أول قُدَّاس تلفزيوني.

أخبرني أن الهبوط هنا ليس سيئًا للغاية في النهاية (هل يعرف حتى أن أيسلندا بَلدٌ؟) لأن الأمور تزداد جدِّيَّة بعد الإخفاق الكبير. يقول: "لقد أفسَدتَ الأمر بشكل سيئ يا توكسيك". ذهب بالفعل الفيدراليون الغاضبون[1] -كما يُسمِّيهم- إلى المطعم، واقتحموا بيتي أيضًا. حتى إنهم زاروا والدتي هذا الصباح، في متجرها الصغير لبيع الأجهزة في قلب مدينة سبليت، وكسروا ذراعها. يقول نيكو إن ديكان غاضبٌ حَدَّ الإخصاء. "إذا كنتَ في أيسلندا اللعينة، فابقَ هناك!" يصرخ. "لا تذهب إلى زغرب أو سبليت ولا تأتِ إلى هنا! فقط ابْقَ في مكانِكَ و أ.ق.أ".

كما ذكرنا، هذا اختصار لـ "اختَبِئْ قدرَ الإمكان". أتساءل ما إذا كان برنامج جودموندور التلفزيوني يندرج ضمن هذه الفئة.

عندما أغلَقتُ هاتفي المحمول، التفَتَت سيكريدر نحوي مرَّةً أخرى تسألني عن اللغة التي استخدمتها للتَّوِّ. أقول "إنها كرواتية"

"أوه؟ إذن أنت تتحدَّث الكرواتية؟".

"نعم، لدينا بعض الكروات في كنيستنا".

(1) Fed-ups من Fedrals.

"من أين أنتَ في الأصل؟" يسألني هذا السائق جود مون[1].

"في البداية كُنَّا جميعًا أبناء الله" كم أنا بارع. "ولكن إذا كنتَ تسأل عن لهجتي، فليست هذه الأصلية، يمكنك أن تقول إنني كنتُ مبشِّرًا لسنوات عديدة في جمهورية يوغوسلافيا السابقة".

"أوه حقًّا؟" يتساءل كلاهما.

"نعم. نشر كلمة الله الطيبة في دولة شيوعية. كان ذلك خِراءً صعبًا يا رَجُل. أعني خراء مُقدَّسًا قاسيًا. وكوني أمريكيًّا هناك، يا رجل، كان ذلك انتحارًا صريحًا. كان عليَّ أن أتَّخِذ اسمًا آخر وأن أتخلَّص من لهجتي الأمريكية تمامًا. أطلقوا عليَّ توميسلاف، توميسلاف بوكشيتش. في الوقت الحاضر يعتقد الجميع أنني من هناك. لكن لا، أنا أمريكيٌّ مائة بالمائة. لديَّ حتى أقراص مُدمَجة لكلاي أيكن[2] في المنزل. في الواقع، عاشت عائلة فريندلي في ڤرچينيا منذ القرن الثاني عشر".

اعتَقَدتُ أن هذا مُبالَغٌ فيه. "معذرة، منذ القرن الثامن عشر".

يستقبلون كل شيء بابتسامة. أشعر بنبضة -جنبًا إلى جنب مع دقَّات قلبي مباشرة- خرَجَت من فيلم إثارة ما، وذلك قبل أن تسأل المرأة: "كم عُمرُكَ أيُّها الأب فريندلي؟".

"أنا... وُلِدتُ في العام خمسة وستين، هذا يجعلني... آه... أربعين".

"لقد كنتَ صغيرًا جدًّا عندما كنت في...".

"في يوغوسلافيا؟ نعم بالتأكيد. أنا متأثِّر بها بشدَّة. لقد مرَرتُ ببعض الأوقات الصعبة حقًّا هناك".

---

(1) اختصارًا لاسمه: Goodmoondoor

(2) مغني وممثل أمريكي ولد عام 1978

إنـه صبـاح مُـشرِق وبدايـة شـهر مايـو. أعنـي في الصبـاح الباكـر مـن أوائـل شـهر مايـو، والشـمس عـلى وشـك أن تُـشرِق مـن خلـف الجبـال التـي أمامـك. سـماؤهم لا تحتـوي عـلى غيـومٍ عـلى الإطـلاق، وعـلى الجانب الأيـسر، يحافـظ المحيـطُ عـلى الأمـواج تحـت سـطحه الرمـادي والأخـضر.

مـا زال المشـهد يبـدو بـاردًا كـما هـو. قـد يبـدو القُطـبُ الشـماليُّ مثـل مسـيرة الغـرب الأوسـط. هنـاك بعـض المنـازل الشـاغرة منتـشرة عـلى طـول السـاحل. يخـبرني مضيفـاي أنهـا "منـازل صيفيـة"، لديهـم صيـفٌ هنـا إذن.

اسـتغرَقَت الرحلـة خمـس سـاعات، وكان فـارق التوقيـت متماثـلًا تقريبًـا: مـرَّت ليلـة كاملـة مـن مرحـاض في مطـار جـون. ف. كينيـدي. كان قتـل فرينـدلي هـو أول جريمـة قتـل باليـد لي منـذ ذلـك الصَّبـيِّ ذي الشَّـارِب في كينـين. لقـد اسـتخدَمتُ يـدي، وهـي خدعـة تعلَّمتُهـا مـن الرفيـق بريزميتـش، الأقـدم في كتيبتنـا، المحـارب المخضرم في الحـرب العالمية الثانيـة، ذي الخياشـيم الكبـيرة والخدَّيْـن الغائريـن. اعتـاد أن يقـول: "الأمـر أشـبه بإطفـاء شـمعة، يعتمـد كلُّ هـذا عـلى الموقـع والسُّرعـة. الإنسـان هـو الشـمعة، والحيـاة لهبهـا. أَطفِـئْ اللَّهـبَ وسـوف يمـوت".

بريزميتش قديم وبارع. قطعوا ثديَيْ زوجته وأجبروه على أكلهما.

يوجـد مُلصَـق عـلى ظهـر مقعـد السـائق. إنـه باللغـة الإنجليزيـة: "وَيلٌ للقائلـين للـشَّرِّ خَـيرًا، وللخـيرِ شَرًّا، الجاعِلـين الظـلام نـورًا، والنُّـورَ ظلامًـا، الجاعلـين المُـرَّ حُلـوًا، والحُلـوَ مُـرًّا (إشـعياء 5:20)".

أوه يـا رجـل! أخـيراً تـشرق شـمس السـاعة السادسـة مـن حافـة الجبـل الحـادَّة. مثـل دجاجـة مُشرِقـة مـن بيضـة زرقـاء... تـضيء الطريـق.

"نحـن نسـير في طريـق النـور!" يقـول جودمونـدور ويتَّجـه نحـوي بابتسـامة كبـيرة وسـعيدة. "طريـق النـور!".

# 5
# جانهولدر[1]

## 2006/05/16

يدعونني للبقاء في منزلهم. "لم نسمح لنزلائنا بالبقاء في الفندق أبدًا. بيتنا هو بيتك" يؤكِّد لي جودموندور فأشكره. إنها ڤيلَّا صغيرة في الضواحي على طابقين مُشمِسَين، في حيٍّ يُسمَّى جارد ذا بير[2] أو شيء من هذا القبيل، يقع بين وسط المدينة والمطار؛ لذلك ما زلت لم أر ريكياڤيك الشهيرة التي قرأت عنها على متن الطائرة: "المدينة الأكثر سخونة في أوروبا، العاصمة الرائعة".

يبدو أن هذا هو المكان الذي يتَّجِه إليه تارانتينو إذا أراد استغلال شهرته. من حُسن الحظ أنه لم يكن بجواري في الحمَّام؛ فحينها كنت

(1) Gunholder: تعني حرفيًّا: "حامل المسدَّس".

(2) Guard-the-beer: يُحرِّف الكاتبُ الأسماء عن عَمدٍ بما يتوافق مع لحن الكلمات.

سـأدخل المدينـة في سـيارة ليموزيـن بيضـاء، مـع سلسـلة ذهبيـة حـول رقبتـي وجـواز سـفر درجـة شـديد الأهميـة الخـاص بـه في جيبـي، وألـوِّح مـن النافـذة للفتيـات الصغـيرات الـلاتي اصطففـن عـلى جانـب الطريـق حامِلاتٍ مُلصَقـات قديمـة لفيلـم "خيـال رخيـص"[1]. بـدلًا مـن ذلـك، عُـرِضَ عـليَّ مقعـدٌ في مطبـخٍ صامِـتٍ في الضواحـي، بـلا نسـاء في الأفـق.

تُعِـدُّ سـيكريدر طاولـة إفطـار رائعـة مـع القهـوة والخبـز المحمَّـص وبيضتـين مسـلوقتين تجعلنـي عـلى الفـور أفكِّـر في خصيتَـيْ ديـكان اللتـين يُهدِّدهـما غضبـه. مـاذا يقصـدان بحـقِّ الجحيـم بأنـه كان خطئـي؟ إخفاقـي اللعـين؟ لقـد قتَلـتُ الرَّجُـل المناسـب. ثـم اتَّضـح أنـه كان مـن مكتـب التحقيقـات الفيـدرالي. هـذا ليـس خطئـي، بـل يَحِـقُّ لي أن أغضـب أنـا منهـم.

قـال جودمونـدور بعـد جلوسـنا: "إذا سـمحت أيُّهـا الأب فرينـدلي، إننـا نطلـب مـن كل ضيـفٍ أن يتلـو صـلاة".

"نعم بالطبع".

مـرَّةً أخـرى كـم أنـا نـادم لأنني لم أقتـل تارانتينـو بـدلًا من هـذا القسّ. لكنـه مـن ناحيـة أخـرى لم يكـن سـهلًا أن أعبـث بكاتـبِ فيلـم "خيـال رخيـص". نعـم، أظـن أننـي محظـوظ، فعـلى الأقـل الرَّجُـل يُشـبِهني قليـلًا، عـلى الأقـل يعتقـدون أننـي هـو. ظنِّـي أن هـذا تَخـفٍّ أكـثر مـن رائـع.

موافق، ها نحن ذا، صلاة المائدة، أحني رأسي وأغمض عيني.

"إلهـي العزيـز، أيُّهـا العزيـز الحبيـب. شـكرًا عـلى هـذا، هـذا البيـض. شـكرًا لـك عـلى... شـكرًا لـك عـلى وجـود أشـخاص ودوديـن... ودوديـن هنـا. أشـكرك عـلى إرسـالي إلى هـذه الجزيـرة الجميلـة ومقابلـة هـؤلاء

(1) Pulp Fiction فيلم أمريكي أنتج عام 1994.

الجميلين... أولئك الطيِّبين الأخيار. أشكركم على إعطائي ملاذًا آمِنًا في بحر المشاكل، وكذلك الإفطار. آمين".

ليس سيِّئًا جدًّا. يُهَمهِمون بـ "آمينهم"، ثم يبتسمون مرَّةً أخرى. "هل لديك العديد من الأشخاص في مؤسَّسَتِكَ، أيُّها الأب فريندلي؟".

أفقد سيطرتي على الوضع هنا. بالصدفة يجيب توكسيك على السؤال: "حوالي أربعين".

"أربعون ألف؟".

"أربعون ألف؟ أوه، نعم حوالي أربعين ألفًا. أربعين ألف عضو مُسجَّل. لكن ينضمُّ إلينا الملايين من الأشخاص كلَّ أسبوع".

أُذكِّر نفسي بأن أطلب أحدث تقرير عن التقييمات عندما ألتقي بمُنتِج البرنامج الخاص بي في المرة القادمة.

بعد الإفطار أوصلوني إلى غرفتي في الطابق العلوي.

كأني عُدتُ إلى المدرسة الكاثوليكية. يوجد صليب مُعلَّقٌ فوق السرير وصورتان فوتوغرافيَّتان ليسوع المسيح على الحائط المقابل. كِتَّان أبيض، ستائر بيضاء، سجَّادة بيضاء. أخبروني أنني حتمًا مُرهَقٌ من الرحلة الطويلة. قلت: "بلا شك"، ثم اغتَنمتُ الفرصة لإخبار جودموندور أنني لا يمكنني الظهور على التلفزيون الليلة.

"أنا آسف، لكن يجب أن أكون مرتاحًا تمامًا عندما أظهر في التلفاز. إذا أراد الله أن يتكلَّم من خلالي، فلا بُدَّ أن أكون فارغًا تمامًا من الداخل".

أتوقَّف قليلًا، نادمًا على استخدامي الكلمات الخاطئة. ينظر إليَّ مثل حيوانٍ لاما تعَرَّض للخيانة: عيون كبيرة، أسنان طويلة، عُنقٌ مُشعِر. تهمس زوجته شيئًا عن اضطراب الرحلات الجوية الطويلة قبل أن أكمل:

"أعنـي، أنـا فقـط أقـول إنـه لا يجـب أن يعيقنـي شيء، بحيـث يمكـن أن تنتقـل كلمتـه مـن خـلالي. لا تعـبَ ولا شيء... يجـب أن أكـون دائمًـا في حالـة جيـدة جـدًّا للتلفزيـون".

قـال أخـيرًا: "لكـن، قلـت في برنامجـي إنـك سـتأتي الليلـة وتتحـدَّث إلى النـاس".

"أوه؟ هل فعلتَ؟".

"نعم، لا أستطيع الغِشَّ في وعدي لهم، إنهم مُخلِصون جدًّا".

يـا للمسـكين. يبـدو مُنفَطِـرَ القلـب. لكـن لا بُـدَّ لي مـن التفكـير في أ.ق.أ الخاص بي.

"كم عدد الأشخاص الذين يشاهدون العرض؟".

أعتقـد، بالنسـبة لرَجُـل تلفزيـون في بداياتـه، هـذا السـؤال إجابتـه نفـي. يُقطِّـب وجهـه كسـياسيٍّ يواجـه سـؤالًا صعبًـا، ويجيـب بضحكـة تلتمـس العُـذر.

"لدينا الكثير من الناس يشاهدون".

فَهِمـتُ، لديـه فقـط عـشرة مشـاهدين. "موافـق، سـوف نـرى، فقـط اتَّصِـل بي، بعـد الظُّهـر".

أنـا لا أعـرف مـاذا أفعـل بحـقِّ الجحيـم. أعطيـه رقمـي في مدينـة نيويـورك. يعطـي القـسُّ لزميلـه رقـمَ قاتـلٍ مُحـترِف. يقـول الرجـل الطيـب: "حسـنًا، هـذا جيـد". عـادت ابتسـامته ولكـن انحرفـت قليـلًا مـن الصَّدمـة التـي سـبَّبتُها لـه للتَّـوِّ. "يمكنـك البقـاء هنـا اليـوم والحصـول عـلى قسـط مـن الراحـة، البيـت بيتـك. علينـا أن نذهـب إلى العمـل الآن، في محطَّـة التلفزيـون".

أشاهدهم من نافذتي وهم يركبون السيارة الفاخرة رُباعيَّة الدَّفع. يبدو أن المؤمنين يمتلكون دائمًا أفضل السيارات. يعلم الله كيف يجازي شعبه، قَطْعًا يعرف أنك بحاجة إلى سيارة دَفعٍ رُباعيٍّ للوصول إلى الجنة. ترتدي زوجةُ الواعظ تنُّورةً ولها ساقان جميلتان. لو كانت المرأة الوحيدة في كتيبتنا وكُنَّا عالقين في الجبال لمدة شهر، كنتُ سأبدأ أحلم بها في اليوم الثاني عشر.

بقيت وحدي في المنزل. على الرغم من الربيع الجليدي في الخارج، فإن الغرف دافئة مثل منتصف ليل يوليو في مِمفيس[1]. هذا هو المكان الذي أُجرِيَت فيه عملية خرقاء تحت جسر قبيح. عندما يتعلَّق الأمر بالقتل، فأنا لست عنصريًّا، لكن إطلاق النار على السُّود لم يكن أبدًا هو المُفضَّل لديَّ. وهذا ليس جديدًا عليَّ.

أَنخَلِعُ إلى نفسي الحقيقية، سعيدًا بالابتعاد عن ياقة الله، وقميص فريندلي، وجينز إيجور، وأزحف إلى الفِراش. كم هو وثير ودافئ، وكم هو مكان هادئ بشكل لا يُصدَّق، يكاد يكون أكثر من اللازم. إنه أعلى صمتٍ سَمِعتُه. أدرك أنني أعيش في ملهى ليليٍّ منذ عَقدٍ أو نحو ذلك، والآن خرجتُ أخيراً. أنا أمزح. لا يوجد صوتٌ على الإطلاق لسماعه. إنه صامِتٌ مثل الجمجمة الصربية التي تضعها والدتي على الرَّفِّ فوق سريرها.

ثم فجأة غمَرَت أشعَّةُ الشمس الغُرفةَ. غرفة بيضاء، شمس مُشرِقة. لو استيقظت هنا، في هذا الصمت المشمِس، مستلقيًا على سرير من الريش الناعم، مع ملاءات نظيفة ومُمَوَّجة، وصورة مُوقَّعَة للرَّبِّ على الحائط المقابل؛ سأعتقد أنني ميِّتٌ ودخَلتُ الجنة. لكن بالطبع لن أذهب إلى هناك أبدًا. أنا عالِقٌ في زحامٍ مروريٍّ على الطريق السريع المؤدي إلى الجحيم.

---

(1) Memphis: مدينة في الولايات المتحدة الأمريكية.

اللعنــة. الصمــت شــديدٌ لدرجــة أننــي لا أســتطيع النــوم. بالنســبة لرَجُــلٍ عــاش في ضوضــاء طــوال حياتــه، حيــث كانــت تُهَدهِــدُه للنــوم قنابــل شــيتنيك[1] ومصــارِفُ حَــيٍّ ســوهو؛ مــن الصعــب أن يتحمَّــل ذلــك.

أستسلم وأذهـب إلى الطابـق السُّـفليِّ، أتجـوَّل في المنـزل ببطـن خنزيـر يـبرز فـوق اللبـاس الداخـلي الأسـود مـن كالڤـن كلاين. صبـاح جَبَـليٌّ جميل يمـلأ كل نافـذة، النـور قـارس وبـارد وقـويٌّ للغايـة، الجليـد والشـمس. ينتابنـي هـذا الشـعور السـياحي: المفاجـأة الغبيـة التـي تواجههـا عندمـا تـدرك أنهـا الشـمس ذاتهـا تـشرق هنـا أيضًـا عـلى مـدار المليـون سـنة الماضيـة.

هنــا أيضًــا، في هــذه المدينــة الواقعــة أقــصى الشــمال، كان النــاس يســتيقظون وينامــون لقــرون.

أتذكَّـر عندمـا عُـدتُ لأول مـرة إلى سـبليت بعـد أربـع سـنوات في مدينة نيويـورك، وصُدِمـتُ عندمـا رأيـتُ أن والـدتي قـد تقدَّمَـت في العمـر. كنـتُ غاضبًــا منهــا تقريبًــا، وكأنهــا قــد خانتنــي، وبــدأت أتحــدَّث معهــا عــن تقنيــات الترطيــب والاســتمناء. أعتقــد أننــي لم أُخلَــق للسَّــفر، أنــا رَجُــلُ المــكان الواحــد. مــا كان يجــب أن أغــادر ســبليت. ولكــن عندمــا تقاتــل بشــدَّة مــن أجــل شيء مــا؛ تعجــز عــن الاســتمتاع بــه. أعتقــد أننــي كنــتُ ســأظلُّ في كرواتيــا إذا لم يُطلَــق عليهــا اســم كرواتيــا.

المنـزل مـليءٌ بالأشـياء الفاخـرة، وهـذا النـوع مـن الأثـاث الموجـود في متاجـر الأثـاث الفخمـة.

أريكـة سـوداء كبـيرة مليئـة بالوسـائد تمـلأ ركـن التلفزيـون، وطاولـة الطعـام تلمـع مثـل قطعـة من البورسـلين، وكل نافـذة مزدحمـة بالمزهريات

(1) Chetniks: حركـة قوميـة صربيـة قـادت حـرب عصابـات في يوغوسـلافيا حـين احتلَّتهـا قـوات المحـور إبَّـان الحـرب العالميـة الثانيـة.

والتماثيـل. ينظـر إليَّ القِدِّيـس برنـارد الصغـير في عينـي، برميـل نبيـذ مُعلَّـق حـول رقبتـه، ليتـمَّ كـسره في حالـة الطـوارئ إذا تخـلَّى اللـه عنـك.

تتميَّـز الجـدران برسـومات حقيقيـة (بعـض المناظـر الطبيعيـة الوعرة في إطـارات ذهبيـة) وجميـع أنـواع الأشـياء المصنوعـة للتعليـق عـلى الحائـط- مثـل يسـوع صغـير، وبعـض الـورود المجفَّفـة، وهـذا الـشيء اليابـاني الملُـوَّن الـذي لا أعـرف اسـمه ولكنـه يُسـتَخدَم لخلـق الريـاح حـين لا يوجد نسـيم.

ومـع ذلـك، تبـدو غرفـة المعيشـة وكأن لا أحـد يعيـش هنـا. تصلـح أن تكـون تركيبًـا في المتحـف الأيسـلندي للحيـاة العصريـة. بالإضافـة إلى ذلـك أرى أنهـا فاخـرة بعـض الـشيء بالنسـبة لأتبـاع المسـيح الأتقيـاء. أشـكُّ في أن أيًّـا مـن الرُّسُـل كان يمتلـك شاشـةَ تِلفـازٍ مُسـطَّحة كبـيرة كهـذه. ولكـن عـلى الأقـل كل هـذا طاهِـرٌ طهـارةَ ضَمـير المخلِّـص.

أقـوم بتشـغيل حـوض الاسـتحمام لأتخلـص مـن اضطـراب الرحـلات الجَوِّيَّـة الطويلـة، وأوقـد التلفـاز فقـط لأسـتمتع بمُتعـة فِعـل المشـاهدة. تُظهـر الشاشـةُ عـشرةَ آلاف شـخص يُغنُّـون في انسـجامٍ مَسـيحيٍّ في إحـدى السـاحات الرياضيـة المُغطَّـاة المتضخِّمـة في الجنـوب. "إلهنـا إلـه رائـع!" رائـع جـدًّا، يجـب أن أعـترف. المولـودون حديثًـا نشـيطون للغايـة، يصرخون مثـل الأطفـال حديثـي الـولادة. أنتقـل إلى مسلسـل الجـريء والجميلـة[1] حاوَلـتُ أن أقـرأ الترجمـة، لكنهـا تبـدو مَجريَّـة بالنسـبة لي.

في المطبـخ، اكتشـفتُ بعـض الرسـائل المُوَجَّهـة إلى جوومونـدور إنجلبرتسـون وسـيجريور إنجيبيـروك سـيجورجارتاردوتير. تسـتغرق قـراءة كلِّ اسـمٍ حـوالي دقيقتـين. وبالعـودة إلى غرفـة المعيشـة، أجِـدُ بعـض الصـور العائليـة في إطـارات عـلى خزانـة كبـيرة.

(1) The Bold and the Beautiful: مسلسل أمريكي أنتج عام 1987.

يبـدو أن لديهـم طفلـين. فتـاة وصبـي. تشـبه الفتـاة الصغـيرة ذات الشَّعر الثلجي أمَّها قليلًا. لا يـزال المنـزل يبـدو خاليًـا تمامًـا مـن الأطفـال. ربمـا قامـوا بتخزينهـم بعيـدًا في بعـض المـدارس البطريركيـة الإعداديـة. أو تبرَّعـوا بهـم للعمـل التبشـيري في موزمبيـق. هنـاك صـورة جميلـة تُظهِـر جميـع أفـراد الأُسرَة في أمريـكا: أربـع ابتسـامات مُقدَّسـة في قُـدَّاس روديـو في الهـواء الطَّلـق.

بطريقـة مـا يُذكِّـرني هـذا بعمليـة رقـم 43. الرَّجُـل البديـن خـارج الكنيسـة في أتلانتـا. قطَعَـت رصاصتـي مسـافةً مُذهِلَـةً بـين مبنيَـيْن في المدينـة قبـل أن تدخـل رأسـه، واحـدة مـن أكـبر عملياتي. كان يرتـدي قُبَّعـة رُعـاة بقـر بيضـاء مصنوعـة مـن اللبَّـاد- نـوع الخامـة التـي تمتـصُّ السـوائل. حـين قُـدتُ سـيارتي نحـوه متجـاوزًا المشـهد بـدا الأمـر كلـه رائعًـا جـدًّا وهادئًـا وبريئًـا: لقـد سـقط رَجُـلٌ سَـمينٌ عـلى الرصيـف، لا شيء أكـثر مـن ذلـك. رَجُـلٌ سَـمينٌ بقُبَّعـةٍ حمـراء جميلـة.

المـاء في الحـوض سـاخِنٌ للغايـة. ميـاه بـركان. لا بُـدَّ لي مـن تبريـده قبـل أن أضـع جسـدي فيـه. أسـتلقي هنـاك لمـدَّة سـاعة بينـما يسـافر ذهنـي إلى المناطـق كثيفـة الأشـجار في جمهوريـة مونيتـا العزيـزة الحلـوة. مُستَخلَص البَظْـر بنكهـة الغابـة المُظلِمـة؛ يقطـر شـهوة عنيفـة تجـري عـلى أوراق سـميكة. ببـطء شـديد.

عنـد الميـناء، صادَفـتُ والـدتي واقِفـةً خـارج متجرهـا الصغـير، ترتـدي تنُّورتهـا الشـيوعية المُروِّعـة وبلـوزة مارلـين مونـرو، بجبـيرة بيضـاء عـلى ذراعهـا الأيمـن، وبقبضـة في يسراهـا، تـضرب الهـواء وتـصرخ في وجهـي: "هـذه المـرأة الأشـبه بدجـاج التَّنـدوري هـي مُجـرَّد مُتعَـة وليسـت شريكة! حـين تختـار زوجـةً، عليـك أن تجمـع بـين القلـب والعقـل. لكنَّـكَ لا تتحـدَّث إلى أيٍّ منهـم وتـدع قضيبـك يُقـرِّر! لقـد أحبَبـتُ والِـدَكَ لمـدة اثنـين وأربعـين عامًـا. أحبَّنـي هـو لمُـدَّة أربعـين. أول عامـين كان لا يـزال

يضاجع چوردانا، العاهرة الصربية. ولكن بعد ذلك سَئِم منها وأبقى قضيبه في المنزل بعد ذلك. أنت محظوظٌ لأنَّكَ وُلِدتَ بعد أن انتهت حياته الجنسية! وإلَّا لكُنتَ وُلِدتَ صربيًّا وقتَلَكَ أخوك في الحرب. دعني أقول لك: الشَّهوة لا تدوم! وحده الحب يفعل! أنت تحطِّم قلبي، وتُحطِّم ذراعي، وتُحطِّم كل وعودك. أخبِرني يا تومو، متى ستعود إلى دراستك؟".

درست هندسة المناظر الطبيعية لمدة عام ونصف في مدينة هانوفر الرائعة بألمانيا. هناك قابَلتُ نيكو نيفولجا (المشاغب نيكو) الذي عرَّفني على عِلم الخداع. بدأ كل شيء بصفقات كوكايين صغيرة. ثم انتقلنا إلى تهريب المُخدِّرات والأسلحة النارية، وأخيرًا تعرَّفنا على فَنِّ التَّلاعُب بنتائج المباريات. مساء كل جمعة، نتناول العشاء مع حَكَم كرة قدم مختلف من أحد أعضاء الدوري الألماني في الدرجات الدُّنيا.

لم يكونوا أمتعَ شُرَكاء للعَشاء (كنتُ دائمًا أقوم بِكَيِّ قميصي في الليلة التي تسبق المباراة) لكن مشاهدة تمثيلهم في اليوم التالي لم تكن أقلَّ من إدمان. التَّبرُّع بركلات الجزاء والامتناع عن الأهداف الممتازة. اللاعبون غاضبون، والحشد غاضب. وكان كل هذا صنيعَ عَمَلِنا. كانت المناظر الطبيعية المعماريَّة في الخارج، والمناظر الطبيعية الاجتماعية في الداخل. وككرواتٍ أضفنا لمسةً إضافيَّةً إليها. سواء فاز الألمان اللعينين في المباريات الدولية ضدَّنا أو فُزنا بجميع المباريات في الدوري الألماني. وبعد ذلك قُمنا بجمع الأموال من يانصيب كرة القدم. كنَّا نفعل ذلك من أجل الوطن الأم. لقد دمَّر حَمقى المخلَّل الملفوف[1] نصفَ جيل جَدِّي.

أجلس بين الوسائد على الأريكة، مع منشفةٍ بيضاء مسيحية حول خصري، أتصفَّح القنوات التلفزيونية المحلية، عندما فُتح الباب

---

(1) Sauerkraut: تعني العُشب الحامض، ومشهور كفاتح شَهيَّة من المطبخ الألماني.

الأمامـي فجـأة، واندفَعَـت فتـاةٌ شـقراء في العشرينـات مـن عمرهـا إلى الداخـل. تتَّجـه إلى المطبـخ دون أن تلاحـظ قاتِـلَ أحلامهـا، وتبـدأ في فتـح كلِّ دُرج. تبـدو في عَجَلـةٍ مـن أمرهـا، فتكيـل بالشـتائم داخـل كلِّ دُرج قبـل أن تغلقـه بضجَّـةٍ كبـيرة. "خـراء!".

أخـيراً، هنـاك صمـت. لا بُـدَّ أنهـا سَـمِعَت التلفـاز، وبعـد ثـوانٍ تقـف عنـد المدخـل وتسـألني شـيئًا يبـدو مثـل:

"مَن... شاذ؟".

"معذرة".

فتحوَّلَت إلى انجليزيَّةٍ مثالية:

"مَن أنتَ؟ ما الذي تفعله هنا؟".

"أنـا تـو...- أنـا الأب فرينـدلي. لقـد وصلـتُ للتَّـوِّ هـذا الصبـاح، مـن نيويـورك. لقـد أخـبروني جودمونـدور وسـيكريدر...".

"آهـا" تتنهَّـد بـلا مبـالاةٍ وتختفـي مـرَّةً أخـرى في المطبـخ. هنـاك نجَّـارٌ أصلـع عـلى الشاشـة يقـرأ مـن كتـابٍ حتـمًا هـو الكتـاب المقـدَّس. يبـدو أنـه قـد صنعـه بنفسـه. لا بُـدَّ وأن هـذه قناتهـم. صحيـح، الحـرف "أ" يـضيء في الزاويـة العلويـة. يجـب أن يُسـمُّوها "أومـين"[1] بـدلًا مـن "آمـين".

هـذا تلفزيـون بكامـيرا واحـدة: نمـط الحيـاة فيـه سـاكِنٌ، والنبـات الميـت في الخلفيـة، وبدلـة النَّجَّـار البولنـدي، والطريقـة التـي يُبعِـدُ فيهـا نظـره عـن الكتـاب فقـط كل ثـلاث صفحـات (كـما لـو كان يتحقَّـق مـن ضـوء التسـجيل الأحمـر الخـاص بآلـة التصويـر). كل هـذا يجعـل التلفزيـون الحكومـي الكـوري الشـمالي يبـدو وكأنـه قنـاة ترفيـه إم تي فـي.

---

(1) Omen: بمعنى: نذير شؤم.

يـا للمسـاكين. لا يمكـن لمكانـة ديـكان كرئيـس عصابـة كبـير أن تتـأذَّى بظهـوري عـلى هـذه القنـاة الرديئـة. ووفقًـا لتعبـيرات وجـه النَّجَّـار، فهـو يعلـم أنـه لا يتحـدَّث إلى أكـثر مـن عـشرة مشـاهدين.

أنهـض مـن الأريكـة، وأتأكَّـد مـن أن المنشـفة ضيِّقـة حـول خـصري، وأتَّجِـه إلى المطبـخ. أُرخـي بطنـي الخجـول -فهـي دائمًـا مـا تُشـفَق عـلى مـرأى مـن الفتيـات الخطـيرات- قبـل أن تظهـر في المدخـل كإصـدارٍ حديـث ومُضخَّـم قليـلًا مـن أدونيـس. لا تـزال الفتـاة تبحـث في المطبـخ بسرعـة مثـل لـصٍّ.

"أتبحثـين عـن شيء؟" أسـألها بنـبرة أقـرب إلى الترنيمـة، وصـوت يشـبه صالـة الألعـاب الرياضيـة.

"بـلى، مفاتيحـي" تُتَمتِـم في الخزانـة. جسـدها نحيـف، وثديـان صغيران، ومؤخِّرتهـا مشـدودة وصُلـبة كوسـادة هوائيـة منتفخـة بالكامـل. إذا كانـت المـرأة الوحيـدة في كتيبتنـا وكُنَّـا عالقـين في الجِبـال لمـدَّة شـهر؛ كنـتُ سـأبدأ بالحلـم بهـا في اليـوم الأول.

"مفاتيحُكِ؟ هل تعيشين هنا؟".

هـذا الكاهـن يتحـوَّل إلى معتـوه، أو مورمـون، أو أيًّـا كان. تديـر رأسـها وتنظـر إليَّ لفـترة مـن الوقـت. تنسـحب البطـن عـلى الفـور للاختبـاء، وتزحـف بطـول الطريـق إلى القفـص الصـدري. الـشيء الصغـير المسـكين. يبـدو أن الفتـاة تأسـف لبطنـي ولا يَسَـعُها إلا البحـث عنهـا، فتنزلـق عيناهـا إلى منتصفـي، وربمـا تتسـاءل عـمَّا إذا كان برنامجهـا يُدعِّـم الإصـدارَ المُحـدَّث مـن أدونيـس. في النهايـة أوشَـكَت أنفـاسي أن تنتهـي.

لكـن منحنـي هـذا وقتًـا لفحصهـا. شَـعرُها أكـثر مـن أشـقر، لهـا لـونُ الزُّبـدة الطازجـة في الثلاجـة، قبـل أن تصبـح طريَّـةً وصفـراء. تبـدو بشرتهـا ناعِمـةً بشـكلٍ لا يُصـدَّق، بيضـاء مثـل جبنـة فيلادلفيـا الكريميَّـة، لم يَمَسَّـها أحـدٌ في علبتهـا. الأنـف صغـير، مـع طـرف مُتَّجِـه لأعـلى يشـبه

الجزء العلوي من مخروط الآيس كريم، الجزء الأخير الذي يخرج من الماكينة والذي تضعه في فمك أوَّلًا. عيناها زرقاء كمشروبٍ رياضي، وشفتاها السميكتان تلمعان مثل شربات الفراولة.

ووه. خرجت معدتي من الاختباء وبدأت في النَّحيب مثل طفل يريد تناول الحلوى. أوه يا رَجُل. إنها ليست مجرَّد فتاة اليوم الأول؛ إنها فتاة الفجر.

"لا، أنا لا أعيش هنا" أخيرًا قالت بتنهيدة شديدة مليئة بالانزعاج. "أنا ابنتهم، أضَعتُ مفاتيحي. لا أستطيع الدخول إلى شقتي. اللعنة! يجب أن أكون في العمل في العاشرة ولا يمكنني الذهاب هكذا!".

إنها ابنة الواعِظَيْن على الرغم من أنها تتحدَّث مثل ملكة حفلة موسيقية وثنية، أو ملكة إباحية. لغتها الانجليزية مأخوذة مباشرة من قناة إم تي ڤي، وتهزُّ رأسها مع كلماتها في تقليدٍ لِلُغَة السُّود. إنها تنتمي إلى جيلٍ موشوم من أساتذة إزالة الشَّعر بالشَّمع، نشؤوا على أغنية ثونج[1]، أولئك العازمين على تحويل المَعِدَة إلى "أثداءَ جديدةٍ".

يتوَّج هذا الفستان بالذات بِسُرَّة مثقوبة تتباهى بين بلوزة رفيعة ضيِّقة وجينز أنيق للغاية. تتشكَّل أطراف حذائها الأسود مثل الكعب العالي، وهي تقطع الهواء بأظافرها البيضاء الطويلة أثناء حديثها.

"هل يُفتَرَض أن تكون المفاتيح هنا؟" أسأل بطريقة أبَويَّة. "بلى. قالت أمي إن لديها مفتاحًا إضافيًّا، ولكن لا يمكنني العثور عليه... سحقًا!".

لقد سبق لها أن قالت "اللعنة"، وهنا تأتي كلمة "س". لقد أنجب الزوجان المقدَّسان عاهِرةً.

"لماذا لا تهاتفينها" أسألها.

مكتبة
t.me/soramnqraa

---

(1) Thong: أغنية هيب هوب صدَرَت في 1999.

"إنهم يسجِّلون برنامجها الآن. هاتفها في وضع صامت".

يبدو أنها تتألَّم من شُهرة والدتها التلفزيونية. أُشفِق على الفتاة المسكينة وأقول:

"ربما يمكنني مساعَدتُكِ للوصول إلى بيتك".

"تقصد، بدون مفتاح؟ هل ستستخدم الصليب؟".

"قد نجرِّب ذلك. صليب وبَرَكة سريعة" أقولها بنبرة ودودة[1] تمامًا.

لقد سيطر عليَّ الكاهن تمامًا، فحتى وأنا عارٍ أبدو كرَجُل دينٍ. نظرت إليَّ بمفاجأة في عينيها الزرقاوين بينما أدخل المطبخ، وبدأت في البحث في الأدراج عن سِكِّين يُشبِه الخنجر السويسري الصغير الذي أحتفظ به في جيبي منذ أعطاه لي الرفيق بريزميتش على فراش الموت، طاولة مطبخ مُهتزَّة في منزل تَعرَّض للقصف في قرية ق.ك.م (قرية كلها موتى).

بفضل بن لادن، اضطررت إلى تركها ورائي في مدينة نيويورك. آه... ها! أعثر على بديل مناسب.

خرجنا وجلسنا في سيارتها السكودا فابيا المُستَعمَلة، أرتدي ثيابي الجديدة، وهنا أسألها عن اسمها.

"جانهولدر" أجابت وانطلَقَت في الشارع.

(1) يستخدم الكاتِبُ هنا اسم Friendly بشكل مُزدَوَج.

# 6
# جزيرة ليليبوت

## 2006/05/16

تقـود جانهولـدر أعـلى تَلَّيْن بالـكاد يكسـوهما العشـب ومبـانٍ قصـيرة وقبيحـة. تقـترب مـن مدينـة ريكياڤيـك. يبـدو الاسـم مثـل دوبروفنيـك[1]، لكنـه أشـبَهُ بمدخـل سـبليت، بـكل الطُّـرُق السريعـة واللوحـات الإعلانيـة بالإضافـة إلى الملاعـب الرياضيـة مـن حـينٍ لآخـر. (ألاحـظ أن المدرجـات بالـكاد أكـبر مـن المقاعـد). تشـبه هـذه المدينـة مَسـقطَ رأسي، عندهـا انقسـام في الشـخصية: مركـز تاريخـي وضَـواحٍ هيسـتيرية.

يبـدو أنهـم حصلـوا عـلى نصيبهـم مـن الشـيوعية هنـا أيضًـا. تصطـفُّ مشـاريع الإسـكان الخرسـانية عـلى جانـب الطريـق تحيَّـةً للـماضي التوليتـاري. اعتدنـا أن نعيـش في أحـد تلـك الوحـوش الرماديـة قُـربَ اسـتاد كـرة القـدم، قبـل أن ننتقـل إلى وسـط المدينـة، إلى مبنـى أقـدم مـن

(1) dubrovnik: مدينة في البحر الأدرياتيكي في جنوب كرواتيا.

مدينة نيويورك نفسها. أذكر أننا اضطررنا إلى ترك سيارتنا لأن الشوارع الضيقة في البلدة القديمة لا تُدعِّم أي حركة مرور للسيارات، ولكن كان أبي يصطحبني وشقيقي الأكبر داريو كلَّ أحد لزيارة يوجو القديمة الحبيبة، حيث لا تزال هناك ساحة سيارات في حينا القديم القبيح.

تعيش جانهولدر في وسط المدينة، بالقُرب من "البِركة"، وهي بحيرة بَجَعٍ صغيرة بالقُرب من الميناء. ها نحن نعود إلى البرچوازية: منازل ذات أسقُف جَمَلونيَّة ونوافذ فرنسية تملأ المنحدرات المحاطة بالماء، وتُحدِّق فيها مثل الضيوف الفخورين في حفلة رأس السنة الجديدة يقفون في حلبة رقص فارغة. لكننا لم نَصِل إلى هناك بَعدُ.

لا تزال الفتاة تقود طريقًا سريعًا يُسمَّى "كيلينج ماي رابيت"[1] أو شيء قريب من ذلك. يبدو أن الأيسلنديِّين لديهم ذوق أمريكي أصليٌّ في تسمية الأشخاص والأماكن. أخبرتني جانهولدر أنَّنا قُدنا للتَّوِّ عبر بلدة تُسمَّى كابوور[2].

"ولكن هذه ريكياڤيك؟" يسألها الأب فريندلي وهو يضبط الياقة الخشنة على رقبته السميكة بإحدى يديه بينما يشير إلى الزجاج الأمامي باليد الأخرى.

"نعم، نحن الآن في ريكياڤيك".

"يقولون إنها مدينة تارانتينو؟".

أووبس. يبدو هذا مُتساهِلًا بعض الشيء بالنسبة لرَجُل كنيسة. أضيف بسرعة: "أعني، المدينة المُفضَّلة لتارانتينو؟".

(1) Killing My Rabbit: تحريف من اسم أيسلندي.

(2) Cop War.

نظـرت إليَّ بسرعـة -مُتسـائِلةً عـمَّا إذا كانـت تجلـس في سـيارة مـع واعـظٍ عِلمِلوچـي[1] شـهير، وهـو رَجُـلٌ يقـضي عطلاتـه في لعـب الجولـف مـع تـوم كـروز وچـون تراڤولتـا- قبـل أن تقـول:

"بـلى. لقـد كان هنـا ليلـة رأس السـنة الجديـدة. صديقتـي تعرفـه، إنـه بخير".

كم أنا سعيد لأنني لم أقتله.

بعـد خليـجٍ يبـدو كجزيـرة، ثمَّـة جَبـلٌ طويـل يحـرس المدينـة في الشـمال. لـه شَـكلُ حـوتٍ عمـلاق تقطَّعَـت بـه السُّـبُل عـلى الشـاطئ. تحيـط بالمدينـة المزيـد مـن الجبـال شـمالًا وشرقًـا، مسـتلقيةً بطـول الأفـق مثـل النمـور الزرقـاء التـي تتناثـر فيهـا الثلـوج البيضـاء. يمكننـي أن أراهـا بوضـوح مثـل أطـراف حـذائي، بالرغـم مـن بُعدهـا بُعـدَ هامبتونـز عـن هـارلم[2]؛ وذلـك لأن الهـواء نظيـف كنافـذة بـرج ترامـب. المحيـط شـديد الزُّرقـة، ويمكننـي أن أرى أمـواج تتشـكَّل وتتكَّـسر عـلى مـدى البـصر. كل شيء هنـا نقـي وواضـح تمامًـا، كعَقـلِ قاتـل عديـم الرَّحمـة.

ينبعـث صـوت جاسـتن تيمبرليـك[3] مـن راديـو السـيارة، وتعجُّ الشـوارع بالمـرور، لكـن تخلـو الأرصفـة تمامًـا. يُذكِّـرني هـذا بسرايبڤـو أثنـاء حظـر التَّجـوُّل عـلى نحـوٍ مـا. ظـروف ممتـازة لطلقـات النـار مـن الأسـطح إلى أهـداف عـلى الرصيـف. أغلـب السـيارات يابانيـة أو أوروبيـة، وكلهـا تبـدو جديـدة تمامًـا. هـؤلاء النـاس أثريـاء حقًّـا. كل السـيارات الأخـرى هـي سـيارات دَفْـعٍ رباعـي، والعديـد منهـا تقودهـا ملـكات الجليـد الشـقراوات كالزُّبـدة مثـل جانهولـدر. أيـن كل أزواجهـن؟

"هل خُضتُم حربًا مؤخَّرًا؟" أسأل.

---

(1) سينتولوچيا (scientology) فلسفة دينية تستند إلى النظريات العلمية تأسَّسَت في 1954.

(2) Hamptons and Harlm مناطق في مدينة نيويورك الأمريكية.

(3) مُغَنٍّ أمريكي.

"حرب؟ لا، ليس لدينا جيشٌ حتى".

لا بُدَّ وأنَّكِ تمزحين.

"لماذا تسأل؟" تسألني.

"أنا فقط أتساءل أين كُلُّ الرجال. لا أرى سوى نساء عازباتٍ يَقُدن تلك السيارات".

"معظم الناس لديهم سيارتان، واحدة له وأخرى لها".

ألقي نظرة على سيارة رانج روڤر سوداء في الحارة المرورية المجاورة لنا. تقودها امرأة تشبه ڤيرچينيا مادسن[1].

"فهمتُ. لكن هذه لا تبدو سيارة نسائية أليس كذلك؟".

رمَقَتني جانهولدر بنظرةٍ شَرِسة. "المرأة في أيسلندا مساوية للرَّجُل".

أنظر إليها لِلَحظةٍ، ووفقًا للميل الصَّارم لأنف الآيس كريم، عليَّ أن أحاول على الأقل أن أصدِّقها. مساوية للرَّجُل... حقًّا؟

يبدو أنها غاضبة مني، فاختَصَرتُ في إجاباتها على أسئلتي اللَّاحِقة. نعم، خمس درجات باردة قليلًا على هذا الوقت من العام، عشر درجات أمرٌ طبيعي (!). نعم، كانت تحتفل الليلة الماضية. ونعم، جاستن تيمبرليك مشهور جدًّا في أيسلندا. (يبدو أنني قرَّرتُ أن الأب فريندلي رَجُلٌ مُمِلٌّ جدًّا).

تدخل جانهولدر البلدة القديمة. الأشجار هنا أطول والشوارع ضيقة. تركن السيارة سكودا في شارع جانبي شديد الانحدار، خارج منزل أخضر صغير بسقف أحمر صدئ. هذا المنزل مُغطًّى بالحديد المُشكَّل من كافة الجوانب كباقي المنازل في وسط المدينة، وكأنه

(1) ممثلة أمريكية.

يسـتعدُّ للقتـل بسـترة واقيـة. في الواقـع يمكننـا اسـتخدام هـذا المنـزل: سـترات واقيـة مـن الرصـاص للمبـاني.

تعيـش جانهولـدر في الطابـق الثـاني. يرشـم الأب فرينـدلي إشـارة الصليـب أمـام بابهـا قبـل أن يفتحـه بسـكين مطبـخ صغـير مـن مجموعـة والدتهـا. تنظـر إليـه الفتـاة كـما لـو أنهـا شـاهدت للتـوِّ مُعجِـزةً.

"تفضَّـلي" أقـول بأكـثر الطُّـرُق تَدَيُّنًـا، ثـم أفتـح لهـا البـاب. تخـبرني أن أنتظـر وتختفـي في الداخـل. بيتهـا عـلى النقيـض منهـا تمامًـا، إنـه فـوضى كاملـة. لاحَظَـت وجودَ بُـرج مـن علـب البيتـزا الفارغـة عـلى رَفِّ المطبـخ، الملابـس الداخليـة والجينـز والقمصـان والشـيكولاته عـلى الأرض، نصـف أحمـر شـفاه مُسـتخدَم وشـطيرة نصـف مأكولـة. رائحـة الجِعَـة التـي ظلَّت مفتوحـةً لمـدَّة أسـبوع. ومـع ذلـك، بطريقـة غريبـة، تبـدو هـذه الشَّـقَّة أقـرب بكثـير إلى المسـيح مـن مـكان والِدَيْهـا. أقـرب إلى مخبـأ رسـول.

تعمـل جانهولـدر في مقهـى بوسـط المدينـة. هـي نادِلـةٌ زميلـة إذن. عرَضَـت إعـادة صاحـب المعجـزة إلى البيـت المُقـدَّس، لكننـي لا أطيـق العـودة إلى حدائـق الصَّمـت هـذه. عـلى أي حـال، لقـد تأخَّـرَت بالفعـل عـن نوبتهـا في العمـل. أُرافِقُهـا سـيرًا إلى العمـل، الكاهـن وابنـة الواعـظ. إنهـا تغـذُّ السـير كسـاكنة في نيويـورك، والأب فرينـدلي يحتـاج إلى كلِّ طاقته لمجاراتهـا، وفجـأة نجتـاز السـفارة الأمريكيـة، مبنـى طويـل بطـول ابتسـامة لـورا بـوش، وبَيـاض أسـنانها. الجبهـة مُزيَّنـة بسِـتِّ كامـيرات مراقبـة. يحـرس المدخـل بعـض البلهـاء بنظـراتٍ ثاقِبـةٍ في زيٍّ رسـمي. أخفـض رأسي وأبـدِّل مـكاني مـع جانهولـدر إذ أمُـرُّ بالسـفارة، وأتَّخِذُهـا كـدرعٍ بـشري بأسـلوب أ.ق.أ. لقـد اندهَشَـت مـن حركتـي المفاجئـة، ووجههـا اللطيـف اللعـين يُظهـر نفـسي الحقيقيـة اللعينـة، فأتذمَّـر سـهوًا وأُتَمـتِـم: "اللعنـة" فتسـمعها.

"كاهن يقول اللعنة؟".

أقول "بالتأكيد، يمكننا أن نقول ذلك. نحن فقط لا نستطيع القيام بذلك".

إنها تبطئ قليلًا.

"صحيح. إذًا... لم تَقُم أبدًا بـ... أنت بَتول؟".

"هذا أمرٌ يَخُصُّني، بينما عليكِ أنتِ استكشافه".

تَبيَّن أن مقهاها عبارة عن حانة صغيرة رائعة في قلب المدينة تُسمَّى كافيه باريس. يبدو وكأنه ستاربكس من فئة ثلاث نجوم مع قسم للتدخين، لكنني سعيد لوجودي بالداخل، أَفرُكُ يدي كما لو كُنَّا في يناير.

إنهم لا يمزحون بشأن ربيع القطب الشمالي. تضع جانهولدر مئزرها وتحضر لي لاتيه أيسلندي مع جرعة مزدوجة من الضيق. على الرغم من كل ما قدَّمته من معجزات، إلا أنها لا تزال تكره الأب فريندلي ومعدته المنتفخة. يعطيها ابتسامةً غبيَّةً مُقدَّسة.

"هل يحتفظ والدك بمسدس في المنزل؟".

"مسدس؟ هذا سؤال غريب".

"نعم. في الولايات المتحدة نحتفظ جميعًا بمسدس في المنزل. فما يُدريك خاصَّة إذا كنتَ قِسِّيسًا".

إنها تُدير عينيها المبهرتين. "لا أحد لديه مسدس في أيسلندا. إنها دولة آمِنَة".

هذا هراء! لو أجريتُ بعض المكالمات خلال أسبوع ستصبح مُستَعمَرة كرواتية.

إنها الساعة العاشرة والنصف من صباح يوم الأربعاء، ونحن ثلاثة في المقهى. أحصي فردَيْن في الشارع. إذا كان هكذا وسط المدينة

فـلا عجـب مـن صمـت الضواحـي. تبحـر السـيارات ببـطء. لا يمكننـي تَخطِّـي كل هـؤلاء السـيدات الرائعـات الـلائي يشـبهن زوجـات أو بنـات المليونـيرات، مـع نظّـارات بـرادا الشمسـية، وشَـعر بـاربي، وشـفاه ممتلئـة كالوسـائد الهوائيـة.

وفقًـا لقياسـاتي، جميعهـن يتراوحـن بـين اليـوم الثـاني إلى اليـوم الرابـع. وهــذا يُذكّـرني بأسـبوع عمـلي في سـويسرا، عندمـا أوصلتنـي دراسـاتي المعماريـة إلى قريـة صغـيرة في جبـال الألـب للبحـث عـن منطقـة تزلُّـج جديـدة تمامًـا. شـعرت أن الأسـبوع شـهرٌ.

لقـد كانـت أكـثر هـدوءًا مـن بيلاروسـيا اللعينـة. كان الأشـخاص الوحيـدون في الخـارج بعـضَ رَبّـات البيـوت الـلاتي لا يَمَسَـسهُن بَـشَرٌ، بتصفيفـات شَـعر جوتـشي، يتناولـن غـداء بمئـات الـدولارات في مطعـم القريـة، بينـما يقـضي أزواجهـن أيامهـم في المدينـة، محبوسـين في خزائنهـم المصرفيـة.

يذكّروننـي بملكـة إسـبانيا، أولئـك النسـوة الـلاتي يرتدين الفِـراء والكعب أثنـاء مرورهــن ببـطء عـلى متاجـر المجوهـرات (الأثريـاء يسـيرون دائمًـا ببـطء، بسـبب ثِقَـل جيوبهـم عـلى مـا أعتقـد). كانـوا جميعًـا مـن طـراز اليـوم السـادس والعشريـن عـلى مقيـاسي، لكـن بحلـول اليـوم الخامـس، كنـت عـلى شـفا اغتصـابٍ جَماعـيٍّ. لقـد تخيَّلـتُ العنـوان الرئيـسي في إنترناشـونال هيرالـد تريبيـون: "طالِـب يُضاجِـع خمـس عـشرة... ثم نفسـه".

أنهيـتُ قهـوتي ودفعـتُ ثمنهـا ببطاقـة إيجـور. لا يبـدو أن جانهولـدر لاحَظَـت ذلـك. أسـألها عـن أشـياء يمكـن للسـائح الـودود القيـام بهـا، فتشـير مـن النافـذة.

"كلُّ شيء هنـاك: الكاتدرائيـة، البرلمـان، تمثـال چـون سيكريتسـون، بطلنـا القومـي...".

لا بُدَّ أنها تمزح. الكاتدرائية بحجم منزل كلبٍ يقوم الله بتربيته (أتخيَّل أن لديه كلب شيواوا ثلاثي الألوان)، ومبنى البرلمان ليس أكبر من منزل جَدِّي في جورسكي كوتار. أنا في جزيرة ليليبوت.

أحاول التَّوغُّلَ في منطقة وسط المدينة، لكنها لا تزيد عن ثلاث كُتَلٍ مُربَّعة. من الأسهل أن تفقدها بدلًا من أن تضيع فيها. كيف لي أن أحافظ على أ.ق.أ الخاص بي في هذه المدينة؟

انحرَفتُ متجاوزًا جنَّةَ تَسوُّقٍ للصيادين، وأغراني مشهد البندقية في الداخل. يبدو البائع رَجُلًا لطيفًا بنظراتٍ حانيةٍ كأنه فريسة. أطلب مُسدَّسًا، بندقية، أيًّا كان، مجرد شيء جيد لإطلاق الرصاص. نظر إليَّ للحظة قبل أن يخبرني بلهجة بريطانية مُصطَنَعة، أنهم يبيعون بنادق للصيد فقط، وليس مُسدَّسات.

"حسنًا. هل يمكنك إخباري أين يمكنني شراء مسدس في هذه المدينة؟".

"أنا آسف، لا يمكنك ذلك. ليس في مَتجَرٍ على الأقل".

ما خطب هؤلاء الأيسلنديين؟ لا جيش، ولا بنادق، لا شيء. فقط نساء رائعات يَقُدن سيارات دفع رباعي فاخرة، ويتجوَّلن حول المدينة الرائقة الكبيرة في عرباتهنَّ الدافئة، على أمل التقاط قاتِلٍ مُحترِف يتظاهر بأنه كاهن.

أوافق على سكين الجيش السويسري على غرار سِكِّيني القديم، بما أنني لا أستطيع الحصول على مسدس.

أتساءل ما إذا كان الأب فريندلي كاثوليكيًّا أم أن لديه زوجة؟ صغار في السن؟ في الواقع لا أعرف لماذا بحقِّ الجحيم أفكِّر في هذا. عادة لا أريد أن أعرف أي شيء عن ضحاياي. الأمر كأيام الحرب، أقتل الغُرَباء ولا أشعر بهم. هم مجرَّد رأس آخر أدفس فيها رصاصتي. لا أريد حتى

أن أعـرف لمـاذا يسـتحقون المـوت. عـادة مـا يرفضـون دفـع جزيتهـم، أو يفشـلون في تسـليمها لديـكان، أو يظهـرون بنفـس ربطـة العنـق التـي حـضر بهـا حفـل توزيـع جوائـز أوسـكار المافيـا، لكـن يجـب أن أعـترف أن قتـل الأب فرينـدلي كان مختلفًـا. لم يكـن احترافيًّـا، بـل عاطفـي. اضطـررتُ لقتلـه لإنقـاذ مؤخِّـرتي. كان مـزج بـين المؤخـرة والعاطفـة.

أثنـاء المـشي، لاحظـتُ أن سـكان ريكياڤيـك يتحرَّكـون بسرعـة، كـما لـو كانـوا يعتقـدون أن هـذه كانـت نيويـورك وليسـت أصغـرَ عاصِمـةٍ في التاريـخ. كـما لـو أنهـم تأخَّـروا جميعًـا عـن مقابلـة عَمَـلٍ في شركـة ميريـل لينـش. لا بُـدَّ وأنـه الـبرد. الزمـلاء الوحيـدون الذيـن يجلسـون في دفء عـلى المقاعـد هـم في حالـة سُـكرٍ لدرجـة لا يمكنهـم معهـا الشـعور بـه.

يحاوطنـي الوجـه الوطنـي الأيسـلندي: دائـري، وأنـف صغـير، مثـل كـرة ثلـج بداخلهـا حصـاة. أعتقـد أن كلَّ أُمَّـة لهـا سِـمَةٌ مميـزة في وجههـا. نحـن السِّـلاڤيون لدينـا أنـف، أنـف كلـب قـوي يمكننـا مـن خلالـه شَـمُّ رائحـة المتاعـب حتـى القـرن الثـاني عـشر. الأفارقـة لديهـم الشِّـفاه، والعرب لديهـم الحواجـب، والأمريكيُّـون لديهـم الفَـكُّ، والألمـان لديهـم الشَّـارِب، والإنجليـز لديهـم الأسـنان، والطِّليـان لديهـم الشَّـعر. يبـدو أن الأيسـلنديين اختـاروا الخَدَّيـن. بعـض هـذه الوجـوه عبـارة عـن خَدَّيْـن فقـط بينهـما ثَقـبٌ وعينـان غائرتـان.

لكنهـم في الغالـب يتحدَّثـون الانجليزيـة أفضـلَ مِنِّـي. تَحدَّثـتُ مـع ثلاثـةٍ منهـم قبـل أن أجـد مكتبـة المدينـة. هنـا لديـك 470.000 كتـاب تحـت تَصرُّفِـك، كلهـا باللغـة الأيسـلندية. (قـال الرجـل مـن الطائـرة إن الكتابـة هـي إحـدى الصناعـات الأساسـية في أيسـلندا)، وهنـا يمكنـك الوصـول إلى الإنترنـت. أعطـاني رَجُـلٌ مُلتَـحٍ -يبـدو دودةَ قـراءة- رمـزًا. أضرب الأرقـام عـلى لوحـة المفاتيـح، وينفتـح العـالم الكبـير أمامـي. القـسُّ

ديڤيد فريندلي هو قسٌّ كنيسة ويستمور المعمدانية في ريتشموند، ڤيرچينيا.

عُذرًا، كان قسيسًا وبالإضافة إلى ذلك كان لديه برنامجه التلفزيوني الخاص، "ساعة مع فريندلي" على شبكة سي بي إن، شبكة البَثِّ المسيحية التي يملكها الرجل المجنون بات روبرتسون، المُرشَّح الرئاسي السابق والمعارِض الأبَديُّ للإجهاض وحقوق المثليِّين. يظهر القسُّ فريندلي بشَحمِه ولحمه في إحدى الصُّوَر: رأس أصلع مستدير بابتسامة كبيرة ونظارات صغيرة. إنه مُحاطٌ بأطفال سُعَداء، كلهم من البيض، بالإضافة إلى الطِّفل الأسود المعتاد. عبَّر أحد مواقع الويب عن موقفه ضد "مباركة زواج مِثليِّي الجنس". كان لدى الأب فريندلي رُهابُ المِثليَّة.

أعتقد أنه كان يستحقُّ الموت.

أحاول البحث عن اسمه على جوجل باستخدام كلمات رئيسية مختلفة مثل "قتل" و"مقتل" و"موت" دون أي نتائج جادَّة. لم يتصدَّر الأخبار بعد. ما زالوا لم يتعرَّفوا على جُثَّته، على الرغم من أنني تركتُ كارِهَ المثليِّين السَّمين مرتديًا جواربه النَّتِنة وبنطاله وسرواله الداخلي، نائمًا في حمَّام الرجال. تحتوي النتيجة الوحيدة لبحثي الأخير على مقابلة مع فريندلي حيث أعرب عن "تَفهُّمه لأشخاص مثل السيناتور كوبرن الذي يفضِّل عقوبة الإعدام لمجرمي الإجهاض وغيرهم ممَّن يُزهِقون الأرواح".

يريدني القسُّ فريندلي ميِّتًا.

# 7
# الأب غضبان

## 2006/05/16

أجلس في مقهى البحرين. نعم أعتقد أنه اسمه كافيه البحرين. لا يوجد ما هو عَربيٌّ في الموضوع رغم ذلك. مجرَّد محلٍّ قديم صغير ولطيف مع كراسي تصرٌّ وفتيات من طراز اليوم الثالث، والبعض يُدخِّن.

لم أذهب إلى حانةٍ يملؤها الدُّخان منذ سنوات، وهذا صعب بعض الشيء على عيني. أفهم أن حظر التدخين أمرٌ جادٌّ هنا، في مركب شِراعيٍّ مُشمِس يُسمَّى آل جور. من جهة أخرى قد تشهد كرواتيا حربًا أخرى غير الإقلاع عن التدخين. فقط بعد مرور خمسين عامًا بلا حرب، تبدأ في القلق من أشياء مثل جودة الهواء في الحانات.

أحتَفِل بيومي الأول في المنفى، مع البيرة الخامسة. إنها الساعة الثامنة مساءً تقريبًا، ولكن لا يزال الصباح في الخارج.

هـم يقولـون إن الشـمس ترفـض الغـروب "إنهـا تظـلُّ مسـتيقظة طـوال الليـل، ونحـن كذلـك". "هـم" أقصـد بهـم "زيجـي" و"ج الجحيمـي" وهـما زبونـان سِـكِّيران محلِّيَّـان قـذران في حالـةٍ رَثَّـة.

"الحيـاة الليليـة في ريكيافيـك ليلتـان فقـط بشـكل أسـاسي. واحـدة مُشرِقـة وتسـتمرُّ مـن أبريـل إلى سـبتمبر. والأخـرى مُظلِمـة وتسـتمرُّ مـن أكتوبـر إلى مـارس" هكـذا أخـبروني.

"وما هو أكثر متعة؟".

"المُشرِقـة بالطبـع. الفتيـات الأيسـلنديات لا يرغـبن في القيـام بهـا في الظـلام" كـما يقولـون بضحكـةٍ.

إنهـم أصغـرُ مِنِّـي، وأنحـف، وشـعورهم أكـثر غـزارةً منـي، ويُدخِّنـون بشَراهَـة، ويجـدون أنـه "مريـبٌ جـدًّا يـا رجُـل" أن يشربـوا مـع كاهـن.

يسـألهم رجُـلُ الديـن عـن وضـع المثليِّـين هنـا، ومسـألة الإجهـاض، ومـا إذا كانـت أيسـلندا تحـترم عقوبـة الإعـدام؟ لا، عـلى مـا يبـدو، فأيسـلندا جنَّـةٌ خاليـة مـن الأسـلحة ومجنونـة بالإجهـاض، ولا يوجـد فيهـا حُكـمٌ بالإعـدام. لقـد جـاء الأب فرينـدلي إلى المـكان الصحيـح.

"مهرجـان فخـر المثليِّـين لدينـا أكـبر مـن مهرجـان السـابع عـشر مـن يونيـو، عيـد اسـتقلالنا".

يسـتقبل الأب فرينـدلي كلَّ شيء بهـدوء. أحـاول أن أتقمَّـص نفسـه ضاربـةَ المثليـين والمُنـذِرة بهـلاك المـوت. يهـزُّ رأسـه وحسـب ويضبـط الياقـة حـول رقبتـه.

في الواقـع، أتسـاءل لمـاذا بحـق الجحيـم مـا زلـتُ أرتـدي هـذه الياقـة الغبيَّـة. أعتقـد أننـي يمكـن أن أنـسى الأب فرينـدلي تمامًـا، وأعـود إلى نفـسي

السامة[1] وأحجز في أحد الفنادق. لا، ليست فكرةً سديدةً. أعتقد أنه من الأفضل إبقاء الأحمق على قيد الحياة، وإلا سيتصل أصدقائي الواعظون بالشُّرطة فتتصل الشُّرطة بأُسرَتِه وينهار كل شيء في الجحيم.

"ماذا عن جرائم القتل؟ كم عدد جرائم القتل الجماعي التي تقع عندكم كل عام؟" أسألهم.

"قتل جماعي؟" يسألون بعيون مرتبكة.

"بلى. كم عَدَدُ الشَّواذ الذين يُقتلون كلَّ عام في هذا البلد؟".

"شواذ؟ لا أحد، على ما أظن" يقول ج الجحيمي، مصدومًا بعض الشيء من شناعة كلمات القسِّ.

"أوه؟ ولكن كم عدد جرائم القتل إذن؟ كم عدد الأشخاص العاديِّين الذين قُتِلوا؟" يواصل فريندلي.

يقول زيجي: "أحيانًا واحد، وأحيانًا لا أحد".

يبدو أن حدسي هذا الصباح كان على حقٍّ. أنا في الجنة. لا جيش ولا أسلحة ولا جرائم قتل. ليس لديهم حتى منطقة ريدلايت[2]، يقولون لي إنها مدينة بلا عاهرات.

"لا توجد بائعات الهوى في أيسلندا، لكننا سنضطرُّ إلى الحصول على بعضهن عندما ننضمُّ إلى الاتحاد الأوروبي" قالوا لي بضحكة أخرى.

الجنسُ لا يزال مجّانيًّا، لكن البيرة تُكلِّف كثيرًا. تنزف بطاقة إيجور مع كل كوب. منذ عثرتُ على هذا المكان قبل بضع ساعات شربتُ كمِّيَّةً من الكحول تعادل سعر جهاز آي بود. لقد أوصت به هذه البائعة الساحرة في متجر الكتب، وهي من طراز اليوم الخامس. بعد

---

(1) Toxic: من اسمه.

(2) Red light district: مناطق تنتشر فيها الأعمال التجارية القائمة على الجِنس.

اثنتين من البيرة اكتشفتُ أن مقهى البحرين هو أشهر حانة في البلاد، وقد ظهر بشكل كبير في بعض الأفلام العصرية منذ سنوات. أمرٌ يفوق سياستي في أ.ق.أ. كيف يمكنك الاسترخاء في جزيرة ليليبوت؟

"إذن ماذا ستفعل إذا لم تتمكَّن من شراء الجنس ولا ترتكب جرائم قتل؟ هل لديكم مخدرات؟".

ثمَّة وَقفة. يبدو هذا القسُّ مختلفًا، هذا ما يفكِّرون فيه.

"نعم بالتأكيد" يقول زيجي الشخص الغريب بفخر أكثر غرابة "لدينا الكثير من المخدِّرات".

ويضيف صديقه: "لدينا أيضًا الكثير من جرائم القتل في الكتب. في السنوات الأخيرة لدينا العديد من كُتَّاب روايات الجريمة الجيدين هنا في أيسلندا، مثل أرنالدور أندريداسون على سبيل المثال. وكذلك أفار أورن چوزيفسون، وڤيكتور أرنار إنجولفسون، ويرسا سيجوردادوتير، وأرني ثورارينسون".

الأسماء الأيسلندية مثل صواريخ سكود. تبقى مساراتها في الهواء لفترة طويلة بعد أن تصل إلى هدفها. ومع هذا أُكِنُّ لهؤلاء التقدير؛ فليس سهلًا أن تكون كاتِبَ جرائمَ في أرضٍ بلا جرائم قتل. يبدو أنك بحاجة إلى القوى الإبداعية العبقرية لتتمكَّن من تزويد قاتِلِكَ بمُسدَّس. أغلقت أذني، لكن احتَفظتُ بابتسامة فريندلي، بينما يحكي الرَّجُلان عن بلدهما، ويحاولان جاهدين إقناع رجل الدين بأنها ليست مدرسة يوم الأحد.

ثملتُ تمامًا، أشعر بالكحول يفتش عن اضطراب الرحلات الجوية الطويلة ويُضخِّمه. يا يسوع! أتساءل ما الذي سيفعله مُضيِّفاي المُقدَّسان. إنهما حتمًا على شاشة التلفزيون بالفعل. لم يتَّصِل جودموندور قَطُّ. بدأت أشك، آمل ألَّا يكون الأوغاد في السفارة قد التقطوا وجهي أمام الكاميرا، لا بُدَّ وأن هناك مُلصَقًا بصورتي على

جـدران غُـرَف نومهـم؛ فقـد قتَلـتُ أحـد رجالهـم. في الواقـع، لـديَّ في رصيـدي بالضبـط سـبعة وسـتُّون صليبًـا في المقابـر الأمريكيـة؛ لذلـك سـيكون لديهـم سَـببٌ وجيـه لوضـع وجهـي عـلى الرصيـف.

لم يكـن السـبعة والسـتون جميعهـم ممَّـن حظـوا بالبطاقـة الخـضراء، بـل كان بعضهـم طليـان، وبعضهـم رُوسًـا، وقليـلٌ مـن الـصِّرب، ورَجُـلٌ سـويدي أو نرويجـي، إذا كنـتُ أتذكَّـر ذلـك بشـكل صحيـح. كانـت أغـرب لهجـة أتذكَّرهـا. لكـن معظمهـم كانـوا رجـالًا شـاحبي البـشرة، وجوههـم مُربَّعـة ومُتشـقِّقة. ومـع هـذا العـدد الكبـير مـن القتـلى الأمريكيـين في رصيـدي، مـن المحتمـل أن أحصـل عـلى عضويـة فخريـة في القاعـدة.

نعـم. أنـا عـلى قائمـة المطلوبـين. نعـم. عـليَّ أن أتذكـر أن هـذا منفـى، نعـم. لا بُـدَّ لي مـن الحفـاظ عـلى أ.ق.أ. ونعـم؛ اسـمي ديڤيـد فرينـدلي.

فجأة سمعت صوتًا مألوفًا.مكتبة سُر مَن قرأ

"حسـنًا هـا أنـت ذا!" عـادت جانهولـدر في زيٍّ حفـلات، ترتـدي ملابـس مثـيرة، تلمحنـي في الزاويـة "مـاذا تفعـل هنـا بحـق الجحيـم؟ كان والـدي يبحـث عنـك! اتَّصَـل بي مرتـين. يُفـترض أن تكـون عـلى شاشـة التلفزيـون!".

قلتُ في عَبَس مَخمورٍ: "لم يتَّصِل بي قَطُّ".

"لم يفعل؟ هل معكَ هاتِفُكَ؟".

أبحـث عـن معطفـي وسـترة، ليـس معـي هاتـفٌ جَـوَّال. تنظـر الشـقراء البَضَّـة إليَّ كـما لـو كانـت أُمًّـا تنظـر لطفـل فَقَـدَ حقيبتـه المدرسـية. يشـاهدها زيجـي وچـي الجحيمـي في صَمـتٍ كطائِـرَيْ بفـن نحيفَـيْن في وَضـعِ التَّجمُّـد.

تقول: "حسنًا سأتَّصِل به".

بعـد نصـف كـوب بـيرة، دخـل جودمـون بنفسـه إلى الحانـة، ويشـبه إلى حـدٍّ كبـير حيـوان الرنَّـة إذ يدخـل مركـزًا تجاريًّـا كبـيرًا عشـيَّةَ عيـد

الميلاد، مع قرونٍ تومض وعينين متوهِّجَتين. ومع ذلك يبتسم وهو يرى زميله الواعظ قد سقط في منتصف الطريق إلى أعماق الجحيم، يمدُّ يده، فأمسكها.

"مرحبًا أيُّها الأب فريندلي. أنا سعيدٌ لأنني عثرتُ عليك". دائمًا سعيد. "أخبرتني جانهولدر أنَّكَ ساعَدتَها هذا الصباح".

"نعم. إيماننا الحقيقي يمكن أن يفتح أيَّ باب" أقول بابتسامة مخمور.

"لكنَّكَ نسيتَ الهاتف، كان في المنزل. كنتُ أتَّصِل به وسمعته يَرِنُّ في الطابق العلوي!".

يضحك مثل طفل سعيد. عليَّ أن أضحك أيضًا. هذا الرَّجُل طيِّب جدًّا، إمَّا أن تضطر إلى إطلاق النار عليه في وجهه أو تتماشى معه. وأنا ليس لديَّ سلاح.

"علينا أن نسرع. سنبدأ بعد عشرين دقيقة".

"موافق، أنا آسف حقًّا".

أتساءل عمَّا إذا كان قد لاحظ أنني في حالة سُكرٍ. هل يريدني حقًّا في برنامجه؟ أشاهده وهو يُودِّع ابنته الشقراء الجميلة التي انضمَّت إلى صديقتها على طاولة قريبة (امرأة سمراء من طراز اليوم الثاني من المحتمل أن يكون اسم تارانتينو على قائمتها مهماتها المنتهية).

توقَّف للحظة وجيزة وهو يشاهدها وهي تَمتصُّ السيجارة بيدها اليسرى، وتشرع في شُرب نبيذها الأبيض بيدها اليمنى. لقد لاحَظتُ حركةً صغيرة من شفتي جودموندور، وهي إشارة صغيرة تفضح رغبته في تحطيم رأس ابنته بنُسخَةٍ كبيرة الحجم من الكتاب المقدَّس للملك چيمس. يعضُّ لسانه ويُودِّعها مكسورًا باللغة الأيسلندية،

نظرَت أخيراً لأعلى ونفخت الدُّخان في وجهه بعينين باردتين، وقالت بصوت مُخيفٍ: "بركاتك، بابا".

من الواضح أن هذا يعني فقط "وداعًا يا أبي" ولكن نبرتها البغيضة يمكنها أن تُحطِّم قلب قاتِلٍ مُحترِف.

نخرج.

المساء باردٌ ومُتجمِّد كثلاجة مفتوحة. إذا كانت هذه هي المدينة الأكثر سخونة في أوروبا، أعتقد أنه يمكننا أن نهدأ قليلًا بشأن هذا الاحتباس الحراري العالمي. يقود الرجل الطِّيِّب خارج البلدة القديمة على طريق سريعةٍ مُشيَّدة حديثًا، يأخذنا عبر بعض مشاريع تعاونيَّات السَّكَن المتأنقة. تغمر أشِعَّةُ الشمس تلك النمور ذات البقع البيضاء المحيطة بالمدينة، وطيور النورس ترفرف من عمود إنارة إلى آخر.

تنجرف السُّحُب الصغيرة الرمادية في سماء زرقاء فاتحة. معظمها يبدو لي مثل الحيوانات المنوية البشرية، والبعض الآخر مثل الحيتان الصغيرة التي تسبح ببطء عبر المدينة. أحاول أن أعطي أجوبة واضحة لأسئلة رجل الدين.

"لقد تقطَّعَت بي السُّبُلُ تمامًا لأنني لم يكن لديَّ عنوانك ونسيت الحصول على رقم هاتف ابنتك؛ لذلك انتهى بي الأمر بالجلوس في هذا المقهى، والتحدُّث إلى بعض الأيسلنديين. كانت الأمور على ما يُرام في الواقع".

"نعم، لكن المقاهي في ريكياڤيك يمكن أن تكون مكانًا خطيراً" هكذا قال مبتسمًا وبدأ بالضحك.

يبدو أن ضحكته تشير إلى أنه كان يعاني من مشكلة في الشُّرب، قبل أن يُجفِّفه الله ويمنحه محطَّةً تلفزيونية. ولكن كلَّما طالت المدة،

اتَّضح أنه يحاول إخفاء ألم رؤيته لابنته إذ تجلس في عرين الشيطان المظلِم، تُدخِّن وتشرب وترتدي ملابس الاحتفال.

لا بُدَّ وأنني تحت تعويذةٍ قويَّة من الأب فريندلي؛ لأن عليَّ أن أعترف أنه كان مشهدًا مروعًا للغاية. لثانية وجيزة، بدَت حقًّا مثل ابنة الشيطان، بعيون نارٍ وفمٍ مليء بالدخان. أحاول أن أضحك معه.

"كما هو مذكورٌ في لوقا 21: سيأتي اليوم كالفخ، إذا قضيتموه في الشُّرب والسُّكْر" يقول الواعظ وهو ينعطف يسارًا من الطريق السريع إلى شارع يشبه شوارع بروكلين، ضيق بثلاث منازل على كلا الجانبين. هل يتحدث عني؟ وإذ يقف خلف إحدى المباني، يمكنني أن أشعر أن طوق رجال الدين يتحوَّل إلى شَرَكٍ حول رقبتي.

"هل تعرف الأخ برانهام؟" يسأل جودموندور ونحن نسير من السيارة إلى مبنى.

"نعم، بالطبع" يقول الأب فريندلي بإصرارِ مخمورٍ.

يتوقَّف زميله الأيسلندي عن المشي فجأة في غضب:

"هل تعرف نظرياته؟".

"نعم، أعتقد أنني أستطيع أن أقول ذلك".

"هل تتذكَّر عندما قال إن لوس أنجلوس ستغرق تحت الماء وأن أسماك القرش ستسبح في الشوارع؟".

"إيه... نعم".

"إنه أمرٌ مُمتِع للغاية؛ لأنني كنت أحلم الليلة الماضية. كنتُ أحلم أنني كنت أقود سيارتي، هذه السيارة "، كما يقول ويشير نحو سيارته الفضية طراز لاندكروزر. "كنتُ أقود سيارتي هنا في ريكيافيك وفجأة كان هناك حوتٌ ضخم يسبح بجانبي، كان يسبح بسرعة، حتى إنه سبقني. كان في الشارع، تمامًا مثل السيارة. وعندما جاء بجانبي

نظر إليَّ وقال شيئًا، لكنني لم أستطع سماعه؛ لأنني كنت في السيارة ولم أخفض النافذة".

ينظر جودموندور إلى الأب فريندلي كما لو كان يأمل أن يُفسِّر أخوه الأمريكي الحُلمَ على أنه حَدَثٌ جوهري في تاريخ المسيحية.

"واو" أقول وأتطلَّع إلى السماء للحصول على المشورة. تمرُّ الغيوم الشبيهة بأسماك القرش في سماء المنطقة. فجأة أشعر أنني عالِقٌ في فيلم رسوم متحرِّكة للأطفال تحت الماء، وأقوم بصوت "مارتي السمكة".

أقول "هذا رائع يا رجل. ربما يجب أن تتَّصِل به وتخبره؟ ربما يمكنه أن يخبرك ماذا يعني ذلك".

"أنت تعلم أن الأخ برانهام تُوفِّيَ عام 1965".

اللَّعنة.

"بالتأكيد. أنا لا أتحدث عن مكالمة هاتفية. أنا أتحدَّث عن نداء الروح" أقول.

"نداء الروح؟".

"نعم. نحن نفعل ذلك طوال الوقت، في جماعتنا هناك في ريتشموند. يأتي الناس كلَّ ليلة ثلاثاء ويتحدَّثون مع ذويهم الموتى، إنها تحظى بشعبية كبيرة، يحبها الناس حقًّا. أحوِّل نفسي إلى لوحة مفاتيح بَشَريَّة وأجري الاتصال من خلال الرب".

يبدأ في الضحك. فأواصل تأكيدي.

يقول: "أنا لا أعرف الكنيسة المعمدانية جيدًا، لكن في كنيستي لا نتحدَّث أبدًا مع الموتى. نقول إنه بَحرٌ مُشعِر".

بحر مُشعِر.

"نعـم أعـرف. لكـن الأمـر يشـبه، كـما تعلمـون، إننـا لا نهاتفهـم، بـل هـم مَـن يَتَّصِلـون بنـا".

لا بـد وأن درجـة الحـرارة قريبـة مـن 33 درجـة فهرنهايـت، وهـا نحـن هنـا، في ليلـة ربيعيـة مُشمِسَـة[1]، نقـف في موقـف سـيارات خلفـي في وسـط شـمال المحيـط الأطلـسي، أنـا وهـو، الأب فرينـدلي والأب غضبـان، غريبـان ثمِـلَا بالبـيرة وباللـه، يتحدَّثـان عـن هـراء كامـل.

المنفى بَحرٌ مُشعِر.

"نحــن نعيــش نهايــة الزمــان. أقــول هــذا عــلى تلفزيــوني منــذ أكــثر مـن أربعـة عـشر عامًـا. نعيـش الأيـام الأخـيرة. لكـن الآن لـديَّ شـعور بأنـه لم يتبـقَّ الكثـير مـن الأيـام" يقـول جودمونـدور ويُحـدِّق فيَّ كأنـه واعـظ مجنـون، ولا يبعـد نظـره عنـي حتـى يتأكـد مائـة بالمائـة مـن أني تلقَّيـتُ الرسـالة.

كان الالتفات بعيدًا مثل إبعاد وجهي عن النار.

(1) يمتدُّ النهار في أيسلندا أحيانًا 24 ساعة في الصيف بسبب موقعها من الدائرة القطبية.

# 8
# رفاقٌ طيِّبون[1]

## 2006/05/16

"مساء الخير، أصدقائي الأعزّاء، ومرحبًا بكم في برنامجنا. يُسعِدنا أن نُبلِغَكم أن الليلة معنا ضيف عزيز، وهذا هو سبب حديثنا باللغة الإنجليزية الليلة. إنه الأب فريندلي، زيارة من أصدقائنا في سي. بي. إن في أمريكا. إنه صديقٌ مُقرَّب من بات روبرتسون، الذي شاهدتموه هنا على قناة موعظة وآمين. لديه برنامج تلفزيوني مشهور جدًّا في أمريكا. وهو من أشهر الوُعَّاظ في كثير من الدول. أخٌ مسيحيٌّ حقيقي في إيمان الله الحي، القسُّ ديڤيد فريندلي من ريتشموند، ڤيرچينيا. الأب فريندلي، أهلًا وسهلًا بك".

"شكرًا لكَ أيها الأخ جودموندور. إنه لمن دواعي سروري أن أكون معكم هنا".

---

(1) Goodfellas: يُطلَق على عصابات المافيا.

"يجب أن أخبركم أن الأب فريندلي لديه يوغوسلافيا... ماذا تسمِّيه؟!".

"لكنة".

"نعـم. لديـه لكنـة يوغوسـلافية لأنـه كان يعلـم كلمـة يسـوع هنـاك في الوقـت الـذي كانـوا فيـه شـيوعيِّين. هللويـا!".

كاد يضربنـي في رأسي وهـو يطـوِّح بيديـه في الهـواء، لكننـي تمكَّنـتُ مـن التنحِّـي جانبًـا. نقـف خلـف منـبر أبيـض، وخلفنـا سـتارة زرقـاء، وأمامنـا اسـتوديو تلفزيـون فوضـوي. أحـصي في الغرفـة خمسـة أشـخاص. يقـف رجـلٌ واحـدٌ خلـف الكامـيرا، وتقـف سـيكريدر في المدخـل مُبتَسِـمةً، وينتظـرني جمهـور مـن ثلاثـة أتقيـاء لإنقـاذ أرواحهـم.

"الشيوعيون لا يؤمنون بالله، أليس كذلك أيها الأب فريندلي".

"لا. أنـتَ مُحِـقٌّ تمامًـا في ذلـك، أخـي جودمونـدور. وهـذا هـو سـبب اختفائهـم".

"حسـنًا يمكنـك أن تعـثر عـلى بعضهـم اليـوم". يقـول صديقـي الواعـظ بابتسـامة بلهـاء. إنهـا ابتسـامة شـخصٍ ليـس ذكيًّـا جـدًّا في التَّباهـي بذكائه، إنـه مُضحِـكٌ للغايـة. أحتـاج إلى كل قـوتي حتـى لا أضحـك وأنـا أواصـل:

"بالفعـل. لكنهـم مختبئـون! إنهـم يختبئـون في ظُلمـة وجودهـم الملحِـد!" أحـاول التَّحـدُّث بنـبرة خطيـبٍ مؤمـن إيمانًـا أعمـى. "لأنهـم لا يجـرؤون عـلى الخـروج إلى النـور! نـور اللـه، نـور الخـير! خـير النـور! نحـن هنـا في أيسـلندا، في جزيـرة النـور، حيـث يدعهـا اللـه تَسـطَعُ لوقـتٍ طويـل في الليـل. يـضيء الليـل، يجعـل الليـل مشرقًـا. عـليَّ أن أقـول: أنتـم محظوظـون جـدًّا، أنتـم محظوظـون. أنتـم تعيشـون في أرض اللـه. أرض اللـه الحـي. هللويـا!".

ماذا أقول بحق الجحيم؟

"نعـم، أيُّهـا الأب فرينـدلي، ربمـا يمكنـك إخبارنـا عـن عملـك في يوغوسـلافيا. هـل كان ذلـك قبـل الحـرب؟".

"كان ذلـك قبـل الحـرب، عندمـا كان الرفيـق تيتـو رئيسًـا لـكل يوغوسـلافيا، لجميـع البلـدان التـي نعرفهـا الآن باسـم كرواتيـا وسـلوڤينيا والبوسـنة والهرسـك وغيرهـا".

ماذا أقول؟ لا بُدَّ وأن فريندلي كان في الخامسة عشرة عندما مات تيتو.

"... كان هـذا وقـت القهـر والسـجن. أبي... والـدي... أرشـدني الـرَّبُّ في شـوارع الدكتاتوريـة المُظلِمـة، للبحـث عـن النفـوس المسـتعدَّة لفتـح قلوبهـم لنـور اللـه.

كان علينـا أن نُخفـي إيماننـا، وفي بعـض الأحيـان كان علينـا أن نخـون بألسـنتنا الإيمـانَ الـذي نحتفـظ بـه في قلوبنـا، فقـط مـن أجـل البقـاء. بهـذا المعنـى، كُنَّـا تقريبًـا مثـل العمـلاء السِّرِّيِّـين، مثـل چيمـس بونـد أو... راي ليوتـا في فيلـم "رفـاق طيبـون""[1].

أنا أخرج عن الشخصيَّة هنا.

"أو مثل أتباع يسوع المسيح الأوائل" يُسعِفني المضيف.

"نعـم! بالضبـط. شـكرًا لـك يـا أخـي جودمونـدور. كنَّـا مثـل الرُّسُـل. كان علينـا الاختبـاء، كان علينـا أن نكـون حَذِريـن، لكنـنا لم نَشـكُ أبـدًا. كان اللـه يُرشِـدنا إلى الطريـق. لقـد كان... كان مصبـاحَ الكشَّـاف الـذي كنَّـا بحاجـة إليـه؛ حتـى نتمكَّـن مـن السـير في شـارع الديكتاتوريـة المُظلِـم".

"وبعد ذلك كنتَ فتًى أمريكيًّا صغيراً؟".

"نعـم، نعـم بالضبـط. كنـتُ شـابًّا، ديڤيـد، ديڤيـد فرينـدلي، صبـي صغـير مـن ڤيينـا، ڤيرچينيـا. مـا الـذي كنـتُ أفعلـه هنـاك، في أوروبـا

---

(1) فيلم Goodfellas من إخراج الأمريكي مارتن سكورسيزي عام 1990.

القديمـة؟ لقـد أُرسِـلتُ هنـا كمُبـشِّر. كنـتُ... كنـت... في المنـزل، كنـت مـا يطلقـون عليـه.. المراهِـقَ القَـذِرَ، الولـد الشريـر. وَلَـدُ سـيِّئٌ جـدًّا. بـدلًا مـن القيـام بواجبـي المنـزلي، كنـتُ في الخـارج أسرق وأضاجـع الفتيـات".

أسـتطيع أن أشـعر بابتسـامةٍ مُتجمِّـدة عـلى وجـه جودمونـدور. مـن الأفضـل أن أنتبـه لألفاظـي.

"لكنني كنتُ أفعل ذلك دائمًا من موقع التبشير".

اللعنـة. مـا زلـتُ في حالـة سُـكْرٍ. حتـى إننـي أسـمح لنفسي بالابتسـام قليـلًا. تغلـق السـيدة العجـوز في الصَّـفِّ الأمامـي عينيهـا لمـدة ثانيتـين.

"آسـف، لكـن هـا هـي القصـة. كنـتُ ذاتَ مـرَّة أسرق كنيسـة محلِّيَّـة مـع اثنـين مـن أصدقـائي. كنَّـا نُهـرِّب ببعـض الشـمعدانات والكـؤوس والأشـياء، وكنـتُ آخِـرَ مَـن خـرج؛ لأنـني كنـت حينهـا -مثلـما أنـا الآن- سـمينًا بعـض الـشيء".

أسـتطيع أن أرى أن سـيكريدر تضحـك بطريقتهـا اللطيفـة المميَّـزة. "لـذا، كان أصدقـائي بالخـارج بالفعـل عندمـا أضاء النـور فجـأة سَـمِعتُ هـذا الصـوت الرائـع: "يمكنـك أن تحمـل كل الفضَّـة التـي تريدهـا، يـا أخـي يهـوذا، لكنهـا لـن تُنقِـذَ روحـك أبـدًا!". لم أجـرؤ حتـى عـلى النظـر إلى الـوراء. توقَّفـتُ للحظـة قبـل أن أركـض إلى البـاب وألقيـت بنفسي في الظـلام. لقـد هربـتُ بالفعـل، لكننـي لم أسـتطع الهـروب مـن هـذه الكلـمات. راوَدَتنـي مـرارًا وتكـرارًا. ربمـا لأننـي لم أكـن أعـرف مَـن قالهـا. كان الصـوت عميقًـا جـدًّا، صـوت إنسـان عميـق جـدًّا، وفي ذهنـي كان صـوت اللـه نفسـه. "لكنهـا لـن تنقـذ روحَـكَ أبـدًا!"". لعـدَّة أيـام كانـت روحـي تتعـذَّب تمامًـا بهـذه الكلـمات. أخـيرًا، عُـدتُ إلى الكنيسـة مـع كل الأشـياء التـي سَرَقتُهـا. وَضَعتُهـا عـلى مقعـدٍ داخـل الكنيسـة وكنـتُ عـلى وشـك الركـض للخـارج عندمـا سـمعت الصـوت مـرة أخـرى، كان كاهِـنَ

الكنيسة. لقد تحدَّثنا كثيراً، وبعد نصف عام وجدتُ نفسي في شوارع سراييفو أنشر كلمة الله، مع كشّاف إضاءة".

أنا أبتسم، أصَبتُ الهدف هذه المرة، سيفخر الأب فريندلي بهذا الأداء.

"المجد لله! الأخ الكريم. هَلّلويا"، يصيح زميلي الأيسلندي. "أنتَ مثل، بولس الرسول، القدِّيس بولس. كانت لديك نفس تجربته. هل كنتَ أعمى أيضًا؟".

"ماذا؟".

"هل كنتَ أعمى أيضًا عندما جاء النور؟".

"في الكنيسة، تقصد؟ نعم بالتأكيد. قَطعًا. لقد أعماني الضوء تمامًا؛ لهذا السبب اضطررتُ للتوقُّف".

يُبدي جودموندور هذا التعبير الكهنوتي مرة أخرى. نظر إليَّ كما لو أنني قطَعتُ المحيط الأطلسي وصولًا إلى جُزُر الكناري ليذهب شعبه في إجازة. يضع يده على رأسي كما لو كان يُعمِّدني، وفجأة تتحسَّن لغته الإنجليزية:

"بارك الله روحك أيها الأخ المقدَّس، مَجِّدوا الله! آمين. قوة الله الحي معنا الحمد لله! تبارَكَت روحك، أيها الأبُ فريندلي. لأنك ممسوحٌ. روحك مصونة" ثم رفع يده عن جمجمتي الصَّلعاء وواجَهَ الكاميرا.

"دعنا نسمع: قصَّة التلاميذ في الفصل التاسع، في الكتاب المُقدَّس الإنجليزي... تحكي قصة شاول، عن شاول اللّاوي، هذا الرجل العادي من طرسوس، هذا الرَّجُل البسيط الذي يعمل جلَّادًا لـ "الحكومة الرومانية"، وأرسلوه إلى دمشق، ليربط المسيحيِّين بأرديـة...".

"بالحِبال" صَحَّحتُ له بسرعة لأبدو فجأةً خبيراً في الكتاب المقدَّس.

"... حتـى يربطهـم بالحبـال ويحملهـم إلى القـدس. ولكـن في طريقـه، قبـل أن يـأتي إلى دمشـق، رأى نـورًا عظيـمًا وصوتًـا يكلمـه: شـاول، شـاول، لمـاذا تضطهـدني؟ فقـال شـاول: "مَن أنـتَ؟" فقـال الصـوت: "أنـا الـرَّبُّ". فقـال لـه الـرَّبُّ أن يَكُـفَّ عـن العمـل ضـد المسـيحيين، وكان شـاول أعمـى أيَّامًـا كثـيرة، حتـى أرسـل الـرَّبُّ إليـه حنانيـا. فجـاء إليـه حنانيـا وأمَـرَه أن يـرى. وكان شـاول بولـس، أصبـح الجَـلَّادَ رقـم اثنـين في كنيسـة اللـه عـلى الأرض، كان يسـوع رقـم واحـد وبولـس هـو الثـاني. المجـد للـه! وقـد كتـب جـزءًا كبـيراً مـن هـذا الكتـاب!".

يحمل جودموندور الكتاب المُقدَّس الأسود في الهواء.

"لقـد كتـب جـزءًا كبـيراً مـن الكتـاب المُقـدَّس، كتـاب الكتـب، كلمـة اللـه. خَلُصَـت روحـه، أصبـح رجـلًا مقدَّسًـا. رجـلًا مُقدَّسًـا. هللوليـا!".

"هللوليا!" أُردِّد وراءه، أُردِّد حقًّا. إنه حتمًا تأثير البيرة.

# 9

# تورتشور[1]

## 2006/05/19

أفضل شيء في الحرب كان النَّوم في العَراء، في جبال دينارا. كان الوقواق مُنبِّهَنا، رغم أني لم أرَه قَطُّ، لكنه كان دائمًا ينهض قبل الفجر؛ لأن الأرض كانت بجوارنا. كان الصرب ما زالوا نائمين، خلف التل والتلة التي تليها. الأوغاد الكسالى.

لم يبدأ القتال قبل الثامنة. أعتقد أنه يمكننا أن نشكرهم على تلك الصباحات الجميلة، صباح مشمس صامت مع أفضل إفطار في العالم: قهوة وخبز البوفتيكا. أكلنا في صمت، نشاهد أشعة الصباح الأولى وهي تتفاعل مع الزبدة التي لا تزال باردة منذ الليل.

(1) تحريف آخر لاسم أيسلنديٍّ، وهنا يعني تعذيب.

في وقتٍ مبكر من فجر يوم أحد، بدأ أندرو، الفتى المجنون من بولا[1]، يتحدَّث فجأة عن ندى الصباح. وبعد قليل راح يصيح:

"نحن نقاتل من أجل النَّدى! لا يمكننا أن ندَعَ الصِّربَ يأخذون الندى! نريد المزيد من الندى! حربٌ غبيَّة! القتال من أجل الندى!".

ثم قفز على قدميه وبدأ يركض حول التَّلِّ مشيراً إلى عدَّة مناطق على الأرض.

"الندى الكرواتي! الندى الصِّربي! لا ملكيَّةَ للنَّدى!".

سحب قائدنا يافور مُسدَّسه وأطلق النار عليه في مؤخِّرة رأسه. سقط أندرو في العُشب مثل عِجلٍ مَيِّت.

"الآن يمكنك أن تشربه يا غبي يا ابن أبشع عاهِرَةٍ في بولا!" ثم بصق يافور ذو الوجه الأشبه بالحُمَم البركانية.

أصبحت عبارة "يشرب النَّدى"[2] إشارة للموت. شعرتُ ببعض الأسف لأندرو، فمن بين جميع أعضاء كتيبتنا، ربما كنتُ أكثرَ مَن تَصالَح مع جنونه... أنا مَدينٌ له.

كان أندرو من كبار المعجبين بمادونا، حتى إنه أطلق على بندقيته اسمَ نجمة البوب الأمريكية. بين حين وآخر كان ينفجر بصوتٍ موريسيٍّ[3]... "كعذراء"[4]. ودائمًا ما كان يحمل صليبًا صغيراً في جيب سُترَةِ زِيِّه. النسخة المُصغَّرة من يسوع كانت بيضاء، لكن صليبه كان نوعًا ما بُنِّيًّا، وبالتالي امتزج مع اللون الأخضر الداكن للزِّيِّ الرسمي. كان تأثير ذلك أن المسيح الصغير دائمًا ما كان يخرج من الجيب كما

---

(1) Pula: مدينة في كرواتيا.

(2) Piti rosu.

(3) نسبة إلى المغنِّي الانجليزي باتريك موريسي.

(4) Like a virgin: غَنَّتها المغنية الأمريكية مادونًا عام 1984.

لو أنه يلوِّح بيديه قائلًا: "يا شباب، اسمعوا!" ربما كان أندرو يسمعه؛ لأنه من وقتٍ لآخر كان يبدأ بالتَّفَلسُف حول عبثية الحرب، وهو خلافٌ لما يرغب أي جندي في سَماعِه عادَةً. وبين الحين والآخر كان يفعل شيئًا مجنونًا، مثل الركض عاريًا عبر خَطِّ العدو والعودة، أو ما يفعله الآن، الصياح من أجل الندى.

لم يكن مُتَّزنًا، وكان يافور مُحِقًّا تمامًا في قتله. لكنني وأندرو قضينا ذات مرة ليلة كاملة معًا، نشرب ونُغنِّي في العراء. لقد فقدنا مجموعتنا وفرغ مخزوننا من الرصاص عندما عثرنا على دبَّابةٍ تابِعَةٍ لشيتنيك تمَّ تفجيرها. عثرنا بداخلها على زجاجة راكيا[1] سرعان ما أطلقت العنان لأرواحنا الغنائية.

كان أغبى شيء يمكننا القيام به، غناء الأغاني الكرواتية في قلب ليلة صربية. كان من الممكن أن تُسكِتَنا رَصاصةٌ في أي لحظة. لكن عليك أن تفهم أن القتال في الحرب يشبه لعب الروليت الروسي على مدار الساعة طوال أيام الأسبوع. كل نَفَسٍ يمكن أن يكون نَفَسَكَ الأخير. إنها فكرةٌ مُروِّعة، لكنها تتحول ببطء إلى فكرة مثيرة؛ أدمَنتُها نوعًا ما، حتى إنك تبدأ في تَخطِّي الحدود. كُنَّا صغارًا لا نخاف، مُتعَبين من القتال، ولا نهتمُّ كثيراً.

لحُسن الحظِّ، كنَّا نغني أغنية الفائز اليوغوسلافي في مسابقة الأغاني الأوروبية لعام 1989 عندما ظهر فجأة أمامنا جنديٌّ صربيٌّ مَخمورٌ للغاية، مرتديًا مُعِدَّات الجيش الكاملة. هل يمكن أن ينضَمَّ إلينا؟ سأل هل لدينا خمر؟ يبدو أنه كان يعتقد أننا أبناء وطنه، حيث كنَّا نجلس على رأس دبَّابةٍ صِربيَّة ونُغنِّي أغنية يوغسلافية. فقط بعد الرَّشفة الأولى أدرك أننا كُنَّا العدوَّ.

(1) مشروب كحولي شهير في وسط وجنوب شرق أوروبا.

عندما لمح شعار هرفاتسكا[1] على زيِّي العسكري. كانت هناك لحظة طويلة من التشويق وهو يُحدِّق فيها ونظرنا إلى بندقيته. كانت بنادقنا مُلقاةً على الأرض أسفلنا، خالية من أي ذخيرة. بعد ذلك، أنقذ أندرو الليلة بأن أكمل معنا الأغنية مرة أخرى. انضمَّ إليه الصربي، صرخنا معًا مثل ثلاثة قِطَط في الأزِقَّة، غنَّى ثلاثتنا: "مَتِّعني يا حبيبي! لا شيء يهمُّ. مَتِّعني ودَعْه يدوم"[2].

أنقَذَت المسابقة الأوروبية حياتي. أنقذ أندرو حياتي.

في نهاية الزجاجة اعترف أندرو بالحقيقة. كان مِثليًّا وأراد تقبيلي. كان أندرو صبيًّا وسيمًا، شَعرُه أسود، بَشرَتُه جذَّابة، شفاهٌ ممتلئة. أعتقد أنه كان من طراز اليوم 156، وقد استمرَّت الحرب بالفعل نصفَ عام و... حسنًا، كِدتُ أرغب في تقبيله (الحرب إمَّا تجعلك فاشِيًّا أو شاذًّا)، لكنني لم أستطع ذلك، ليس بسبب ذِكرَى والدي مُضاجِعِ الصِّرب اللعين، لكننا جميعًا شعرنا بالإثارة، وأنزلنا سراويلنا، وقام أندرو باستمنائنا أنا والصِّربي. كانت أغرب صورة لديَّ من تلك الحرب اللعينة.

الفتى المِثليُّ المجنون من بولا يستمنينا في الليل المُرقَّش العميق، مع قضيبٍ في كلتا يديه: واحد صربي والآخر كرواتي. لو كانت لدينا أُمَمٌ مِثليَّةَ الجنس لقَلَّت الحروب.

أستيقظ مع ظِلالِ حَربٍ تُرَفرفُ حول الغرفة البيضاء الساطعة. يحاول ماضيَّ المظلِمُ أن يُوازِنَ حياتي هنا في الجزيرة الصامتة المُشرِقة، حيث تذهب للنوم في وَضَحِ النَّهار وتستيقظ في ضوء الشمس الصارخ في السادسة صباحًا.

---

(1) - كرواتيا.

(2) - بالكرواتية في الأصل.

النـوم صعـب. أشـعر وكأننـي في مستشـفى. مستشـفى سـاطعة الأضـواء، صامتـة حَـدَّ المـوت، مـن النـوع الـذي يُمنـع فيـه ارتـداء الأحذيـة في الداخـل. حتـى إن جودمونـدور يتجـوَّل في منزلـه مرتديًـا جواربـه فقـط. هـذا مُقـرِف.

وهـذه الأرض المسـالمة لم تشـهد حربًـا مـن قبـل، ليـس في ألـف سـنة. لا بُـدَّ وأن الأمـر يتعلـق بتلـك الجزيـرة، حيـث لا مزيـد مـن النـدى للقتـال مـن أجلـه.

هـل كان مـن الـضروري أن يمـوت كلُّ هـؤلاء النـاس فقـط حتـى نتمكَّن مـن ادِّعـاء كنـين كمدينـة كرواتيـة؟ مـا زلـتُ أسـأل نفـسي هذا السـؤال.

بعـد فـترة وجيـزة مـن الحـرب، عرجـت عليهـا، هـذه المدينـة التافهـة التـي يبلـغ عـدد سُـكَّانها خمسـة عـشر ألـف نسـمة. أصابنـي مشـهد عَلَمِنـا، إذ يرفـرف فـوق تلـك الأسـطح المُحطَّمـة، بالغثيـان في بطنـي. في الواقـع كان عـليَّ إيقـاف السـيارة والتقيُّـؤ. لقـد تقيَّـأتُ عـلى الأرض التـي طالَبنـا بهـا، الأرض التـي كُنـتُ عـلى اسـتعداد للتَّخـلِّي عـن حيـاتي مـن أجلهـا. ومـع ذلـك كان علينـا أن نفعـل ذلـك، كان يجـب علينـا ذلـك، لا تسـألني لمـاذا. كان علينـا فقـط بحـق الجحيـم.

كلُّ إنسان ينتمي إلى أُمَّة، أو شيء أعظم منه.

الأُمَّـة هـي مجمـوع قُوَّتِنـا، وكذلـك غباؤنـا الجَماعـيُّ. تجـبر الحَـربُ الأُمَّـةَ عـلى طاعـة غبائنـا الجَماعـيِّ.

أسـتيقظ وأمـضي إلى الحـمَّام. إنـه نظيـف للغايـة. هـذا هـو المـكان الـذي تتغـوَّط فيـه الملائكـة. لـديَّ صـداعُ مـا بعـد الـشُّرب المُقـدَّس. ليـس فقـط مـن البـيرة، ولكـن أيضًـا مـن كل كلمـة قُلتُهـا عـلى التلفزيـون. كان جودمونـدور سـعيدًا جـدًّا بـأدائي. لم يخذلـه زميلـه الأمريـكي.

أتساءل عمَّا إذا كان لديهم حارسٌ تليفزيوني في السِّفارة الأمريكية، مخبولٌ ما بوَجهٍ تملؤه البثور، مَهمَّتُه هي مشاهدة جميع البرامج المحلية والتَّحقُّق مِمَّا إذا كانت تحتوي على بعض رسائل "اضربْ بوش" أو "اللعنة على مكتب التحقيقات الفيدرالي"، وبعد ذلك في منتصف الليل، كان سيشاهدني فجأةً على الشاشة، وجه مستدير أصلع، يتطابق مع مُلصَقِ أكثر المطلوبين في أمريكا على الحائط بجانب جهاز التلفزيون. الأحمق الكرواتي الذي قتل عميلَ مكتب التحقيقات الفيدرالي في كوينز الأسبوع الماضي، مُتنكِّرًا ككاهن عُثِر عليه ميِّتًا في حمَّام چون كينيدي الثلاثاء الماضي. لقد انتظَرتُ طوال الليل حتى تظهر فرقة التَّدخُّل السريع، وكنتُ أستيقظ كل نصف ساعة.

في الساعة الرابعة اتَّصلتُ بحبِّي، مونيتا. لكن بلا إجابة.

يستيقظ الزوجان المقدَّسان في الساعة 7 صباحًا. تبدأ صلاة الصباح الساعة 7:30. الأب فريندلي يجب أن يحضر. "يا رب خلِّصْني من خطاياي".

بعد الإفطار أخذوني لمشاهدة معالم المدينة. هناك يعيش الرئيس، وهناك مركز التسوُّق، وهناك يُخزِّنون مياه البركان. هنا يصنعون مُنتَج الألبان المشهور عالميًّا المسمَّى إسكير، والمسبح الموجود هناك واحد من أفضل المسابح في العالم. في الواقع يبذلون قصارى جهدهم لإقناعي بأن بلدهم هو "الأفضل في العالم". إنهم لم يَنفكُّوا يتحدَّثون عن أطول عمر، وأسعد الناس، وأنظف هواء، وما إلى ذلك. أريد حقًّا أن أُخبِرَهم أن بلدًا خاليًا من بيوت الدَّعارة ومحلات الأسلحة لا يمكن حتى أن يُطلَق عليه بلد، ولكن بدلًا من ذلك أومَأَت نُسخَةُ فريندلي برأسها، ببطء ولكن بإصرار، مثل حفَّار نفطٍ في تكساس.

يقـوم جودمونـدور بإيصـال زوجتـه إلى محطـّة التلفزيـون لتسـجيل برنامجهـا ونحـن نقـود السـيارة، عـلى الرغـم مـن أنـه يشـعر بالحاجـة إلى التوضيـح:

"لا أعتقـد أن المـرأة يجـب أن تعمـل خـارج المنـزل، لكـن زوجتـي تقـوم بعملهـا مـن أجـل اللـه وهـذا أمـر مختلـف، عـلى مـا أعتقـد".

"إنها تعمل في بيت الله" دفعتُ السيد فريندلي ليقول هذا.

يَسـعَد جودمونـدور بالإجابـة ويضحـك قليـلًا قبـل طـرح سـؤال صعـب نوعًـا مـا:

"ماذا عن زوجتك؟ هل تـعمل خارج المنزل؟".

بئسًا... لديَّ زوجة.

"هي؟ لا، تُفضِّل الأعمال المنزلية. وأنا سعيد جدًّا بذلك".

"كنتُ حزينًا جدًّا عندما سمعتُ عن حادثها".

حقًّا؟ زوجتي كانت في حادث سيارة؟ أتمنَّى أن تكون بخير.

"نعـم. شـكرًا لـك" أقـول بعيـونٍ حزينـة، مثـل مُمثِّـل سـيِّئ في إعـلانٍ تجـاريٍّ غبـي.

"لا بُدَّ وأنك تشتاق إليها كثيراً".

بئسًا! ها قد رحَلَت زوجتي. هذا مثل مشاهدة فيلم إثارة باتجاهٍ عكسي.

"نعم بالتأكيد. من الصعب أن تكون وحيدًا".

"وليس لديك أطفال منها؟".

رائعٌ. هذا قاسٍ.

"إيـه... لا، لا أعتقـد ذلـك" اللعنـة كان هـذا فظيـعًا "أعنـي... عَمليًّا لا" لا تسـألني مـاذا أعنـي بهـذا، ليـس لـديَّ أي فكـرة.

يقـود سـيارته في صمـت. لم يطـرح أيَّ أسـئلة أخـرى. إنـه أمـرٌ مُزعِـج للغايـة. هــل يشــكُّ في شيء؟ كــسر حاجــز الصمــت وعــاد إلى بدايــة الحديــث، المــرأة والعمــل.

"لكن جانهولدر.. هل تعمل في مقهى؟".

"بــلى، أنــا أمنحهــا الوقــت، لديهــا الوقــت للتفكــير، عندمــا كنــتُ في الثلاثــين مــن عمــري كنــتُ في الشــارع. كنــتُ أشرب. لم أرَ النــور. عندمــا تدخــل الخمــر، يذهــب العقــل".

أُلقي نظرة فاحصة عليه، في النهاية لم يكن قدِّيسًا.

نــزور كنيســة صديقــه في بلــدة مجــاورة تشــبه تلــك التــي تظهــر في أفــلام الجريمــة. تبــدو وكأنهــا صالــة ألعــاب رياضيــة أكــثر مــن كونهــا كنيســة عاديــة، ورائحــة العَــرَق تمــلأ الهــواء. اســم صديقــه أقــصر مــن اســم أيٍّ مــن مضيِّفِــيَّ، ولكــن مــن الصعــب جــدًّا النُّطــق بــه. يُكتــب "ثــوردور"، لكــن بعــد مســاعدتهم لي عــلى تهجئتــه يبــدو أقــرب إلى "تورتشــور"[1].

وجهه مستدير بنظارة دائرية ولحية تَوراتيَّة كاملة.

السِّمة العصريـة الوحيـدة فيـه هــي شَـعرُه الطويـل الــذي يمسـحه بالجِــلِّ المُبــارَك. في الواقــع، يُذكِّــرني قليــلًا بوالــدي ذي الوجــه العريــض، بُورِكَــت روحــه. أخــبرني جودمونــدور أن تورتشــور يظهــر عــلى قناتــه التلفزيونيــة كلَّ يــوم، وهــو أمــرٌ واضــح. إن حديثــه عــالٍ وواضِــحٌ كأنــه مــا زال أمــام الكامــيرا، لم يــترك الكتــاب المقــدَّس طــوال الدقائــق الثلاثــين، مُمسِــكًا إيــاه في يــده مثــل المطرقــة المقدَّســة. يرفعــه مــرة أو مرتــين في

(1) Torture: بمعنى تعذيب.

الهـواء كـما لـو كان يُسَـمِّر أطروحاتـه عـلى البـاب الأمامـي لكنيسـته. وجهـات نظـره غـير تقليديـة ومتطرِّفـة، ولغتـه أكـثر تنوُّعًـا مـن غيرهـا.

"يسـألني النـاس أحيانًـا مـا إذا كانـوا بحاجـة إلى الخِتـان لدخـول الجنـة. أقـول لهـم لا، لا حاجـة لـه. لا يتعلَّـق الأمـر بالأعضـاء التناسـلية، بـل بالقلـب. السـؤال هـو: هـل أنـتَ مسـتعدٌّ لفتـح غُلْفَـة قلبـك والدخـول في نـور اللـه الحـي؟".

تشـتعل في عينيـه نـار رُهـاب المِثليَّـة، وعندمـا ألقـي عليهـم نظـرةً عميقـةً أرى عـبر النـيران، زميـلًا مِثليًّـا نحيفًـا مُسـمَّرًا عـلى صليـبٍ ويُنشِـد عبـارة "سـأعيش". يضيـف الأب فرينـدلي الوَقـودَ إلى هـذه النـار إذ يتذكَّـر توكسـيك ليلتـه مـع أنـدرو.

أقـول: "اعتدنـا أن يكـون لدينـا هـذا الرجـل المِثـليُّ في رَعيَّتنـا في ڤرچينيـا... لكـن بعـد أن مزَّقـت القـرطَ مـن شَـحمَة أذنـه مسـتخدمًا الكمَّاشـة، انتقـل مـن كونـه مِثليًّـا لكونـه بخـير".

ينظـر جودمونـدور إلى صديقـه الملتحـي مثـل صبـيٍّ صغـير، ويضحـك تورتشـور مثـل الشـيطان نفسـه، مُجيبًـا بلُغَتِـه الإنجليزيـة الجميلـة:

"هيه هيه. هكذا يتمُّ الأمر! عَلِّم على خُصاهم!".

يتـمادى فرينـدلي: "أو اسـتَخدِمْها كمطفـأة حريـق. ذات مـرة كان لـديَّ صبـيٌّ مذبـحٍ بَـدَا أنثويًّـا جـدًّا بالنسـبة لعمـره. تَحتَّـم عـليَّ أن أُعَلِّمـه درسًـا؛ لذلـك اسـتخدمته لإطفـاء الشُّـموع، بفمـه. كنـتُ أقـول لـه: "خـيرٌ لـكَ أن تنفـخ نـورَ الـرَّبِّ مـن أن تنفـخ قضيـبَ الظَّـلام!".

حـدَّق كلاهـما في وجهـي للحظـة قبـل أن يبـدأ كلاهـما بالضحـك مثـل شـقيقين في منتصـف العمـر يلتقيـان بالصُّدفـة في بهـو فنـدق بعـد أربعـين عامًـا. "قضيـب الظـلام! هـا هـا!".

"الأب فريندلي كان بارعًا جدًّا على شاشة التلفزيون الليلة الماضية، هل رأيتَه؟" يسأل جودموندور صديقه.

"نعم رأيته" يقول تورتشور، ويضع يده اليمنى على كتفي. ذراع النار.

# 10
# كعبي العالي[1]

**20/05/2006**

تمـرُّ الأيـام. أتكيَّـف بالتدريـج مـع حيـاة المنفـى، وتسـير الأمـور عـلى مـا يـرام. لقـد اعتـدتُ عـلى الصَّمـت والسـطوع وكذلـك التعقيـم في المنـزل. لكـنَّ الـبرد هـو أصعـبُ مـا أتعامـل معـه. إنـه أكـثر شـهور مايـو بـرودةً في حيـاتي، ومـع ذلـك، يتحدَّثـون في كل مـكان عـن كونـه أجمـل ربيـع.

توضِّـح سـيكريدر: "سـنرضى إذا حصلنـا عـلى عـشر درجـات هنـا في أيسـلندا". يـا للمسـاكين. سـأكون سـعيدًا إذا حصلـتُ عـلى عـشر دقائـق إضافيَّـة فقـط هنـا.

في الصبـاح، يـزور الأب فرينـدلي العديـدَ مـن الكنائـس والمنظـمات التطوُّعيَّـة حيـث يعاملونـه مثـل البابـا في جولـة، يُغدِقـون عليـه بالقهـوة

(1) MOJA ŠTIKLA: أغنية بوب اشتهرت في كرواتيا عام 2006.

والبسـكويت، ويُحَمِّلونـه بالكُتيِّبـات والنـشرات التـي تُظهـر عملهـم الجيـد. إنهـم يبنـون روضـة أطفـال في كينيـا، مدرسـة ابتدائيـة في الهنـد. الكَهَنـة كلهـم رجـال والمتطوِّعـون كلهـم نسـاء. أرفـع احتجاجـاتي إلى جودمونـدور بمجـرَّد أن نكـون في السـيارة.

أقول: "أنا قَلِقٌ من رؤية كل هؤلاء النساء يعملن خارج منازلهن".

"كل شيء عـلى مـا يُـرام طالمـا أنهـنَّ لا يَحصُلـن عـلى أجـر"، أجـاب وغمـز لي بطريقـة شـديدة الطَّرافَـة.

عـادة مـا تكـون فـترات بعـد الظُّهـر خاصَّـةً بي. أتجـوَّل في المدينـة بأسـلوب أ.ق.أ. أتحـرَّك ببـطء في ليكـور فيـكار، الشـارع الرئيـسي، أشـاهد النسـاء وأنظـر إلى واجهـات المتاجـر باحثًـا بـلا أمـلٍ عـن مسـدَّس أحلامـي. أمـشي بطـول الطريـق أسـفل التَّـلِّ إلى السـاحة الرئيسـية، والتـي تبـدو وكأنهـا سـاحة انتظـار سـيارات فارغـة أكـثر منهـا سـاحة مدينـة.

يمكنـك شراء مجلـة Handgun التـي يُفضِّلهـا أيُّ قاتـلٍ في متجـر كتـب دافـئ بالقـرب مـن السـاحة. يبـدو أن سـميث وويسـون لديهـم نمـوذج جديـد. "سـهل عـلى يـدك، سـهل عـلى هدفـك" أقـرب إلى "مسـدَّس خـالٍ مـن الذَّنـب" الـذي لطالمـا حلمنـا بـه نحـن الجلَّاديـن منـذ سـتمائة عـام.

أقـوم بلَـفِّ وشـاحي حـول الياقـة قبـل دفـع ثمـن كـوب كبـير في ماكينـة تسـجيل المدفوعـات النقديـة. أعطتنـي الإيصـالَ فتـاةٌ عجيبـةٌ محلِّيَّـة أخـرى، مـن طـراز اليـوم الثالـث. إنهـا حقيقـةٌ مُسَـلَّمٌ بهـا أن كرواتيـا لديهـا أجمـل النسـاء في العـالم، لكـن أيسـلندا قـد تكـون الوصيفـة المُقرَّبـة. إن أولئـك الشـقراوات الزُّبـدة يختلفـن كثـيراً عـن جميـلات الشَّـعر الداكـن عندنـا.

أجلـس عـلى مقعـد بجـوار البركـة الكبـيرة خلـف الكاتدرائيـة، وأشـاهد البـطَّ والبَجَـع يبحـر حولهـا. إنـه مـكان جميـل حقًّـا، مثـاليٌّ لتدخـين السـجائر. لكننـي لـن أتوقَّـف عـن إقلاعـي عـن التدخـين لمـدة خمـس

سـنوات، عـلى الرغـم مـن أننـي أعتقـد أن لـديَّ أعـذارًا جيـدة للقيـام بذلـك. يجـب أن أعتنـي بصحتـي. بـدلًا مـن ذلـك، قـرأتُ عـن هـذا الابتكار الأشـبه بمُبيـد النمـل، والـذي أصبـح مُمكِنًـا بفضـل الرصاصـة الثوريـة الجديـدة مـن شركـة إيجـل أي "كبـيرة بمـا يكفـي لتقتـل ضحيَّتَـك عـلى الفـور، ولكنهـا صغـيرة جـدًّا بحيـث لا تسـكب أي دمـاء عـلى الإطـلاق".

لـن يسـمحوا لمثـل هـذه المجلـة إلا في أكـثر البلـدان المسـيحية تخوُّفًا مـن اللـه عـلى هـذا الكوكـب. مَـن يشـتريها هنـا في تلـك الجزيـرة منزوعـة السـلاح؟ ألقـي بهـا في القمامـة قبـل دخـولي مقهـى باريـس. الزبـدة في الخدمـة. أشـفط معـدتي وأختـار واحـدة مـن الطـاولات التـي تخدمهـا.

يخشى الكاهن من علاقتها بوالدها ويسألها إن كانت تكرهه.

"أعتقـد أن والـدي يهتـمُّ باللـه أكـثر مـن اهتمامـه بأطفالـه"، تـردُّ جانهولـدر بشـكلٍ عـدائيّ عـلى نحـو غـير عـادي، بينـما تنظـف الطاولـة بخرقـة مُبلَّلـة، فيهتـز رأسـها كأخـتٍ إفريقيـة.

"حسـنًا، نحـن جميعًـا أبنـاء اللـه، أبنـاء وبنـات الأب المقـدَّس" أجيـب بمنتهـى الـود.

"الأب المقـدس، الخـراء المقـدس. أيـن هـي الأمُّ المُقدَّسـة إذن؟ إنهـا عـذراء... رائـع! مذهـل!. الكنيسـة لا تصلـح إلا للرجـال البيـض الحمقـى" تبصـق كلامهـا، ثـم تغـادر بقطعـة قماشـها وصينيتهـا. عـليَّ أن أعـترف أننـي مُعجَـبٌ بهـا بشـدَّة، لكـن الأب فرينـدلي يعتقـد عكـس ذلـك.

عندمـا عـادت بكـوب لاتيـه قـال: "والـداك أنـاس مُقدَّسـون وأعتقـد أنهـم يسـتحقُّون احترامـك".

"إنهـم ليسـوا مُقدَّسـين. عـدم ارتـكاب الذنـوب لسـنواتٍ لا يجعلـك مُقدَّسًـا. مُدمِـنُ الكحـول الـذي لا يـشرب يظـلُّ مُدمِنًـا عـلى الكحـول مثـل مَـن يـشرب".

يا للهول... هذا عميق جدًّا بالنسبة لي، وبدلًا من ذلك أركِّز على شفتيها. أحتفظ بكلبٍ عسكريٍّ كرواتيٍّ مسعورٍ خلف بوَّابات الكنيسة الثقيلة في ظهري الكهنوتي. عاجِلًا أم آجِلًا سيخرج من طوق الكلب اللعين ويبدأ في لعق شفاه الفراولة اللامعة.

من المفترض أن أعود إلى البيت المقدس بحلول الساعة السادسة. عادةً ما أسافر بسيارة أجرة، على الرغم من أنني أستطيع السفر من نيويورك إلى بوسطن بنفس المبلغ. يمكن لإيجور أن يتحمَّلها. المال ليس مشكلةً في لعبتنا أبدًا، على الرغم من أن بطاقة المدفوعات الذهبية الخاصة بـفريندلي من المحتمل أن يكون لها حدٌّ أقصى، لكن استخدام البلاستيك المتديِّن الخاص به سيكون بمثابة إرسال دعوة إلى الفيدراليين.

في الساعة 6:30 مساءً نتناول وجبةً مُتواضِعةً أعدَّتها سيكريدر. طعامها يجعلني دائمًا أفكِّر في جيري ساينفلد. شكل الطاولة لذيذٌ للغاية، لكن الطعام لا مذاق له على الإطلاق. بحلول الساعة 8.00 مساءً نكون في الاستوديو. تقرض سيكرير بعض مساحيق التجميل الخاصَّة بها للرَّجُلَيْن اللَّذَيْن يبدأ بثُّهما في الساعة 8:30. المضحك أنني سأشارك فيه، لقد بدأ الأمر يعجبني، بل صِرتُ أتطلَّع إلى ذلك تقريبًا. حتى إنني اشتريتُ نُسخةً من إنجيل الملك چيمس. الوعظ يجعلك قويًّا.

"لأنني كلِمته! وكَلِمَتُه هي أنا! فتكلَّموا!".

كِدتُ أندم أن السبت عطلة. يقول جودموندور: "هذا بسبب يوروڤيچن". ستُقام مسابقة الأغاني الأوروبية السنوية الليلة، حيث تشارك أيسلندا للسنة العشرين، وكرواتيا في السنة الحادية عشرة. يبدو أن هذا هو الحدث التلفزيوني لهذا العام.

"لا داعــي للوعــظ الليلــة. تســعة وتســعون بالمائــة مــن كل النــاس يشــاهدون يوروڤيچــن، وتخلــو كل الشــوارع. ســنعرض الليلــة تســجيلًا قديمًــا وحســب". وهــذا أيضًــا وقــتُ لَــمِّ شَــمْل الأُسرة؛ جانهولــدر وشــقيقها تراســتر كلاهــما قــادمٌ لتنــاول العشــاء.

يبــدو تراســتر مختلفًــا تمامًــا عــن أختــه. إذا كانــت هــي بجعــة، فهــو عصفــور: رجــلٌ ناعــس العينــين منتفــخ الصــدر، صغــير ومســتدير. إلَّا أنــه قــويٌّ أكــثر مــن كونــه ســمينًا. لديــه يَــدَا رَجُــلٍ عامِــلٍ وأصابعــه تبــدو عليهــا مهــارة الحرفيــين. وجهــه أملــس مــا عــدا بعــض الشــعر الأبيــض الــذي يغطــي شــفته العليــا. ومــع ذلــك، لا بُــدَّ وأنــه في السادســة والعشريــن أو الســابعة والعشريــن مــن عمــره. بالــكاد يتحــدث ولا يرفــع عينــه عــن وجبتــه أبــدًا، لكنــي مــا زلــتُ أجــد وجــوده مريحًــا بشــكل غريــب، وأدرك أننــي ســأجد صعوبــةً في اتِّبــاع الأوامــر إذا قالــوا لي أن أتخلَّــص منــه.

"تراســتر هــو اســم طائــر أيســلندي لطيــف للغايــة" تقــول ســيدة المنــزل وهــي تمــرُّ عــليَّ بالصلصــة البيضــاء، والمُقدَّســة للغايــة.

"إنها ليست أيسلندية" اعترَضَت ابنتها بجفونٍ ثقيلة.

"مــاذا تقصديــن؟ تراســتر؟" تقــول ســيكريدر باندهــاش كبــير. "إنــه أحــد أكــثر الطيــور الأيســلندية. لدينــا حتــى قصيــدة عنــه".

"نعــم، لكــن يــا أمــي هــذا لا يعنــي أنهــا أيســلندية. الطائــر هنــا فقــط في فصــل الصيــف، ويقــضي معظــم العــام في فرنســا أو إســبانيا. ألا يجعلــه هــذا إســبانيًّا أكــثر منــه أيســلنديًّا؟".

"إســباني! كيــف يمكنــك أن تقــولي هــذا؟ تراســتر هــو أشــهر الطيــور لدينــا في أيســلندا".

"يقضي معظم وقته في إسبانيا".

"لكــن... أطفالــه وُلِــدوا في أيســلندا، إنهــم مواطنــون أيســلنديون، ويجــب أن يكــون كذلــك. لقــد وُلِــدَ أيضًــا في أيســلندا!".

"مواطنــون أيســلنديون؟" تقــول جانهولــدر: "تتحدَّثــين بعنصريــة يــا أمــي".

مــن الصعــب معرفــة مــا إذا كان والداهــا يفهــمان الكلمــة، لكــن والدتهــا تغلــق عينيهــا وتُطبِــق شــفتيها. ينهــض جودمونــدور مــن الطاولــة ويمــشي إلى رَفِّ الكتــب ليســحب مُجلَّــدًا، وتحــاول ســيكريدر أن تُهــدِّئ الأمــور باللجــوء إلى الأب فرينــدلي: "أنــا لا أعــرف مــا اســم هــذا الطائــر بالإنجليزيــة، لكــن...".

"إنــه أحمــر الجنــاح" هكــذا صــاح زوجهــا الطيــب وهــو ينظــر في قامــوس نحيــف.

تشــكره وتــشرح لي أن أحمــر الجنــاح هــو "طائــر ســفر". تُديــر جانهولدر عينيهــا، لكــن تراســتر يجلــس هنــاك، مثــل بحَّــار أصــمَّ وجَدَتــه العائلــة عــلى الشــاطئ هــذا الصبــاح. وجنتــاه العــذراوان مُلطَّخَتــان بأحمــر خــدود ناعــم، كــما لــو كانــوا يحاولــون مســاعدتي في تصــوُّر أحمــر الجنــاح.

"أم أنــه طائــر مســافر" تواصــل ســيكريدر "مــاذا تقــول؟ مــاذا تُســمِّي الطائــر الــذي يعيــش في اثنــين... ".

" لا أعرف.. طائر هجرة؟" هو تخميني الجامح.

تلتقطها جانهولدر بسخرية شريرة: "طائر مهاجر".

نأكل في صمت.

انتهــى تراســتر مــن وجبتــه والتقــت أعيننــا. رَجُــلٌ مســكين. عندمــا قدَّمــه والــداه إليَّ، أضافــا بشــكل غريــب أنــه عشــيق، كــما لــو كان متخلِّفًــا.

"أوه؟ ومَن المحظوظة؟" سألتُ.

"نعم، إنها محظوظة جدًّا. ونحن أيضًا".

يجب أن أعترف أنني كنتُ أتطلَّع طوال اليوم لمشاهدة مسابقة الأغنية الأوروبية يوروڤيچن الغبيَّة. لقد مَرَّت سِتُّ سنوات كاملة منذ شاهَدتُ البرنامج الذي أنقذ حياتي. نجتمع على أريكة الزاوية الكبيرة، ويقوم جودموندور بتشغيل شاشته المسطَّحة. البَثُّ مباشرٌ من أثينا في اليونان، والجو لا يختلف عن أجواء جمهور الإنجيليين التلفزيوني الضخم: عشرة آلاف شخص يصرخون بفرح في نهاية كل أغنية، ما عدا الأغنية الأيسلندية. فتاة قَذِرَة ترتدي زِيَّ عاهِرةٍ لا تتلقَّى سوى صيحات الاستهجان الشديدة. بَدَت الأغنية جيِّدةً، لكن غطرستها بالتأكيد لن تُرضي الإغريق. في الواقع تُذكِّرني قليلًا بجانهولدر.

ألقي نظرةً على مُضَيفيَّ، من بين كل الأفعال العلمانية ربما كان هذا هو أقلها تَديُّنًا، المغنية التي تبتسم ابتسامة شيطانية، كما لو كانت قد نامت للتَّوِّ مع منتج العرض. ينظر جودموندور إليَّ بابتسامة مُعقَّدة، كما لو كان مندوبًا للأمم المتحدة وقد تَبَوَّل رئيس وزرائه للتَّوِّ على المنصَّة.

تُوضِّح جانهولدر: "إنها مُجرَّد مَزحَة، هذه المُغنِّية... إنها تسخر من كل شيء داعر".

تنفجر كلمة الـ "د" بهدوء في الغرفة، مثل ضَرطَةٍ صامتة ولكنها خطيرة. يُذكِّرها والدها بلُطفٍ بأن مثل هذه الكلمة غير مقبولة في منزله، وحتى توكسيك فوجئ، وتذَكَّر كيف أن "الشيء الداعر" أنقذ حياته.

نستعرض عشر أغانٍ أو أكثر -معظمها من فئة موسيقى التكنو سلاڤية، أو تكنوسلاڤيك كما نقول- حتى ظهَرَت كرواتيا العزيزة، هرڤاتسكا العزيزة الغالية، كاد تومو يتبوَّل في سرواله الداخلي وهو

يشاهد الإلهة الوطنية تمشي على خشبة المسرح. إنها سيڤيرينا، سيڤيرينا العزيزة الغالية. سيڤيرينا ڤوكوڤيتش.

بالنسبة لأبناء سبليت، كانت أجملَ فتاة في العالم. كانت تَكبُرُني بأربع سنوات، ولم أجرؤ حتى على الحلم بها. رأيتها ذات مرة تمشي في مارمونتوڤا مع والدتها، فانتابني فَواقٌ فظيع في القلب. على الرغم من أنني لم أَرَها منذ سنوات -منذ أن انتشر شريطها الجنسيُّ على الإنترنت وأبكى كلَّ كرواتيٍّ لمدة أسبوع- لكنها لا تزال تبدو وكأنها أجمل امرأة في العالم. إنها ترتدي فستانًا أحمر طويلًا مفتوحًا من الأمام، وتتباهى بساقيها المثاليَّتَيْن. تُدعِّمها فرقةٌ موسيقيَّةٌ مَحلِّيَّةٌ "لأن العشب لم يَنبُت بَعدُ"[1] أشعر بالحنين إلى الوطن، أشعر به في معدتي. آه، هذا فظيع. "حيث يقف كعبي" يا رَجُل، لا أستطيع التَّحمُّل. مشاهدتها وهي ترقص على الشاشة تخلق إحساسًا عميقًا بداخلي، إنه مثل رؤية والدِّيْكَ يداعبان بعضهما، تمهيد إحضارك إلى العالم، والسبب الأساسي لوجودك.

أشعر بحنين شديد إلى الوطن.

وفي مكان ما عميقًا، أشعر بالرغبة في البكاء. لكن دموعي الحجرية لن تعود إلى حالتها السائلة. يجب أن يصنعوا ڤياجرا للبكاء. آمل ألَّا يلاحظوا عيني المغبَّشة، أو فمي الحزين، أو انتصابي الوطني تحيَّةً لبلادي، إنها لغتي، فتاة أحلام طفولتي، تضرب الرجل الوحيد في المنفى مثل رجُلٍ تدهسه شاحنة في مدينة نيويورك مليئة بالصحف الشعبية (وعلى صفحتها الأولى توني دانزا الداعر[2]) أوه... "وطني الحبيب" ينظرون إليَّ. لا بُدَّ وأنني أبدو مثل جَروٍ وحيد يتوق لأمه. أودُّ أن أقول شيئًا.

---

(1) بالكرواتيّة في الأصل

(2) Tony Danza: ممثِّل أمريكي.

"إنها الذكريات..." تمكَّنتُ من التَّأتأة "... من يوغوسلافيا" يديرون رؤوسهم مرَّةً أخرى إلى الشاشة، متجاهلين الكاهن الحزين الجالس على الأريكة. تتابع سيڤيرينا الصراخ: "مويا شتيكلا! مويا شتيكلا!" يعني هذا "كعبي العالي! كعبي العالي!" فجأة يَرِنُّ جرس الباب، يشبه صوت أجراس الكنائس. اتَّجَه جودموندور إلى الباب، وسمعت رَجُلَيْن يتحدَّثان إليه.

كانت هذه هي إشارة رحيلي.

أستأذن وأنهض مُتظاهِرًا بالذَّهاب إلى الحمَّام، لكن أواصل المرور عبر غرفة الطعام، وصولًا إلى الجزء الخلفي من المنزل. أفتح الباب إلى الشرفة الأرضية وأتردَّد للحظة وجيزة جدًّا. اندفع هواء الربيع الجليدي في وجهي، وأدرك أنني لا أرتدي أي حذاء، فقط جواربي من مدينة نيويورك. في الخلفية تعوي سيڤيرينا على حذائها ذي الكعب العالي، فلم يكن هناك حذاءٌ غيره أخطو به على الشرفة الباردة. أغلَقتُ الباب خلفي بسرعة، ثم ركَضتُ مثل رَجُلٍ مجنون من حديقة لأخرى.

# 11
# تادِيوس

## 2006/05/20

الرَّكض على الأسفلت الأيسلندي في الجوارب الأمريكية الرقيقة في الصيف صعبٌ على القدم الكرواتية. ما زِلتُ لن أبكي بسبب ذلك. أنا قاتِلٌ مُحتَرِف، ولست كاهنًا.

اتَّخَذتُ من البرد سوطي وأنا أركض في الشارع مُتَّجِهًا أعمق إلى هذه الضاحية من القصور الصغيرة. لحسن الحظ لا أحد يراني. الجميع يشاهد رقصة "كعوب" سيڤيرينا[1]. الكعب العالي هو أساس المرأة. عليك فقط أن تعبد الفتاة التي ترتديها. في الواقع، يمكنك قياس المرأة بحذائها، كلَّما كانت أكثرَ أنوثَةً؛ كان كعبها أعلى. عادَةً ما تكون كعوب سيڤيرينا بطول ماسورة مسدَّس عيار 9 ملم.

(1) مغنِّية وكاتبة أغانٍ وممثِّلة كرواتية.

قال أحد أصدقائنا إنه قضى معها ليلة على متن قارب والده في الميناء مباشرة. "نُقَلِّب الأمواج حتى ضوء الصباح". لم نُصدِّقه، لكن بالطبع لم نتمكَّن من إثبات خطئه أيضًا. سواء أكان ذلك صحيحًا أم لا، فقد بنى سُمعَتَه الكاملة على القصة، وانتهى به الأمر في البرلمان اللعين.

كلَّما ظهر وجهه على شاشة التلفزيون الكرواتي؛ أمسَكتُ تلقائيًّا بمسدَّسي.

لا أرى أيَّ سيارات شرطة في الجوار. لا فِرَق تَدَخُّل سريعٍ أو عُمَلاءَ سِرِّيِّين يرتدون قُبَّعاتٍ صوفيَّةً يقفزون فوق الحواجز. أعتقد أن الرَّجُلَيْن تَحدَّثا إلى جودموندور باللغة الأيسلندية، ويعمل قسم الشرطة المحلية لصالح الفيدراليين. كل الدول الصغيرة تحتضنها الولايات المتحدة؛ فالكل يريد لحظته في هوليوود. أتساءل ما إذا كانت الشرطة الأيسلندية ستفعل الشيء نفسه مع المُكافئ الإيراني لمكتب التحقيقات الفيدرالي.

استدرتُ يمينًا عند التقاطع التالي، ولاحَظتُ شاحنة توصيل صغيرة من دومينوز بيتزا ظلَّ مُحرِّكها دائرًا. انحنَيتُ خلف السيارة. يقف فتى البيتزا عند مدخل منزل مجاور موليًا إليَّ ظهره إذ يقدم فطائره الساخنة إلى امرأة جذَّابة بأكتاف عارية، من نوع اليوم السادس. أقفز في السيارة وأنطلق، يهرع إلى الشارع بينما أقود السيارة بعيدًا.

أراه يُلوِّح لي مُودِّعًا في مرآة الرؤية الخلفية. الأيسلنديُّون مُهذَّبون.

بعد تفكير سريع إذ أقود في الشوارع الفارغة، عرفتُ أنني لا يجب أن أبتعد. عربة البيتزا مثل الجَرَس حول رقبة الثَّور. ولطالما قال لنا جافور:

"عندما تريد الاختباء، يجب أن تختبئ في قلب العدو. إنه المكان الوحيد الذي لن يبحث فيه".

جميع القصور مُلحَقٌ بها مرآب مُزدوَج. بعضها يكاد يكون بحجم المنزل نفسه. وأمام كل واحد هناك سيارة دَفْعٍ رُباعيٍّ ضخمة تقف بجانب واحدة أصغر: له ولها. شاحنة فورد سوبر ديوتي بجانب بورش كايين. هؤلاء الناس يحتفظون بالسيارات مثل البدو الذين يربُّون الجِمال. تبدو جميعها جديدة تمامًا، وتتلألأ أسطحها في ليلة الربيع البيضاء.

ومع ذلك، لم توضع تلك العربات داخل المرآب، كما أخبرني الزوجان المقدَّسان في ذلك اليوم، بل تَمَّ بناء الأسقف المسطَّحة كأضرحةٍ للعجول الذهبية التي تستريح تحتها. أخبرني جودموندور أن جاره يُلمِّع سيارته الليكسز كل أسبوعين، وربما يمارس معها الحب باقي الأسابيع. تمَّ تزيين العديد من سيارات الدفع الرباعي بإطارات ضخمة؛ ممَّا وضع أنبوب العادم في الارتفاع المثالي لمثل هذه العملية.

ثمَّة منزل لا توجد سيارات أمام مرآبه المزدوج. مَرَرتُ به وخمسة منازل أخرى، ثم توقَّفتُ، وأوقَفتُ عربة البيتزا بالليمون لأقفز خارجًا وأغلقها.

أُلقي بالمفاتيح في الفِناء المجاور، قبل أن أركض سريعًا إلى المنزل الفارغ. (ربما ترغب في رؤية هذا بالحركة البطيئة: الكاهن السمين يركض على الرصيف بجورب في قدميه، مثل مُدمِن اليانصيب بعد فوات أوان شراء تذكرته). لا يوجد ضوء في النوافذ. على الأقل لا يوجد ضوءٌ مَرئيٌّ. من الصعب التأكُّد؛ لأن الليل ساطِعٌ مثل حفلة موسيقيَّةٍ في الجحيم.

سِرتُ في الممر القصير وصَعَدتُ ثلاث درجات إلى الباب الأمامي. أدُقُّ الجَرَس، فينبح كلبٌ من مسافة. أنتظر قليلًا في البرد القارس لالتقاط أنفاسي، ثم أقرع مرة أخرى. يبدو أن جرس الباب متَّصِل بكلب على بُعد بنايتين من هنا. وإلا فإنه صامت حتى الموت. الحيُّ

كله ملتصق بالتلفاز، حتى الأشجار تسَمَّرَت في مكانها في لهفة تتساءل ما إذا كانت سيڤيرينا ستفوز؟

يمكن سماع صوت سيارة في شارع قريب. لا بُدَّ وأنهم جواسيس المباحث الفيدرالية في طريقهم. أخرجتُ السِّكِّين وفتحتُ الباب لأجد الكلب الذي ينبح داخل المنزل. أجد بعض النِّعال في المدخل، وأتجوَّل بسرعة في منزلي الجديد. مائتا متر مُربَّع تخصُّ أناسًا محافظين. مدفأة غير مستخدمة وبعض اللوحات القمرية الأخرى، أشياء ثقيلة في إطارات ذهبية ثقيلة، وبعض الأرائك الضخمة وجهاز للمشي.

يبدو أن الكلب في القبو. أجد السُّلَّم وتقودني أذني إلى غرفة الغسيل. بمجرد وصولي إلى الداخل، أجد كلبًا صغيراً مُشعِرًا اعتدنا أن نطلق عليه "باروكة مُتحرِّكة" في المنزل في سبليت. تدخل آلة النباح الصغيرة في نوبةٍ أنهيها بأن لَوَيتُ عُنُقَه بسرعة. الأمر سهل مثل كسر ساق الدجاج من المفصل.

أجد بعض السراويل الغريبة على المنشر، وقميصًا مُبتَذَلًا، وملابس داخلية رجاليَّة مغسولة حديثًا. يخلع الرجل المقدس الياقة ويتبرَّع بها لزميله الكلب الميت- ويودِّع الأب فريندلي. ارتديت السروال والقميص الغريب، ثم اتَّجهتُ بسرعة إلى المرآب الذي يُمنع فيه تواجد السيارات.

أفتِّش عن علبة طِلاء أو شيء يشبهه. أجد بعض طِلاء المنزل في زاوية مُهمَلَة. أفتح العلبة بسكِّين الجيش وأُلطِّخ ملابسي ووجهي ببعض الطلاء الأبيض. هذا عبقريٌّ للغاية، أنا متحمِّس جدًّا. نبضات قلبي تنتقل من موسيقى بوليرو إلى موسيقى بوسانوڤا.

أُحضِر العلبة المفتوحة معي داخل المنزل وأجد بعض الصحف في المطبخ، فأفرشها على الأرض في الرَّدهة -حوالي ست عشرة صورة لفتاة تافهة تُغنِّي لأيسلندا- وضعتُ العلبة فوقهم. عثرت في المطبخ

على راديو فقُمتُ بتشغيله. يصرخ فيل كولينز[1] بأنه كان ينتظر هذه اللحظة طوال حياته. اعتَدتُ أن أبكي معه بصوتٍ عالٍ عندما هجرتني صديقتي في هانوڤر مثل كوبٍ وَرَقيٍّ فارغ في سلَّة مهملات. إنها أغنية انفصال رائعة.

أنهيتُ كل شيء وقد بَلَّل العَرَق رأسي تمامًا. في النهاية رنَّ جرس الباب. أنتظر دقيقةً وأتركه يَرِنُّ مرَّةً أخرى. الصوت فخمٌ للغاية وكأنه مُصمَّم لتذكير المُلَّاك بثروتهم. أذهب إلى الباب وأفتحه. دقَّات قلبي على أنغام موسيقى الديسكو الآن، يقف اثنان من رجال الشرطة عند المدخل، سترات سوداء، قبعات بيضاء.

"أهلًا" كما يقولون باللغة الأيسلندية الخالِصة.

"مرحبًا[2]" أقول بلهجة سلاڤية كثيفة.

"آه... عفوًا، هل تتحدَّث اللغة الإنجليزية؟".

"... قليلًا".

"هل كريستيان بالمنزل؟".

هل هذا منزل مسيحي؟ هذا سؤال غريب. ربما ليسوا من رجال الشرطة. ربما يكونا كاهنين فقط في دورية تجوب الحي. "نخم، أعتقد أنه منزل كريستيان. لكنني لا أغيش هنا.." أقول بأفضل نُسخةٍ لديَّ من انجليزيَّةِ المهاجرين.

"هل يمكننا التَّحدُّث معه؟".

"معهه؟".

"نعم. نريد التحدث إلى كريستيان".

---

(1) موسيقي انجليزي.

(2) يتعمد الكاتب في الفقرات التالية التحدث بلغة ركيكة.

لهجتهم قوية، مثل مصارعٍ تناوَلَ الكوكايين.

"آه فهمت. لا، كريستيان لا منزل الآن، لا".

"مَن أنت؟".

"أنا تاديوس".

"بولندي".

"نخـم. أنـا أعمـل في المنسـل. كريسـتيان ليـس في المنسـل" أقـول وقـد بَلَّـل الطِّـلاءُ الأبيـض أنفـي.

"تمـام. نبحـث عـن رَجُـلٍ أصلَـعَ في ثيـاب قِسِّـيس. هـل رأيـتَ أيَّ شَـخصٍ يركـض هنـا؟".

"لا، آشف، كاهن أصلع؟".

"نعـم. ليـس لديـه شَـعرٌ عـلى رأسـه ويرتـدي زيَّ كاهـن، إنـه رجـل خطـير للغايـة، مجـرم. نحـن نبحـث عنـه".

"كاهـن جنـائي؟" أسـألهم، متذكّـرًا ديـكان ومقولتـه الشـهيرة: "الغبـاء هـو أفضـل تمويـه".

"نعم، إنه مطلوب في أمريكا".

"أعتقد أن لديهم ما يكفي من الكَهَنَة الجنائيِّين في أمريكا؟" أقول.

يبتسـم الشرطيـان الأيسـلنديَّان بابتسـاماتٍ لطيفـة، ويُودِّعانـي بـأدب، ويتمنَّيـان لي التوفيـق في الرسـم.

# 12
# السيد ماك

## 2006/05/20

لم أَعِـش في منـزل كبـير كهـذا مـن قبـل. أحِـبُّ ذلـك تمامًـا، عـليَّ أن أعـترف. فجـأة أصبـح المنفـى مُمتـازًا. كان الهـروب مـن البيـت المقـدَّس مصـدرَ ارتيـاح كبـير. الآن لسـت بحاجـة إلى رسـم ابتسـامة غبيـة في الصبـاح أو السـير عـلى الأرضيـات اللامعـة مثـل المسـيح عـلى المـاء. كان خلـع فرينـدلي أشـبهَ بالتَّخـلّي عـن حبيبـةٍ صوتُهـا عـالٍ بلهجـة مـن تكسـاس، ومُدمِنـة عـلى الهاتـف الخلـوي.

أقـضي بقيـة ليلـة السـبت في المنـزل وحـدي، مسـتمتعًا بمسـابقة الأغنيـة الأوروبيـة لعـام 2006 عـلى شاشـتي المسـطَّحة الكبـيرة الجديـدة ذات الصـوت المحيطـي، والتـي تبـدو في الواقـع أشـبهَ بشاشـةٍ بَدينـة. لطالمـا كان فـرز الأصـوات هـو المُفضَّـل لـديَّ. فـاز بالـكأس فنلنديَّـان ارتـدوا أزيـاء الهالويـن وراحـوا يصرخـون. تـأتي البوسـنة والهرسـك في المرتبـة الثالثـة.

احتلَّـت سـيڤيرينا المركـزَ الثالـث عـشر بحصولهـا عـلى سـتَّةٍ وخمسـين صوتًـا فقـط، جميعهـم مـن جمهوريـة يوغوسـلافيا السـابقة. حتـى الـصِّرب يشـعرون بالسـوء بمـا يكفـي لمنحنـا عـشر نقـاط، أم كانـوا يُصوِّتـون بقُضبانهـم؟ مـن الواضـح أن بقيـة أوروبـا لم تشـهد الشريـطَ الجنـسيَّ لسـيڤرينا. إذا أردنـا الفـوز بهـذا الـشيء اللعـين مـرَّةً أخـرى؛ فنحـن بحاجـة لإنشـاء المزيـد مـن دول البلقـان.

الثلاجـة مليئـة بالطعـام. أعِـدُّ عِجَّـة في وقـت متأخِّـر مـن الليـل للقاتـل الجائـع المختبـئ، وآخـذه إلى غرفـة البليـاردو في الطابـق السـفلي، محـاولًا أن أبقـى بعيـدًا عـن الأنظـار وأطفـئ الأنـوار. مُـلَّاكي هـم كريسـتيان ب. مـاك وهيلينـا انجولفسـتودير، ويبـدو أنهـما تَحمَّـلا هـذه الأسـماء لنحـو سـتِّين عامًـا. تُظهِـر ألبومـات الصـور زوجـين سـعيدين بشـاربين يبتسـمان في جميـع الأماكـن الجميلـة مـن فلوريـدا إلى سـلوڤينيا. يبـدو أنهـما يسـافران مـن أجـل لقمـة العيـش. يظهـر تقويـم المطبـخ مـارس في كينيـا وأبريـل في بلغاريـا. لا بُـدَّ وأن هيلينـا فكَّـرَت فيَّ؛ إذ علَّمـت حتـى نهايـة هـذا الأسـبوع: لنـدن، لنـدن، لنـدن، لنـدن. ومـن المُقـرَّر أن يعـودا يـوم الاثنـين.

بعد يومٍ طويل حافل بالأحداث، أنا سعيد لأنني سأنام في فراشهما.

إنهـا سـاحة كبـيرة للملاكمـة مـن جانبـه وجانبهـا. لا يمكننـي العثـور عـلى القُفَّـازات، لكـن يمكننـي أن أرى أنهـا تقـرأ بعـض كتـب الطبـخ الإيطاليـة وهـو يقـرأ: كـوزا نوسـترا... تاريـخ المافيـا الصِّقِلِّيَّـة. الطِّليـان اللُّعَنـاء في كل وقـت. مـاذا عـن بعـض الدعايـة للرجـال الصادقـين المثابريـن في المافيـا الكرواتيـة؟ مـاذا عـن بعـض الكتـب وبعـض الأفـلام وبعـض الشُّـهرة؟ اللعنـة. حتـى النَّكِـرة الـذي يحمـل اسـمًا قبيحًـا في تلـك الجزيـرة معزولـة السـلاح يقـرأ عـن مُتغوِّطـي المكرونـة.

أنـام في جانـب الزوجـة، وأحتفـظ بدقائـق اسـتيقاظي الأخـيرة لأرصـد وضعـي الغريـب. مـاذا بعـدُ؟ يمكننـي قتلهـم عنـد عودتهـم والبقـاء هنـا

حتـى تفـرغ الثلاجـة، أو اسـتخدام التذكـرة التـي اشـتراها لي إيجـور في المطـار. لا أرى أي احتـمالات أخـرى.

أقـضي يـومَ الأحـد في المنـزل، مسـتمتعًا بإفطـار طويـل وفاخـر، أحـاول جاهِـدًا قـراءة المقـال المُصاحِـب لصـورتي عـلى الصفحـة الخلفيـة مـن الصحيفـة التـي جـاءت مـن البـاب الأمامـي في وقـت متأخِّـر مـن الليلـة الماضيـة. العنـوان كالتـالي: Mafíumorðingi á Íslandi؟ يبـدو وكأنـه مافيا في أيسـلندا. علامـة الاسـتفهام مطمئنـة. هنـاك ذِكـرٌ لمحطـة الأب فرينـدلي ومحطـة جودمونـدور كريسـتيان التلفزيونيـة، إلى جانـب بعـض الكلـمات مـن الواعـظ نفسـه. يمكننـي تخيُّـل وجـه حيـوان اللامـا ذي العينـين الكبيرتـين عـلى عنـق طويـل مُشـعِر أمـام المراسـل: "نحـن في صدمـة كبـيرة، لم نَشُـكَّ في أي شيء. كان ودودًا[1] للغايـة. نحـن نعتـبر أنفسـنا محظوظـين لأننـا عـلى قيـد الحيـاة".

لم يُذكر اسم إيجور. إنه أملي الوحيد الآن.

أحـاول الاتصـال بمونيتـا باسـتخدام هاتـف منـزل آل مـاك. أعلـم أنهـا ليسـت أكـثر الخطـوات حِكمـةً، لكنـي لا أسـتطيع المقاومـة. لا بُـدَّ أن أتحـدث معهـا. أتَّصِـل بهـا عـلى هاتفهـا الجـوال فتجيبنـي خاصِّيَّـة الـرَّدِّ الآلي "لـذا مـن فضلـك اتـرك لي رسـالة بعـد الصفـير" لا يمكنـك إلا أن تحـب هـذا الصـوت. هـذا العـالم الناعـم، الدهنـي، المُشـعِر الـذي يمتصُّـكَ مثـل أمِّ الحيـاة نفسـها، حتـى تَعَثُّرهـا في الـكلام مثـير.

لا تجيـب ولا تعـاود الاتصـال. أتسـاءل عـمَّا إذا كانـت بخـير؟ المـوت العنيـف شـائعٌ في عائلتهـا.

أسـتحمُّ بمـاءٍ سـاخن لمـدة طويلـة، في أكـبر حـوض اسـتحمام مـن شرق ڤيجـاس، وأتـرك الفقَّاعـات ترتـد عـلى بطنـي لمـدة خمسـين دقيقـة، ثـم

(1) استخدام مزدوج لاسم Friendly.

أستمتع بالسَّير عاريًا في المنزل مع بيرة باردة في يدي، مُستَغلًّا كل المزايا المُذهِلة للتواري عن الأنظار قدر استطاعتي.

خارج الزمن. أنا أعيش في منزل فارغ. أنا لستُ أحد الموجودين في المنزل، أنا غير موجود. أنا فقط تلك القوَّة غير المرئية التي تُحرِّك علبة صغيرة خضراء من بيرة هاينكن حول هذا المنزل الكبير، وتمتصُّ محتوياتها ببطء.

عند عودتي إلى الحمَّام، أتفاجأ بشكل سيئ برؤية وجهي في المرآة. لجزء من الثانية أرى الأب فريندلي. أتذكَّر اتصالنا السريع بالعين في المرآة في مطار جون إف كينيدي وقلبي يتخطَّى الخفقان. السيد فريندلي عنيدٌ مثل خيلٍ تحت تأثير المنشطات. هو لن ينسى الأمر. كان يناديني باستمرارٍ من قبره مثل زعيمٍ غاضب يشتكي من نعشه. حتى إنني حَلمتُ به الليلة الماضية، في تجمُّع من العباءات البيضاء الطويلة والأشجار الخضراء الطويلة في الهواء الطلق، اقتَرَب منِّي وقبَّلني على جبهتي. شعرتُ بشفتيه كبيرتين وسميكتين ودافئتين كما لو كان أسود. وعندما تَراجَع، رأيتُ أنه في الحقيقة يُشبِه لويس أرمسترونج، رجل البوق العزيز الطيب.

أنا لا أفهم. لقد مات ستة وستون خنزيًرا، دون أي تأنيب ضمير، وفجأة يُلاحِقُني كاهِنٌ أصلعُ قُتِل في حمَّام المطار كفتاة مُغرَمة حتى الإعاقة. ربما لم يكن مُجرَّدَ رَجُلٍ مُقدَّس، بل رَجُل مبجَّل؟ مثل لويس أرمسترونج.

تجعل البيرة عقلي يسبح داخل رأسي، مثل حوت مُحاصَر في حوض مائي صغير الحجم، وأشعر بالارتباك. أنظر إلى نفسي في المرآة، أبحث عن نفسي في المرآة، بطريقة ما أنا لست هناك. أواجه دُميَةَ بابوشكا بوجه واعظ تلفزيوني أمريكي، بداخله الرسام البولندي الساحر تاديوش بوكسيڤيتس، وبداخله مُهرِّب الأسلحة الروسي إيجور إليتش، وبداخله

توكسيك القاتل، وبداخله: توم بوكسيتش أحدث وافِد. وأخيراً بداخله "تشامب"، الفتى تومو، الصبي الصغير من سبليت في كرواتيا.

بدلًا من الشعور بالاكتئاب بشأن عدد وأحجام كل ما عندي من ذواتٍ مختلفة، أضَفتُ واحدة أخرى إلى الدُّمية الخشبية: أخرج من المنزل بصفتي السيد ماك، رجل الأعمال الناجح في جارد ذا بير، أيسلندا. أرتدي معطفًا شتويًّا طويلًا، بُنّيًا، فاتِحًا، وقُبَّعةً رمادية داكنة، ووشاحًا أحمر حول رقبتي. حذاء من لويدز في لندن. علاوة على ذلك، أحمل حقيبة جلديَّة بُنِّيَّة اللون تحتوي على حذائي الرياضي الروسي وبعض الملابس الداخلية النظيفة.

لا بُدَّ وأنني أبدو سخيفًا تمامًا، مثل قاتِلٍ مَلَكيٍّ في طريقه إلى وظيفة في ساعة متأخِّرة من الليل.

ما زِلتُ أحاول أن أمشي كرجُلِ أعمالٍ: بظَهرٍ مستقيم وبطن منفوخ. الرجل الذي حقَّق كلَّ نجاحاته وراء ظهره والآن يمشي منتصرًا، كما لو أنه لم يكن يُحرِّك قدميه بنفسه، ولكن تدفعه في الطريق حصَصُ استثماراته المتزايدة باستمرار. هذا يعني أنني أمشي ببطء بطول الرصيف، أنا الوحيد الذي يفعل ذلك هنا في بلدٍ لا يمشي فيه أحدٌ. يصيبني هذا ببعض التوتُّر.

كل سيارة ملعونة يرمقني مَن فيها بالنظرات. يبدو أنهم لم يَرَوا رَجُلًا يمشي من قبل. يبدو الأمر كما لو كنتُ على خشبة مسرح مكتمل العدد في المسرح القومي الكرواتي. لكن هذا هو السبيل الوحيد. سرقة سيارة لن تلائم شخصيَّة السيد ماك، وسيارة الأجرة كانت محفوفة بالمخاطر.

الضَّوء عالٍ أكثر من أيِّ وقت مضى. في الساعة العاشرة وثلاث وثلاثون ليلًا، لا تزال الشمس تحترق في الأفق مثل مصباحٍ برتقاليٍّ في

مطعـم صينـي في الهـواء الطَّلـق في بروكلـين. إنهـا أمسـية جميلـة في الواقـع، ببِحـارٍ هادئـة تمامًـا ودرجـات الحـرارة العـشر المعتـادة. عليـك اللعنـة! الآن أبـدو وكأننـي نبيـلٌ بريطـاني... لا بُـدَّ وأن القُبَّعـة هـي السـبب.

# 13
# شركة الجريمة والقتل

## 2006/05/21

لم أشعر برغبةٍ في قتل الزوجين ماك. يكفي كلبهما. ما زِلتُ بدون أداة العمل المعتادة، وبصراحة لم أتخيَّل أداةً أخرى تمزج بين العاطفة والمؤخرة. لستُ بحاجة إلى نسختين من فريندلي على ظَهري. أيقنتُ أيضًا أن إيجور لم يَعُد خيارًا.

كنت أعتقد أن خطئي في تقديم نفسي كإيجور على أبواب هذا البلد، بدلًا من أن أكون الأب فريندلي بطول الطريق من چون كنيدي، هو شيء من الحظِّ الغبي. لكنني الآن لست متأكِّدًا. حقيقة أن السيد فريندلي كان مسافرًا على متن رحلة طيران أيسلندا في تلك الليلة، لكنه لم يحضر إلى أيسلندا بعد ذلك، لا بُدَّ أنه أثار الشكوك في بعض الأماكن النافذة. وعندما تعرَّفوا على الجثة في حمَّام المطار على أنها جُثَّته، قاموا بالحسابات السهلة: قاتِلُه سافَرَ بتذكرته في تلك الليلة.

ثـم قامـوا بعـد ذلـك بفحـص قائمـة الـرُّكَّاب وتحديدهـم جميعًـا عـلى أنهـم سـائحون بـلا سـوابق جنائيـة ومُحِبُّـون للأنهـار الجليديـة باسـتثناء هـذا الرجـل.

ومـن ثـم لا بُـدَّ أن تقريـر مراقـب الجـوازات في تلـك الليلـة قـد اسـتبعد إيجـور عـن كونـه قاتِـلًا مُحتَمَـلًا لفرينـدلي؛ لـذا فـإن تَـرْكَ أيسـلندا مُتخفِّيًـا هـو مخاطـرة لـن أقـوم بهـا. لا أريـد أن أقـضي الثلاثـين عامًـا القادمـة في تنـاوُل رغيـف لحـم بــ 32 سِـنت والاسـتماع إلى سـنوب دوج[1] بينـما يخرج مـن الزنزانـة المجـاورة. أنـا مـن مُحِبِّـي كريـد[2]؛ لأنني أبـكي بصـوتٍ عـالٍ. أُفضِّـل البقـاء هنـا بـلا اسـمٍ، وبـلا أسـلحة، وبـلا هـدف في أرض الدرجـات العشر.

تسـتغرق الرحلـة مـن جـارد ذا بـير إلى ريكيافيـك سـاعة تقريبًـا. تمـرُّ سـيارة شرطـة بيضـاء. أحافـظ عـلى هـدوئي. إنـه مثـل المـشي عـلى حبـل مشـدود. يجـب أن أحافـظ عـلى تركيـزي طـوال الوقـت. نظـرة واحـدة إلى اليسـار وقـد أسـقط في أيـدي المباحـث الفيدراليـة.

أسـير في نفـس الطريـق الـذي قـادت فيـه جانهولـدر في اليـوم الأول. أنـا ذاهـب إلى منزلهـا، شـقراء الزُّبـدة هـي أمـلي الوحيـد الآن. لم أجـرؤ عـلى الاتصـال بهـا، لا بُـدَّ وأن هاتفهـا مُتَّصِـلٌ الآن. ليـس لـديَّ أي سـبب للاعتقـاد بأنهـا سـتنتظرني بالبالونـات والكعـك، ولكـن بطريقـةٍ مـا تُخـبِرني غريـزةُ حيـوان البلقـان أنهـا سـتفتح لي شـيئًا آخـر غـير البـاب.

كنـت أتجـوَّل عـلى الرصيـف الخـالي بطـول ميكلابـروت. هنـا قابَلـتُ أوَّلَ عابِـرِ سـبيلٍ في الليـل. يركـض نحـوي رجُـلٌ نحيـف ذو شـعر رمـادي مرتديًـا قميصًـا أحمـر مُلطَّخًـا بالعَـرَق. يمتلـئ وجهـه بـألم رهيـب، وكأنـه يُمثِّـل دور المسـيح عـلى الصليـب. إنهـا مسـألة سـنوات حتـى يَتِـمَّ حظـر

---

(1) Snoop dogg مغني راب وهيب هوب أمريكي شهير.

(2) Creed: فرقة موسيقية أمريكية.

الركض والتدخين. كان لديَّ خمسة أصدقاء عدَّائين في مدينة نيويورك. اعتدنا أن نلتقي في سنترال بارك أربع مرَّاتٍ أسبوعيًّا، فقط للحفاظ على لياقتنا من أجل جميلاتنا.

تمكَّنتُ من الإقلاع عن التدخين بعد ستة أشهر، لكنهم لم يتمكَّنوا من التخلُّص من هذه العادة. بعد ثلاث سنوات، فَقَدَ ثلاثةٌ منهم كُلَّ وزنهم. حسنًا، عليَّ أن أعترف أن أحدهما أصبح رقم 32 على قائمة ضحاياي، ولسببٍ وجيهٍ جدًّا. قصَّة حزينة حقًّا، لكنَّ الاثنين الآخرين ماتا بسبب ظروف مرتبطة بالرَّكض.

وإذ يمرُّ العَدَّاء المُعذَّب ببطء، تمكَّنتُ من تغطية وجهي متظاهرًا برفع قُبَّعَتي تحيةً، مثل رجل سينمائي من المدرسة القديمة. عليَّ أن أكون حذرًا. أنا أعيش في أيسلندا الآن. لقد ظهَرَت صورتي في نشرة الأخبار في وقتٍ سابق الليلة. كانت نفس الصورة في الصحيفة، لقطة مروعة منذ بدايات توكسيك في ألمانيا. أبدو مختلفًا الآن، ممتلئ الخدَّين وأصلع، لكن قارئ الوجوه الذكي سيعرفني على الفور.

يبدو أن الشمس تغرب أخيرًا مع دخولي إلى البلدة القديمة. ما زالت لا توجد علامة على الظلام، إنها مُشرِقة مثل المَشرَحة في منتصف الليل.

هنا ما زالت السيارات كلها تقف خارج المنازل الصغيرة، ولكن هناك أيضًا بعض العابرين الذين يجب الابتعاد عنهم. ضَلَلتُ الطريق لفترة طويلة، لكن في النهاية وجَدتُ منزل جانهولدر المضاد للرصاص. إنها ليست في المنزل، فأستخدم السكين السويسري للدخول.

في الأيام التي انقضت منذ يوم الأربعاء، زادت الفوضى في شقَّتها. كيف يمكنها أن تعيش هكذا؟ حتى رجل قديم من حرب الاستقلال الكرواتية لن يعيش لمدة ثلاثة أيام في مكبِّ النفايات هذا. جميع منافض السجائر ممتلئة، والوضع يستدعي اتِّخاذ إجراءات صارمة:

مقــلاة صغــيرة موضوعــة فــوق التلفزيــون، مليئــة بالرمــاد والأعقــاب المكســورة. الملابــس في كل مــكان تغطــي الأرضيــة والأثــاث مثــل ثلــوج مُلوَّنــة. يمكــن لبــيرة فارغــة أن تقــف في مــكان مــا مثــل شــاهد قــبر في الثلــج، نصــب تــذكاري لحفلــة ميتــة طويلــة. يبــدو أن غرفــة النــوم بــدأ ينمــو فيهــا كتَّــانٌ مُتَّسِــخ، ورائحتهــا مثــل صالــة الألعــاب الرياضيــة.

لَمَحــتُ تحــت قدمــي مَجَلَّتــيْن: واحــدة تُســمَّى "حائــر ومذهــول"، والأخــرى اســمها "عاهــرة".

ماذا قلت؟ لقد أنجب الزوجان المقدَّسان عاهِرةً.

أخلــع معطفــي وقُبَّعتــي ووشــاحي، وأفــرغ منافــض الســجائر والتقــط الملابــس. في غضــون أربعــين دقيقــة، أصبــح المــكان صالحًــا لصــورةٍ عنوانهــا "دليــل القاتــل المحــترف لتنظيــف البيــوت". ســقطتُ للتَّــوِّ عــلى كــرسي بذراعــين، ذلــك الــذي يواجــه المطبــخ والبــاب الأمامــي الــذي فتحتــه جانهولــدر. أشــفط معــدتي فتــصرخ بــ "مــاذا!" صامِتــةً ثــم تغلــق البــاب.

"ما الذي تفعله هنا؟".

لــو كنــتُ مــا زلــت الأب فرينــدلي لقالــت: "مــا الــذي تفعلــه هنــا بحــق الجحيــم" يعجبهــا القاتــل أكــثر قليــلًا مــن رَجُــل الدِّيــن.

"مــاذا... أنــا لا... مَــن أنــتَ عــلى أيِّ حــال؟! وكيــف حصَلــتَ عــلى... لهــذا تمكَّنــتَ مــن فتــح البــاب في ذلك اليــوم؟".

إنهــا ثمَِلَــة بعــض الــشيء، ليســت في جَمالهــا المعتــاد. الآن فقــط تلاحــظ النظافــة. "مــاذا؟ هــل جــاءت أمــي أيضًــا هنــا".

بعــد المزيــد مــن الأســئلة التــي لم تحصــل لهــا عــلى إجابــة، ارتضــت بتدخــين ســيجارة وتركــت نفســها تســقط عــلى الأريكــة.

"مَــن أنــتَ؟ مــا اســمُكَ؟ مــاذا تفعــل؟ هــل حقًّــا قتَلــتَ الكاهــن؟ في المطــار؟ لمــاذا؟".

في صوتها لمسة إعجاب. هكذا تُلمِّح ابتسامة شفتيها الشهيَّتين. أخبرها قصَّةَ حياتي وأطرح منها سبعًا وستِّين جريمة قتل، وسنتين مع مونيتا، وليلتي مع أندرو. تُدخِّن وتستمع وتبحث عن منفضة سجائر.

"أين وضَعتَ كلَّ منافض السجائر؟" تسأل.

"هناك واحدة أمامَكِ".

يبدو أنها لم تَرَ منفضة سجائر فارغة من قبل. الفاسقة الأيسلندية. تنبعث منها رائحة مثل لافتة نيوچيرسي ديڤلز[1] المعلَّقة في الزاوية المظلمة من صالة نيووراك المكتظَّة على مدار العشرين عامًا الماضية. أريد حقًّا أن أشفطها بأنفي.

"أوه، شكرًا" قالت بينما تضع منفضة سجائر لتستخدمها.

"عليكِ أن تُقلِعي عن التدخين، قد يقتلك" أقول.

"هل تحدِّثني عن القتل؟" تقول بابتسامة مهينة.

"نعم، لِمَ لا؟".

"لقد قَتَلتَ كاهنًا لتوِّك... أليس كذلك؟ بالإضافة إلى أنَّكَ مطلوبٌ لارتكاب جريمة قتل أخرى".

فهمت، لقد ربطوا بين القتيل في المطار والرجل الميت في المكتب، أحسنتم.

"أتحسبين أن القاتل لا يهتمُّ بالحياة؟ لا يهتمُّ بالصِّحَّة أو يحافظ على نظافة المنزل؟" أقول بينما أشير إلى الغرفة المُرتَّبة.

تقول: "جميل جدًّا".

"القاتل إنسانٌ مثل أي شخص آخر. له حقوقه".

---

(1) New Jerse Devils فريق هوكي جليد أمريكي.

"صحيح. أنا آسفة".

"لا بأس".

"أنتَ طرازٌ حسَّاس من القَتَلَة إذن؟".

" لا أعـرف، أنـا فقـط أكـره عندمـا يمـارس النـاس التمييـز ضـدِّي، فقـط لأننـي... أقتـل النـاس".

أووبـس، لا ينبغـي أن أقـول ذلـك، توقَّفَـت في منتصـف الدُّخـان. "مـاذا تقصـد؟ هـل قتلـتَ المزيـد مـن النـاس؟".

أنـا في ورطـة. لا يجـب أن تشـهر سـلاحك في الموعـد الغرامـي الأول أبـدًا. لكنهـا تعـرف بالفعـل أننـي قتَلـتُ رَجُلَـيْن، بالإضافـة إلى أن هـذا ليـس موعـدًا غراميًـا، أليـس كذلـك؟ أنـا هنـا أطلـب مسـاعدتها... أنـا في ورطـة.

"بعض الناس يجب أن يموتوا" هو الحَلُّ الذي أُقدِّمه.

"وكان على الأب فريندلي أن يموت؟".

"في الواقـع كان لا بُـدَّ مـن قتلـه، وإلَّا كنـتُ مسـجونًا الآن، حيـث يتـمُّ اغتصـابي في الحَـمَّام كل صبـاح مـن قِبَـل عمالقـة سـود بقضبـانٍ كالخراطيـم".

تبدو متفاجئة من مفرداتي، وأنا أيضًا.

"ولكن ماذا تقصد بـ "بعض الناس يجب أن يموتوا"؟" تسألني.

"فقط... تعرفين، هناك أناس يستحقُّون الموت".

"لماذا؟".

"لأنهـم أشرار، النـاس الأشرار الذيـن يفعلـون الـشَّرَّ، النـاس الذيـن يفعلـون الـشيء الخطـأ. أو يرفضـون فِعـلَ الـشيء الصحيـح، يجـب التخلُّـص منهـم".

"رائع. أنتَ تتحدَّث مثل صديق والدي، بورور".

"تورتشور؟".

"أهكذا تُسمِّيه؟ ها ها... يناسبه تمامًا. هل أنت مُتديِّن أم...؟".

"أنا كاثوليكي".

"حسنًا. كيف أعرف أنَّكَ لستَ واعظًا تلفزيونيًّا مجنونًا منافِسًا للأب فريندلي وأراد موته؟".

"لأنني لستُ كذلك".

"حسنًا. لكنك تقول إنك كاثوليكي؟".

"نعم، لكنني كرواتيٌّ كاثوليكي، ما من أمرٍ دينيٍّ في ذلك. هذا فقط يعني أن تذهب إلى الكنيسة مرَّتيْن في حياتك، عندما تتزوَّج وعندما تموت".

"هذا جيِّد. وكم مرة ذهبت؟ مرة؟".

يجب أن أبتسم لهذا.

"لا".

تتردَّد لثانية قبل أن تطفئ سيجارتها في منفضة السجائر. ثم تقول:

"مَن أنتَ إذًا؟ مجرد قاتِلٍ فاشل آخر أطلق النار على عميل في مكتب التحقيقات الفيدرالي بالخطأ واضطرَّ إلى الفرار من الولايات المتحدة اللعينة؟".

حسنًا.. تبًّا لهَا.

"لستُ قاتِلًا فاشِلًا... أنا...".

"نعم؟ ماذا؟".

لقد تمادى الأمر.

"أنا.. محترف".

"محترف؟".

"نعم. أنا قاتل محترف، لقد قتَلتُ أكثر من مائة شخص".

هذا رائع للغاية، أنا أشاركها الفراش الآن.

"لا! مائة شخص؟!".

أعتقد أن الرقم الدقيق سيكون أقرب لـ 125. في الغرب الأوسط كنتُ أقود سيارتي عبر المدن بعلامة ب.و.ب. 125، كنتُ أتوقَّف دائمًا للتَّزوُّد بالوقود، وأتخيَّل أن هذه كانت دراجتي النارية أي. دي. ڤي[1].

"بلى. عامَّةً قَتلتُ حوالي خمسين أو ستين كجنديٍّ في الجيش الكرواتي للدفاع عن أرض أبي وأمي. ومنذ ذلك الحين، قتلتُ بالضبط سِتَّةً وستِّين لعينًا من دول مختلفة في عملي كقاتِلٍ في المنظمة الوطنية. كان الأب فريندلي أوَّلَ جريمة قتل "غير محترفة" بالنسبة لي".

تعجز عن الكلام مثل القس الكاثوليكي في غرفة اعترافه.

"المُنظَّمة الوطنية؟" تسأل أخيرًا.

"نعم، المافيا".

"المافيا؟ هل أنتَ في المافيا؟".

"نعم، المافيا الكرواتية، ليس الطِّليان الأوساخ".

كانت تُحدِّق في وجهي لمدة عشر ثوانٍ متواصِلَة، وفجأة بَدَت منتبهة تمامًا... المافيا. في الأيام الأولى لي في نيويورك اعتقدتُ أن هذه كانت كلمتي السحرية. حسبتُ أن كل فتاة في مانهاتن تحلم برجل

(1) ADV اختصار لـ Adventure أي مغامرة.

عصابـات حقيقـي وأصـلي بلهجـة أجنبيـة وخـبرة في الركـوب. لطالمـا أفصَحـتُ بالأمـر في الموعـد الأول، بعـد الطبـق الرئيـسي مبـاشرة.

لقـد تصرَّفـن جميعًـا بنفـس الطريقـة: اعتـذرن بـأدب، وذَهَـبنَ إلى الحـمام ولم يَعُـدن أبـدًا. أوه، فتيـات مانهاتـن، جيـش المواعِـدات الكامـل مـن الشَّـقراوات الغامضـات والسـمراوات الصاخبـات، بعيونهـن المحترفـة، ورائحـة شَـعر صابـون التلفزيـون، وكاشـف الشُّـهرة المدفـون بعمـق في حقائبهـم. حتـى إن بعضهـنَّ تَرَكْـنَ حقائبهـنَّ معـي، وذهبـتُ مرَّتـين للبحـث عنهـن في حـمام السـيدات، لكـن لم يكـن هنـاك أثـرٌ لهـنَّ. نعـم، "العصابـة" كلمـة سـحرية.

تعلَّمـتُ ببـطء ألَّا أناقـش مهنتـي مـع رفيقـات وجبـة العشـاء، وكثـيراً مـا شـعرتُ بأننـي مصـاب بالإيـدز.

احتفظـت بهـذه المعلومـات مثـل سـلاحٍ سِرِّيٍّ، واحتفظـت بهـا لغـرض الإغـراق فقـط، أو حـالات الطـوارئ، أو مثـلًا إذا كنـتُ عالقًـا في موعـد أول وكان الطعـام أفضـل مـن الفتـاة (كفتـاة اليـوم الثالـث التـي كانـت تتحـوَّل إلى اليـوم 20 في منتصـف محاضرتهـا حـول نظـام التصويـت الأمريـكي، وكيـف كان المدعـو "نـادر" هـو أملنـا الوحيـد) كل مـا كان عـليَّ فِعلُـه بعـد ذلـك هـو إلقـاء الكلمـة السـحرية فيقـع الانفجـار!- يمكننـي إعـادة ضبـط جهـاز الـرادار الخـاص بي.

ردُّ الفعـل مختلـف قليـلًا هنـا. تَـزِنُ فتـاة الجليـد خياراتهـا حتى تسـأل: "أنـتَ... قاتِلٌ جماعـيٌّ إذن؟".

"لا".

"ماذا تعني بلا؟".

"أنا لستُ قاتِلًا جماعيًّا. أنا قاتِل".

"حسنًا".

"هناك فَرْقٌ كبير بين القتل والإماتة".

"حقًّا؟" تسأل وترفع حاجبيها.

"نعم. إنه مثل الفرق بين الهواية والوظيفة".

"ماذا تقصد؟".

"الإماتـة شيء تختـار القيـام بـه. قـد يكـون خطـأ. القتـل شيء عليـك القيـام بـه وإلا مُـتَّ. هـذا ليـس خطـأ".

"هراء".

"هراء؟".

"نعـم. هـل تعتقـد أن ضحايـاك سيشـعرون بالفـرق؟ "أوه، أنـا سـعيد جـدًّا لأننـي قُتِلـتُ ولم أمُـت! إنـه أفضـل بكثـير!". هُـراء سـخيف. مائـة شـخص؟ أي نـوع مـن الوحـوش أنـتَ إيجينليجـا؟".

لا بُـدَّ وأن هـذه الكلمـة الأخـيرة أيسـلندية. إنهـا مضطربـة للغايـة بحيـث لا تسـتطيع السـيطرة الكاملـة عـلى دماغهـا. أنـا مُرهَـق أيضًـا:

"مهـلًا. مـاذا تعرفـين عـن الحـرب؟ لم يسـبق لـك أن تعرَّضـتِ لحـرب في هـذه... هـذه الأرض البـاردة الصامتـة. لم تضطـرِّي أبـدًا للعيـش في الخـارج، في الجبـال في منتصـف الشـتاء، دون أي خيـام أو أي طعـام حقيقـي لأيـام، ثـم تريـن والـدك ميتًـا، ويقولـون لـك إن شـقيقك قـد قُتـل، ثـم يصطـفُّ هـؤلاء النـاس أمامـك ويُطلَـب منـكِ إطـلاق النـار، فتطلقـين النـار، ولا تعرفـين عـدد مَـن تطلقـين النـار عليهـم، ولا تريديـن أن تعـرفي عـدد التصويبـات، لكنَّـكِ مـا زِلـتِ ترغبـين في إطـلاق النـار عـلى أكـبر عـددٍ مُمكِـن. لأن...".

أشعر أنه في مكان ما بداخلي تُصنع الدموع لأول مرة منذ سنوات.

"لأن الحرب هُراء، ونحن جميعًا متورِّطون فيها. لا أحد يستطيع أن يقول إن هذا صحيح وهذا خطأ؛ لأنه إمَّا خطأ كُلِّيًّا أو صواب كُلِّيًّا، و...".

غادَرَت الدموعُ المصنعَ، تمَّ تجهيز الطلب. إنها في طريقها، لكن طريقها طويل.

"وما زلتِ لا تعرفين. ما زِلتِ لا تعرفين بحق الجحيم. بعد خمسة عشر عامًا ما زِلتِ لا تعرفين ما إذا كان خطأً أم صوابًا. كان فقط...".

أتوقَّف، ويختفي حديثي بكلمة أخيرة وحيدة وناعمة: "خراء".

نجلس لفترة فيما يملأ الليل الساطع الذي يدخل من النوافذ الغرفةَ على نحوٍ ساخر تقريبًا. يجب أن يكون هذا المشهد مُظلِمًا. الدموع لم تصل بعد.

تنظر إلى يديها التي أرختهما على ركبتيها. لديها أظافر طويلة، طويلة ومُرعِبة، إنها مطلية باللون الوردي الفاتح. أتذكَّر اليد من المقبرة الجماعية. كانت يدَ فتاة، يدَ فتاةٍ مراهقة، وكانت لها نفس الأظافر الطويلة. وكلَّما حاولنا إغلاق المقبرة برزت اليد في التراب. حاولنا دَقَّها بمجارفنا وتقافزنا فوقها دون جدوى. كانت تعاود الظهور مرة أخرى - يد تلك الفتاة البيضاء السمينة ذات الأظافر الخضراء الطويلة، وبدا الأمر سخيفًا للغاية. لم تتناسب مع الظروف. لم تكن تنتمي إلى مقبرة جماعية.

كانت المقبرة الجماعية شيئًا من الماضي، شيئًا مرتبط بالحرب العالمية الثانية أو أي شيء آخر. شملَت المقابر الجماعية نساء مُسِنَّات يرتدين الحجاب المُتَّسخ، وأطفالَ فلَّاحين فقراء يرتدون ملابس باليَة ونِعالًا خشبية. وهنا كانت هذه اليد، وهي تلوِّح لنا من القبر اللعين، كانت أشبه بالمدافن حقًّا، وكانت عصرية جدًّا، يد تنتمي إلى اليوم

بدرجة كبيرة. يمكنك أن ترى أنها قبل ساعتين كانت تضغط على زرِّ التشغيل في جهاز استماعٍ بداخله شريط لمايكل چاكسون.

من باب الاحترام رُحتُ أُهَمهِم "لست وحدك"، وهو المزمور المثالي لمقبرة جماعية. ومع ذلك، لم يُفلِح غنائي في إراحة اليد. وبعد محاولتي العاشرة لإدخال راحة اليد اللعينة في الأرض، شعرتُ بالذهول تمامًا وسحَبتُ السكين، وقطعت اليد ببعض الجَهد، ثم رميتها بعيدًا.

وكانت هذه واحدة من أسوأ لحظات الحرب: عندما كنتُ أقطعها بالسكين، حسبتُ أنني سمعتُ شيئًا تحت قدمي. شيء مثل صرخة فتاة مكتومة في التراب.

"أظافر جميلة" قلتُ أخيراً وأنا أنظر إلى يدي جانهولدر.

تنظر إليَّ وكأنها تريد أن تغرزهم في وجهي.

# 14
# ضِفدَعٌ على سَقفٍ أحمرَ باردٍ

## 2006/05/22

كانـت غريـزة حيـواني البلقانيَّـة صحيحـة. بـدلًا مـن أن تُرِيَنـي الطريـق إلى البـاب، وضعتنـي ابنـة الواعـظ ليـلًا في العلِّيَّـة. الجـوُّ بـاردٌ جـدًّا، لكـن حقيبـة نومهـا دافئـة، بالإضافـة إلى أن الـدور العلـوي غائِـمٌ قليـلًا عـن بقيـة البـلاد. إنـه يحتـوي فقـط عـلى نافذتـين صغيرتـين: واحـدة في زاويتـي، ونافـذة صَدِئَـة في منتصـف السـطح. النـوم هنـا ليـس فقـط طريقـةَ ابنـة الواعـظ لمعاقبتـي عـلى كل ذنـوبي. اضطـررتُ إلى الصعـود إلى هنـا لأن شـقيقها تراسـتر هـو رفيقهـا في السَّـكن في الوقـت الحـالي. أتسـاءل أيـن ينـام؟ في بيـت الطيـور ربمـا، في الحديقـة.

توصَّلنـا إلى اتفـاقٍ أنـه بالرغـم مـن اسـمه[1]، يجـب إبعـاده عـن هـذا الموضـوع؛ لذلـك أمنـع نفـسي مـن إصـدار صـوت أثنـاء تواجُـده في المنـزل.

---

(1) Truster: من الثِّقة.

أتظاهـر أني ميِّتٌ مـن منتصـف الليـل حتـى الفجـر. "إنـه يعمـل بجنـون. لا يـأتي إلى المنـزل إلا للنـوم" تخـبرني شـقيقته، رفيـق غرفـة مثـالي. يعمـل كمُشَـغِّل رافعـة في بعـض مواقـع البنـاء.

"لا يتحدث كثيراً، أليس كذلك؟" أسأل.

"نعـم أعـرف. كان دائمًـا هكـذا. وكذلـك هــي وظيفتــه.. أعنــي، لقـد اعتـاد أن يقـضي اليـوم بأكملـه في الهـواء، بمفـرده، عـلى ارتفـاع مائتـي قَدَمٍ فـوق سـطح الأرض. بالإضافـة إلى أن جميـع زملائـه في العمـل مـن بولنـدا أو ليتوانيـا".

بمجـرَّد عـودة تراسـتر إلى الهـواء، يُسـمح لي بالنـزول إلى الطابـق السـفلي لأقـوم ببعـض أعـمال المرحـاض وتنـاول الإفطـار. هـذا النـوع مـن المنفـى هـو في الواقـع أكـثر متعـة مـن منفـى فرينـدلي؛ لأن هـذا هـو المنفـى الحقيقـي: قاتـل محـترف يختبـئ في عليـة الفتـاة المثـيرة. أفضـل شيء هـو أننــي لســتُ مُضطـرًّا للقيــام بمزيـد مـن التمثيـل. لا مزيـد مـن الكهنـة الأمريكيـين أو الرسـامين البولنديـين.

عـلى الرغـم مـن حبـس جسـدي في هـذا المنـزل الصغـير، إلا أننـي أشـعر هنـا بحريـة أكـبر مـن كافـة أنحـاء المدينـة التـي ركَضـتُ فيهـا بطَـوْقِ رجـل ديـن عـلى مقـود اللـه.

وكأننــي آن فرانـك[1] عـلى الإنترنـت. أعطتنــي جانهولدر جهـاز الكمبيوتر المحمـول الخـاص بهـا حتـى أتمكَّـن مـن تَصفُّـح البحـار الرقميـة. أقـضي اليـوم في البحـث عـن مـاضي، والبحـث عـن وقـراءة قصـص الحـرب مـن قبـل زمـلائي الجنـود. داركـو رادوڤيتـش هـو أضخـم مُـدوِّن عـلى الإطـلاق، ربمـا لأنـه فقـد سـاقيه في كنـين. لقـد فقدنـا في كتيبتنـا خمسـة أرواح وسِـتَّ أَرجُـل وثـلاثَ أَذرُع وبعـض الأصابـع. إنـه لأمـر مُحـزِن أن أذكـره، ولكـن لا

(1) Annelies marie frank: كاتبـة يوميـات ألمانيـة هولنديـة مـن أصـول يهوديـة. واحـدة مـن أكـثر ضحايـا الهولوكوسـت اليهـود شُـهرةً بعـد وفاتهـا عـام 1947 بالتزامـن مـع نـشر مُذكَّراتهـا.

يـزال يتعـيَّن عـلى إخـوتي ذَوي السـاق الواحـدة الاسـتمرار في القتـال مـن أجـل حياتهـم. يمكنـك أن تراهـم إذ يتعـثَّرون عـلى عُكَّازاتهـم في شـوارع زغـرب أو سـبليت، ويطلبـون كونـا[1] في فنجانهـم. لقـد نَسِـيَت حكومتنـا كلَّ شيء عنهـم، مـع أن قوتهـا مـا زالـت قائِمـةً بفضـل أرجُلِهـم المفقـودة.

كنـت محظوظًـا لأن الشيشـانيِّين لم يُفقِـدوني أطـرافي، لكـن في بعـض الأحيـان أسـأل نفـسي إذا كنـتُ أُفضِّـل أن أفقـد سـاقي بـدلًا مـن أبي وأخـي. يطـرح زمـن الحـرب أسـئلةً لا يسـتطيع زمـن السِّـلم الإجابـةَ عليهـا؛ لذلـك نخـوض دائمًـا حربًـا جديـدة.

في مدوَّنـة داركـو عـلى الإنترنـت، أجـد صـورةً لنفـسي وأنـا في كامـل عتـادي، مجنـون مبتسـم يحمـل بندقيـة كلاشـنكوف فـوق دبابـة صربيـة تـمَّ الاسـتيلاء عليهـا في عـام 95. الوجـه السـعيد لقاتِـلٍ في طـور التكويـن.

أبـدو غبيًّـا حقًّـا. لَطالَـما كرهـتُ "لحظـة كـوداك" هـذه، لحظـة تفـاؤل الأمريـكي بحـظٍّ سـعيد، والـذي يجـبرك عـلى الابتسـام في عيـون المسـتقبل الـذي لـن يقـودك إلَّا إلى شـخص بـريء لا يعـرف أي شيء عــن أي شيء، قتـل شـخصين أو ثلاثـة أشـخاص فقـط، ومـع ذلـك فهـو يبتسـم وكأنـه فـاز للتَّـوِّ بميداليـة أولمبيـة، يبـدو الأمـر لي أقـرب إلى الأولمبيـاد الخـاص.

أنا أُفضِّل الصور الجنائية.

أبحـث كذلـك عـن سـينيكا، صديقتـي السـابقة، الفصـل المفقـود مـن حيـاتي. منـذ انتهـاء الحـرب وأنـا أحـاول تَعقُّبهـا ولكـن دون جـدوى. أنـا مديـن لهـا بالاعتـذار[2].

تبـدأ نوبـة جانهولـدر في المقهـى في السـاعة العـاشرة. "طـاب يومـك" تقـول وتتركنـي بابتسـامة أُبقيهـا دافئـةً حتـى تعـود. في البدايـة ظَنَنـتُ

(1) العُملة الكرواتية.

(2) بالكرواتيَّة في الأصل.

أنني سَمِعتُها تقول: "أتمنى لك يومًا جليديًّا" لكن حتى هي تعتقد أن العاشرة صباحًا وقتٌ مُبكِّر جدًّا للسخرية. آلة الثلج الخاصة بي، عاهرة أحلام يقظتي، حارسة سجني، كاهنتي.

بعد الظُّهر تعمل في مهرجان الموسيقى المحلي المُسمَّى الخطوط الجوية أو الموجات الهوائية، وتُجري مكالمات هاتفية وأنواعًا أخرى من أعمال السكرتارية. إنها تتحدَّث مع كثيرٍ من نجوم البوب، وبعض المشاهير العالميِّين الذين لم تسمع بهم من قبل.

"هل جاءت فرقة كريد هنا من قبل؟".

"جريد؟".

انْسَ الأمر، لن يفلح هذا أبدًا.

اعتادت أن ترجع في حوالي الساعة السابعة أو الثامنة، وتكون مُزوَّدة دائمًا بالطعام، وعادة ما تكون بعض الوجبات الجاهزة التايلاندية أو الصينية التي يتعيَّن عليها دفع ثمنها. بعد العشاء عادة ما تضع بعض الموسيقى الأيسلندية الغريبة، وتبذل قصارى جهدها في تعريفي بأشخاص مثل موجيسون، جوس جوس أو لاي لو الذي يوحي بأنه أسود.

أُخبِرها أنها لو استطاعت أن تُدبِّر لي مُسدَّسًا فسأفعل المعجزات للترويج للموسيقى الأيسلندية. ضحكت باستياء، لكنني أثَرتُ فضولها. أشاهدها وهي تُدخِّن وتواصل طرح الأسئلة كمُتدرِّبة في المكتب البيضاوي.

"إذا كان بعض ضحاياك ينتمون إلى "منظَّمات" أخرى، فلا بُدَّ وأنهم حاوَلوا قَتلَك، أليس كذلك؟" صحيح. "هل سَبَقَ وكنتَ على معرفة بأي منهم، ضحاياك؟".

تتحدَّى... إنها مفتونة بعملي. أخيرًا لديَّ معجب "وهل تتذكَّرهم جميعًا، أعني ضحاياك؟".

"المحترفون، نعم".

"ولكن ليس ضحايا الحرب؟".

"لا. كل الجنود متشابهون، لكنني فخور حقًّا بعملي كقاتِل. أحاول دائمًا القيام بعمل جيِّد. "الضحية أوَّلًا" هو شِعاري. أحاول أن أجعل الأمر سهلًا عليهم قدر الإمكان. مات جميعهم تقريبًا على الفور. لا وقت للندم أو الغضب أو أي شيء. إنها مجرَّد ضربة! وينتهي أمرك. مثل إيقاف آلة، لا ألمَ... لا شيء. ما كانوا ليحصلوا على خدمة أفضل.

أقوم دائمًا بإعداد كل شيء بشكل مثالي: التوقيت والمكان والزاوية، وكل شيء. ولقد دَرَستُ جسم الإنسان كطبيب. أين تُصوِّب للحصول على أسرع نتيجة وأشياء من هذا القبيل. إذا كانت هذه فئة في الأولمبياد، فسأكون مارك سبيتز[1] عالَم القتل".

"وما هو أصعب شيء فيه؟".

"أن تُطلِق النار بالطبع. أن تضرب الرَّجُل في رأسه أو قلبه أو مؤخِّرته إذا اضطُرِرتَ لهذا الوضع. لكن في هذه الحالة، عليك التأكُّد من أن الرصاصة تنتقل بشكل مستقيم إلى عموده الفقري. يعتمد إطلاق النار في المؤخِّرة بشكل حاسم على الزاوية، إنه مثل لعب البلياردو".

"إذن عليك أن... تتمرَّن؟".

"بالتأكيد، يجب أن تكون لائقًا. اضطررتُ للتَّخلِّي عن الكوكايين بسبب ذلك. تحتاجين قلبًا ثابِتًا لهذا النوع من العمل".

---

(1) Mark spitz: بطل سباحة أمريكي.

"رائـع. وهــل تقــوم بعَدِّهــم؟ المــوتى؟" تقــول بعيــون زرقــاء كبــيرة. ضمنــت أنهــا في وضــع لوينســكي المثــالي.

"حســنًا... أنــت لا تحســبينهم حقًّــا، فقــط تتذكرينهــم بشــكلٍ مــا، إنــه يشــبه إلى حــدٍّ مــا... أعنــي تذكريــن كل الرجــال الذيــن نِمْــتِ معهــم أليــس كذلــك؟".

"حسنًا... حاوَلت ُأن أنسى بعضهم" تقول بابتسامة مثيرة.

لا أستطيع المقاومة.

"كم عدد الكل؟".

" لا أعرف. أعني، أنا لا أعدُّهم، ربما أربعون".

الفاسِقَة.

"أربعون؟".

"هــل تعتقــد أن هــذا كثــير؟ صديقتــي وصلــت لمائــة وأربعــين، أو شيء مــن هــذا القبيــل".

هــا قــد فهمنــا. تارانتينــو لديــه 139 زوجًــا في أيســلندا. مــن الأفضــل أن يقــوم بتحديــث قائمــة بطاقــات عيــد الميــلاد الخاصــة بــه.

"وقد فعلتَها مع سبعة وستين؟" تكمل.

"فتــاة؟ لا، تقصديــن عمليــات القتــل؟ نعــم. ســبعة وســتون. مــات ســبعة وســتون وغــدًا، ســبعة وســتُّون خنزيــرًا في الفــرن".

"وهل تتذكَّرهم جميعًا حقًّا؟".

"أحاول الاحتفاظ بذكرياتهم حيَّة".

"وتفكِّر فيهم؟".

"لا، أبدًا".

"ألا تشعر بالسوء تجاه أي منهم؟".

"لا".

"كيف يُعقَل ذلك؟ أليس لديك ضمير؟".

"إنه مُجمَّد على ما أعتقد. هل تشعرين بالسوء تجاه أيٍّ من...؟".

"رفاقي؟" تقول بابتسامة باردة. "لا".

"لا؟ كان لديك أربعون شخصًا بين ساقيك ولا تشعرين بالسُّوء تجاه أيٍّ منهم؟".

"لا يمكنني السماح لنفسي بذلك، فأنا أراهم طوال الوقت".

ارحميني!

"ما زِلتِ تواعدينهم؟ أربعون رجُلًا؟".

"لا أواعدهم، أنا فقط، كما تعلم، ألتقي بهم في الشارع وأشياء أخرى. إنها بلدة صغيرة. يأتون إلى المقهى طوال الوقت".

"حسنًا... لهذا وَظَّفوكِ هناك؟".

لقد تحوَّلَت من لوينسكي إلى بريتني.

"مهلًا... اخرس بحق اللعنة، هلَّا فَعَلتَ! نحن نتحدث عن الموتى هنا، ومع ذلك تجعلني أبدو مُذنِبةً كما لو كان بإمكانك مقارنة قتل الناس بممارسة الحب معهم؟".

"الحب والموت. نفس القدر من الأهمية في الحياة".

"الحب والموت؟ الأمر لا يتعلَّق بالحب. الأمر يتعلَّق بالجنس فقط!".

"أنتِ جادَّة أكثر من اللازم".

قفَزَت من الأريكة وهي تصرخ في وجهي: "أوه! عليك اللعنة!" ثم غادَرَت الغرفة. لكنها عادت بسرعة، بَدَت وكأنها أدركت للتَّوِّ أن هذا مكانها وليس مكاني. "أنا لا أعرف لماذا بحقِّ الجحيم سأُبقيكَ هنا! يجب حقًّا أن أتَّصِل بالشرطة أو تورتشور أو شيء من هذا القبيل، لكن... أغغ! انهض! اذهب للطابق العلوي! ابتَعِدْ عنِّي! واصمت!".

"آسف. أنا آسف حقًّا".

"عليك اللعنة!".

"نعم سأفعل... سأفعل ذلك لاحقًا. من فضلك اجلسي".

تذهب إلى المطبخ وتبقى هناك مُدَّةَ تدخين سيجارة. أستخدم تلك الدقائق لصفع قردتي ذات العيون الخضراء. الغيرة هي العَمَّة العجوز التي تهتمُّ دائمًا والتي لا تنسى أبدًا أن تظهر أثناء مواعيدي الغرامية. لطالما كانت القُوَّة الدافعة في حياتي، منذ أن تخلَّت عني حبيبة هانوڤر، ابنة أخصائي البصريات، بأسلوب بروسي. كانت هيلديجارد فتاة من طراز اليوم الثامن (كأجنبية وصلت حديثًا وتتحدَّث القليل من الألمانية فكانت فُرَصي محدودة)، وكانت ترتدي ياقةً طويلة أغلب الوقت، وتعزف على الكمان بوجه ملائكي، ولم تستخدم أبدًا كلمةً قذرةً، لكنها أخبرتني، وقت فراقها، أنها خانتني مع سبعة عشر رجُلًا. سبعة عشر ألمانيًّا سخيفًا، بذيل حِصانٍ وشارِبٍ وكلِّ شيء. قالت إن هذا من المفترض أن يُشعِرَني بتَحسُّن.

"يجب أن تكون سعيدًا للتخلُّص من...".

"... عاهرة مثلك؟".

استغرق الأمر مني سبع سنوات لدفن الأوغاد في تُربة روحي الصُّلبة. بالكاد أزعجوني منذ ذلك الحين، لكنهم حوَّلوا عقلي إلى كيان مرتاب إلى الأبد. كما يعلم الله جيدًا، أجد صعوبة في الاستمتاع

بالعلاقـات. أنـا دائمًـا مثـل عميـل سري سـخيف يحـاول إثبـات أن شريـكي جاسـوس. وحـين يتعلـق الأمـر بالحـب، فأنـا مثـل الحكـم في مبـاراة كـرة قـدم، غـير قـادر تمامًـا عـلى الاسـتمتاع باللعبـة، لكننـي دائمًـا مسـتعدٌّ بالبطاقـة الصفـراء.

وهـا أنـا ذا مـرة أخـرى. طلَبَـت العَمَّـة غـيرة مـن جانهولـدر الدخـول إلى المطبـخ. إذًا فقـد شـقَّت العجـوز طريقهـا إلى أيسـلندا. ومـع ذلـك، لا يؤهِّـل هـذا لموعـدٍ غرامـيٍّ، إنهـا أشـبه بـدورة تدريبيـة مكثَّفـة في مجـال إطـلاق النـار عـلى الأشـخاص، أساسـيات القتـل. وصلنـا إلى نهايـة درسـنا الأول. ينتظـر المـدرِّسُ عـودة الطالبـة مـن اسـتراحة التدخـين، وفي هـذه الأثنـاء تظهـر جانهولـدر في المدخـل بعيـون حمـراء وخدَّيْـن غاضبـين. زحفـت عائـدةً إلى الأريكـة لتشـعل سـيجارة أخـرى. أشـاهدها تستنشـق وتزفـر لفـترة مـن الوقـت، إنهـا تصـدر صوتًـا عاصفًـا صغـيراً كلـما خـرج الدخـان مـن فمهـا.

"كيـف كان ردُّ فِعـل والِدَيْـكِ عندمـا جـاءت الشرطـة ورحـل الأب فرينـدلي؟" سـألتها أخـيراً.

"لقـد كانـوا في حالـة صدمـة كبـيرة بالطبـع. أعنـي، لقـد آمنـوا بـك تمامًـا" تقـول بضحكـة هادئـة.

"هل كان أبوكِ غاضبًا؟".

"كانـوا مصدومـين أكـثر مـن كونهـم غاضبـين. ثـم بـدأ في طمأنـة الشرطـة، ووضـع يـده عـلى أكتافهـم وقـال لهـم: اللـه سـيعثر عليـه، لـن يهـرب مـن عـين الـرب السـاهرة".

يـزداد ضحكهـا، أحـاول أن أضحـك معهـا. ثـم فجـأة سـمعنا بـاب الطابـق السُّـفلي يُفتـح وتختفـي ابتسـامتها. تقتـل سـيجارتها وتقـف، تُمسـك بطبقـي وتضعـه في المطبـخ. أركـض صعـودًا عـلى السُّـلَّم الخشـبي

ثـم أسـحبه ورائي. تغلـق خلفـه الكـوَّة بمجـرد أن يصبـح الـدَّرَج بالكامـل داخـل العلِّيَّـة. أزحـف عـلى الأرضيـة المُشـقَّقة وأدخـل مخبـأ المعاطـف.

أسـتمع إلى تراسـتر يهـرول داخـل الشـقة، الحصـان المسـكين، عـاد إلى المنـزل مبكِّـرًا. أسـمعهم يتبادلـون أصـوات الترحيـب الصغـيرة متبوعـة ببعـض الأصـوات مـن المرحـاض.

ثـم قـال شـيئًا أخمِّـن بصعوبـة أنـه: "هـل تبقَّـى بعـض الطعـام؟" هـي تقـول "نـاي". هـذه أيسـلندية تعنـي "لا". لقـد علَّمَتنـي بالفعـل بعـض العبـارات. توجثوسـليمور هـي "صبـاح الخـير" و جلايباماور هـي "ليلـة سـعيدة".

ثـم لدينـا صمـت إخـوة لمـدة ثـلاث سـاعات. حتـى إنهـم لا يشـاهدان التلفزيـون معًـا. لا موسـيقى أيضًـا. مـاذا يفعـلان بحـقِّ السـماء؟ لم يغـادر أي منهـما المنـزل. هـل يلعبـان الـورق؟ يقـرآن؟ في منتصـف الليـل تَصـدُر أصـوات المرحـاض مـرَّةً أخـرى، تليهـا أصـوات سراويـل داخليـة حريريـة تنزلـق عـلى أرجُـل بيضـاء ناعمـة... أعطتنـي الحـربُ سَـمْعَ قِطَّـة.

في الثالثـة صباحًـا، أتَّصِـل برقـم نيكـو في مدينـة نيويـورك. أتحـدَّث بصـوت فـأرٍ مُوضِّحًـا وضعـي، فيسـتمع لبعـض الوقـت، ولكـن عندمـا يـردُّ أخـيرًا، يتـصرَّف كطليـانيٍّ مُصطنَـع عـلى شاشـة التلفزيـون: "هـل تتَّصـل بي؟ لمـاذا تتصـل بي؟ مَـن أعطـاك رقمـي؟" ثـم ينهـى المكالمـة.

قطـع الاتصـال بي. نيكـو رفيقـي القديـم، نيكـو نيفولجـا. هـذه حقًّـا أخبـار سـيئة، أخبـار بالغـة السُّـوء. حَـريٌّ بي أن أعتـبر نفـسي ميتًـا، عـلى الأقـل لا يجـب أن أفكِّـر أبـدًا في العـودة إلى مدينـة نيويـورك، أو حتـى كرواتيـا. اللعنـة. ملعـونٌ أنـا بحـقِّ اللعنـة اللعينـة!

أنام في الخامسة.

أيقظتني في السابعة بعض الطَّرقات العالية والأصوات الناعمة في الطابق السُّفلي. أنا مستعدٌّ لهذا: وبينما أنا نائم في ملابسي (أو ملابس السيد ماك، أضع هاتفي في جيبي وأرتدي حذائي في أقلَّ من ثانية. بعد ذلك، رميتُ حقيبة النوم في زاوية مُعتِمة ووضعتُ المرتبة أسفل صندوق كتب. سَمِعتُ أن جانهولدر تتصرَّف بجنون في الطابق السفلي.

"كواري جونج؟!".

يتبعني صوتها عبر فتحة السقف الصدئة الصغيرة الموجودة في منتصف السطح المنحدر المضاد للرصاص. الجو بارد في الخارج، حيث السماء رمادية والأشجار خضراء وأسطح ريكياڤيك ملونة.

هذا سطح صدئ أحمر. أغلق النافذة بسرعة وأتسلق السقف شديد الانحدار، يمكنني أن أرى غطاء مُحرك سيارة الشرطة الأبيض إذ تقف في الشارع بالأسفل، وأسمع صوت ضابط يتنقَّل من شارع إلى آخر. قفزت على الجانب الآخر من السقف، مُعلَّق على الحافَّة بثماني أصابع. بطني تسمع الأوغاد بالفعل في العلِّيَّة، يبحثون عن مخبأ الرجل المختبئ. بعد لحظات سَمِعتُ أحدهم يفتح النافذة العلوية اللعينة. لا يمكنني رؤيته، لكن من المحتمل أن يرى أطراف أصابعي البيضاء الباردة. لا بُدَّ أن أترك الحافة. ها أنا أفعل ذلك. أنا أُفلِتُ، أنزلق على السطح بحركة بطيئة للغاية، وأطفو على الحديد البارد على بطني الكرواتي الكبير. أمدُّ ذراعي وقدمي، مُحاوِلًا إيقاف نفسي بحذائي الزَّلِق وكفِّي الرطبة دون إصدار صوتٍ واحد. بعد بوصتين أتوقَّف. أتوقَّف بحقِّ اللعنة، أتمدَّد على سطحٍ أحمر شديد الانحدار مثل ضفدعٍ عملاق.

# 15
# أسلحة أيسلندية

## 2006/05/22

أودُّ أن أكتب رسالة شُكرٍ إلى الشرطة الأيسلندية؛ إذ إن عدم عثورهم على ضفدع يبلغ طوله ستة أقدام ويزن 240 رطلًا على سطح المنزل الذي فتَّشوه هو لُغزٌ كبير بالنسبة لي. يجب على مكتب التحقيقات الفيدرالي أن يُفكِّر كثيراً قبل التوقيع على صفقة أخرى للتعاون معهم.

لقد قُمتُ بدور الضفدع المُجمَّد لمدة ساعة مُتجمِّدة أو نحو ذلك قبل أن أعود من خلال العلِّيَّة. كان الكُوَّة في الأرضية مفتوحة. جَثَوتُ أمامها مثل راقصة باليه أمام بحيرة خيالية، وسط المسرح، وكنتُ على وشك أن أضع رأسي فيها عندما واجَهتُ فجأة رأسًا آخر يحتوي على شفتين شهوانيَّتَيْن، فاجأتها رؤيتي، وبعد تنهيدةٍ قصيرة تبادلنا قُبلَةً.

كانت قُبلة طويلة بشكل غير عادي بالنظر إلى حقيقة أنها كانت أوَّلَ قُبلة لنا. لقد كانت قُبلةً برعاية الفيدراليين ومُساعِديهم ذوي

القُبَّعـات البيضـاء. بمجـرد أن انتهـى الأمـر، دعوتهـا إلى مسـاحة الطابـق العلـوي الخاصـة بي، وفي غضـون دقائـق، كنَّـا نمـارس حُبَّنـا للمـرة الأولى في حقيبـة النـوم ماركـة نـورث فيـس؛ وبذلـك أصبحـت رقمهـا الــ 41.

تَبـيَّن أنهـا كانـت كل الآيـس كريـم الـذي أتـوق إليـه. آيـس كريـم دافئ، كانـت مُذهِلـةً. وكان انتصـابي صلبًـا للغايـة، وكانـت مُتحمِّسـةً للغايـة أيضًا، وتـصرخ مثـل نسـويَّةٍ غاضبـة تَحتـجُّ عـلى إحضـار مُغتَصِـبٍ مـن العربـة إلى العدالـة، حتـى إنني اضطـررت إلى تغطيـة فمهـا بيـدي خوفًـا مـن ظهـور الشُّرطـة مـرة أخـرى، فعضَّتنـي، حيـوان القطـب الشـمالي، وارتعبـتُ قليلًا.

لا تـزال تبـدو وكأنهـا تسـتمتع بـأدائي، وجسـدها يهتـزُّ بـكل الأوضـاع مثـل يـد رجـل عجـوز مصـاب بمـرض باركنسـون- أو ربمـا كان مجـرَّد شيء التقطتـه مـن مجلـة "عاهـرة". بعـد ذلـك اسـتلقينا مثـل مُجرِمَـيْن عاريـين طليقـين، يسـتريحان ويتحدَّثـان.

"أنت جميلة جدًّا".

هذا أنا أتحدَّث بالطبع.

مكتبة
t.me/soramnqraa

"وأنت غ...".

"سمين؟".

"غريب جدًّا".

"غريب؟".

"نعـم، أنـت غريـب جـدًّا. لم يسـبق لي... لقـد أتيـتَ مـن عالَـمٍ آخـر. لم يسـبق لي أبـدًا أن...".

"لم تُواعِدي قاتِلًا من قبل؟".

"لا. أبدًا" تقول بضحكة قصيرة. "رجل مافيا".

ربما ينبغي هنا أن أشكر الطّليان هنا. حقًّا رسموا صورتنا نحن العصابات. على الرغم من أن فتيات مانهاتن قد يعاملننا كمواطنين من الدرجة الثانية، إلا أننا ما زلنا مُلوكًا في الخارج. "لم تُحبِّيني عندما كُنتُ ألعب دور الكاهن".

"لا. هذا صحيح".

"حسنًا، أنا ممثِّل سيئ".

"لا، كان ذلك لأنَّكَ مُمثِّل جيِّد، على ما أعتقد".

"هل تكرهين والدك؟".

"لا، أنا لا أكرهه" تقول بصوتٍ ناعم. "لكن من الصعب أن تُربَّى في كنيسة. لم يُسمَح لي حتى بصبغ شَعري، علينا احترام خَلق الله الأصلي، كذا وكذا وكذا... أعني أنني سَئمتُ، وكان عليَّ أن أبتعد، وكان هذا صعبًا للغاية، كأن أُعلِن أنني مِثليَّة أو شيء من هذا القبيل، عندما عَلِمَ أبي أنني أُدخِّن، أحضر صديقه تورتشور ليستخرج مني الأرواح الشريرة، كان الأمر جنونًا حقًّا".

"ولم ينجح في ذلك؟".

"حسنًا، بطريقة ما. أصبحت أُدخِّن وينستون لايتس بدلًا من وينستون".

ضحكتُ بشدَّة.

"إذن لم تَعُد تربطُكِ علاقة قوية بوالدَيْكِ".

"لا. أقلُّ ما يمكن. أذهب إلى هناك مرَّتين فقط في السنة. لعيد الميلاد ويوروڤيچن".

"ماذا عن تراستر؟".

"تراستر" تضحك. "أنت تُسمِّيه دائمًا تراستر. إنه أورستور. مثل "طائر السمنة" كما تعلم، أور ثم س، ت، و، ر الأمر ليس بهذه الصعوبة".

"حسنًا، آسف، ولكن ماذا عن علاقته بوالِدكِ".

"أوه؟ إنهم بخير. أبي يحبه، إنه هادئ ومفيد ومتعاون، لقد أنجز له الكثير من العمل في محطَّة التلفزيون. دون أن يتقاضى راتبه على الإطلاق. قال: سيدفع له الرَّبُّ في السماء، إلخ، إلخ... فَهِمتَ؟ والداي لا يُطاقان حقًّا".

تذهب لإحضار سيجارة ما بعد نشوة الجنس. أجبِرَت على المشي كالأحدب نحو الفتحة بسبب السقف المنخفض. ثدايها الصغيران ثابتان (أعني لا يتخبَّطان) بينما تنحني فوق الكوَّة الموجودة في الأرض، لكنهما يهتزَّان قليلًا وهي تنزل من السُّلَّم. بعد لحظات عادت مع حقيبتها -تمشي على أطراف أصابعها بأظافرها الوردية المصقولة فوق الأرض الخَشِنة- واستلقت بجانبي. مشَّطَت شعرها الأشقر كلون الزبدة في كعكة صغيرة في مؤخِّرة رأسها. أداعبه برفق من جبهتها إلى الكعكة. إنه جافٌّ نوعًا ما يُذكِّرني بالتصفيفة الرائعة لبوَّاب نيويورك الأسود، على الرغم من أنني لم أحلم أبدًا بلمس عجائب الطبيعة هذه.

تركت عيني تسافر بطول جسدها الأبيض الصافي. من أصابع القدم حتى السيجارة، وتوقَّفتُ قليلًا عند مُثَلَّثها الحليق والسُّرَّة المثقوبة، فتشفط بطنها بشدَّة.

"كيف تقولين "حب" باللغة الأيسلندية؟".

"كينليف".

"كوين ليف؟".

"لا، كينليف".

إنها تعبث معي بحقِّ اللعنة. هؤلاء الأيسلنديون اللُّعناء لا يمكنهم أبدًا أن يكونوا صادقين، باستثناء من أمرهم الله بذلك. يجب أن يكونوا دائمًا هادئين. لا بُدَّ وأن البرد هو السبب.

"وكيف باللغة الكرواتية؟" تسأل.

"ليوباف".

"هذا مثل "حب" بإضافة "ب"".

"نعم، إنه حب الباء، كلمتك فيها ك أو ق...".

"كنتُ أمزح. كينليف تعني الجنس. الحب يعني "أست"".

"رائع. هذا صعب، كيف تنطقينها؟".

"حرف ألف، وسين وتاء".

"أست؟ هذا يعني منشار في لغتنا".

"ماذا يعني ذلك؟" تسأل.

لا أجيب. فجأة اقتَحَمَت مونيتا عقلي وملأته مثل البالون. مونيتا يا حبي، آسف، لقد نِمتُ مع امرأة أخرى دون علمك، لكن هذا ليس خطئي حقًّا. إذا كان هناك شخص ما يجب إلقاء اللوم عليه، فهم الشرطة المحلية، لو كانوا وجدوني لَما حدث هذا أبدًا.

تخبرني جانهولدر إنه من المعروف أن شرطة القبّعات البيضاء ميؤوس منهم، فلدى أيسلندا فريق تدخُّل سريع خاص بها يُسمَّى فرقة الڤايكنج، لكنهم غير متاحين طوال الوقت.

"هناك فرقة واحدة فقط. لا بُدَّ وأنهم مشغولون الآن".

أشعر ببعض الإهانة، بل الغيرة. كيف يمكن أن يعثروا على مَهمَّةٍ أكثر جدية في الجزيرة منزوعة السلاح من القبض على قاتلٍ ثُلاثيّ عضلات البطن قَتَلَ عميلًا فيدراليًّا وكاهِنًا مشهورًا عالميًّا؟

"ماذا يمكن أن يشغلهم".

"لا أعـرف، يفعلـون كل أنـواع الأشـياء، ربمـا يكـون بعـض الرؤسـاء في المدينـة، أو أنهـم يراقبـون حفلـة رقـص مدرسـة ثانويـة في الشـمال".

"حفلة رقص في مدرسة ثانوية؟ هل لدى الأطفال بنادق؟".

"لا، لكنَّ الأطفال الأيسلنديِّين، عندما يثملون يفقدون صَوابهم".

إذًا، جـان ضـد المجانـين، أعتـبر نفـسي محظوظًـا لأننـي عـثرتُ عـلى القـسِّ فرينـدلي في مراحيـض مطـار چي.إف.كيـه. كان بإمـكاني قتـل شـخص لديـه تذكـرة سـفر إلى بغـداد. أيسـلندا هـي جنَّـة العصابـات، لا جيـش ولا أسـلحة ولا جرائـم قتـل ولا شرطـة تقريبًـا. فقـط نسـاء رائعـات بأسـماء رائعـة.

"إنه ليس جانهولدر، إنه جانهيلدور"، كما تقول.

"جونيلدا؟".

"لا. جان! تبدأ بـ "جان"، ثم هيلدور. جانهيلدور!".

"جونهيلدا؟".

"أيًّا كان... سأدعوك توت".

"ماذا يعني ذلك؟".

"لن تحب معرفة ذلك".

"ألم يكن لديكِ لقبٌ من قبل؟".

"عندمـا عشـنا في الولايـات المتحـدة، كان الأطفـال ينادوننـي دائمًـا بــ "جـان"، ولا يـزال والـدي يدعـوني هكـذا في بعـض الأحيـان

"مسدس؟"[1]

---

(1) Gun.

"لا.. جان!"[1].

"أنتِ مُسدَّسي، أنتِ مَن كنتُ أبحث عنه منذ جِئتُ إلى هنا".

تهتزُّ شفتاها بغيظٍ مثير وهي تزفر آخر دخان لها.

"مسدَّس مُدخِّن" أضَفتُ بينما أتفحَّصها بعيني، إنها عكس مونيتاي تمامًا. ملكة الجليد الشقراء الزبدة وعنكبوتتي التندورية. أميل من أجل قُبلَة، فأقع بين ذراعيها الأيسلنديَّتيْن.

(1) Gunn بزيادة حرف N.

# 16
# الحبُّ في الثَّلَّاجة

## 2006/05/22

انتهيتُ من الأسبوع الأول في المنفى. على الرغم من أنني لم أقتل أيَّ شخص خلال الأيام السبعة الماضية، باستثناء كلب صغير واحد، إلَّا أن هذا يُعَدُّ أحد أكثر الأسابيع إثارة للاهتمام في حياتي. سبعة أيام وسبع ليالٍ لم تغرب الشمس. لديَّ خمس جنسيات مختلفة وشغلتُ وظيفتين. لقد ظهَرتُ على الهواء مباشرة في التلفزيون، وشاهدت مسابقة الأغاني الأوروبية لأول مرة منذ سِتٍّ سنوات. اقتحَمتُ شقَّتين، وسرقت سيارة واحدة، وثلاث زجاجات بيرة، وبعض الخبز ولحم الخنزير المُقَدَّد وست بيضات. أجد نفسي أيضًا في حالة حُبٍّ مع فتاتين مختلفتين. واحدة أيسلندية والأخرى هندية من بيرو.

تجنُّبًا للمزيد من زيارات الشرطة، أوصَيتُ الشقراء أن تشتري لي هاتفًا جديدًا مُزوَّدًا برقم لم يُستَخدَم من قبل. أتَّصِل بالسمراء،

أُهاتِفُها كلَّ صباح. أتَّصِل بها عبر الهاتف الجوال، أهاتفها في العمل، في المنزل. أبعث رسائل، أترك رسائل وتدليلًا. في النهاية قرَّرتُ أن أتصل بحارس المبنى الذي أعيش فيه في سوهو، صاحب تسريحة الشَّعر الفظيعة. مجرد سماع صوته العميق يمنحني شعورًا بالدفء، مَمزوجًا بهجمة من الحنين إلى الوطن. لكنها تختلط بشدَّة في معدتي.

يقول إن مونيتا جاءت قبل أيام قليلة برفقة فحلٍ طَلياني المظهر، وصعَدَا إلى الطابق العلوي. أخبرت الحارس أن لديها مفاتيح شقتي، هذه كذبة. لم أُعطِها أيَّ مفاتيح قَطُّ، لكن كان على الحارس أن يُصدِّقها؛ فقد رآها تدخل المبنى معي طوال الوقت. نزل الرَّجُل الطَّلياني إلى الطابق السُّفلي بعد بضع ساعات، لكنها لم تغادر المبنى منذ ذلك الحين.

العاهرة.

أشكره وأنهي المكالمة الهاتفية بسرعة قبل الاتصال بشقَّتي.

لا إجابة. بالطبع لا، الكلبة الهائجة. طَليان لعينون في جميع أنحاء بلَّاط حمامي! يجب أن أتَّصِل بانترفلورا[1] وأطلب باقةً من الزنابق السامة تُسلَّم إلى باب منزلي في مدينة نيويورك. لماذا لم تَقُم بذلك في منزلها؟ لماذا اضطرَّت إلى تشويه أريكتي الجلدية البيضاء بعَرَقِ طليانيٍّ؟

اتَّصَلتُ بالحارس مرة أخرى- شعرتُ فجأة أنه الشخص الوحيد الذي أعرفه في التفاحة الكبيرة[2] (أعلم أنني قتَلتُ معظم معارفي في نيويورك، ولكن لا تزال هذه الحقيقة مُحزِنة للغاية. لقد تمَّ مَحوُ سِتِّ سنواتٍ من حياتي) أطلب منه الاتصال بشقتي وأن يتصل

(1) شركة ورود شهيرة، تأسَّسَت في ألمانيا سنة 1908.

(2) نيويورك.

بالشرطة أو أي شيء إذا لم يَرُدَّ عليه أحد. على أحدهم أن يقتحم الباب اللعين ويحضر المرأة اللعينة إلى الهاتف بقبضة يد.

"لديكَ مفتاح شقتي أليس كذلك؟".

"نعم، بالطبع لديَّ مفتاحك" قال الحارس.

أخبرني أن أتَّصِل به مرَّةً أخرى بعد ساعة.

بعد ساعة... حسنًا، اللعنة على لعنتي.

في غضون ساعة، عاد تراستر اللعين إلى المنزل، فلا يمكنني التحدُّث عبر الهاتف الآن. يجب أن أبقى ساكنًا تمامًا وصامتًا هنا في العلِّيَّة شديدة البرودة، في المحيط الأطلسي شديد البرودة، كم أنا مسكين. ما كان يجب أن أصطحب رقم 66 إلى مكبِّ النفايات، كان يجب أن أتخلَّص منه في سيارته. ثم لم يكن أصدقاؤه ليقتربوا مني مطلقًا بعدسات أسلحتهم، كل ما في الأمر أن سيارته كانت رائعة جدًّا، بدت باهظة الثمن. (أحيانًا كنتُ أبالغ في أتعابي بإعطاء سيارة الضحيَّة لرَجُل رادوڤان في مرتفعات چاكسون، وهو بائع سيارات مُستَعمَلة بشدة يُدعى إيڤو).

رادوڤان اللعين، منبع كل مشاكلي. أستمع إلى تراستر وجانهولدر إذ يشاهدان الأخبار المسائية. يبدو أن جزيرة ليليبوت لديها ما يكفي من الفضائح السياسية والمشاهير الفاشلين لملء ساعة إخبارية يوميَّة. أو ربما يقولون فقط إن شيئًا لم يَحدُث اليوم. لا قتل، لا حرب، لا شيء.

اللعنة... أتَّصِل على أيَّة حال. لا أستطيع الانتظار حتى الصباح. أدير جسدي برفق، وأغوص في رأس حقيبة النوم أوَّلًا جاثيًا على ركبتي، وأهمس لحارسي القديم الطيب:

"إنه تود مرَّةً أخرى. هل اتَّصلتَ بها؟".

"نعم".

"وماذا؟".

"لم يكن هناك جواب؛ لذلك صعدتُ إلى الطابق العلوي".

"و...؟ هل كانت هناك؟".

"الشقة كانت فارغة".

"فارغة؟".

"نعم. لكن كانت هناك رائحة غريبة. رائحة قوية جدًّا".

"أي نوع من الروائح؟ رائحة جسم؟ عَرَق؟".

"رائحة جسم نوعًا ما، نعم".

"حسنًا، اللعنة عليها" أحاول ألَّا أصرخ عبر هاتفي الأيسلندي الجديد، وأنا أهتزُّ غضبًا داخل حقيبة النوم الكبيرة.

يتابع: "لذا تفقَّدتُ جميع الغُرَف يا سيدي".

"آه. و...؟".

"تفقَّدتُ كل الغُرَف يا سيدي... والحمَّام، والمطبخ...".

"و...؟".

"كانت جميع النوافذ مُغلَقة. فحصت كل النوافذ. كانت جميعها مغلقة".

"حسنًا".

"أخيراً... لا أعرف لماذا حقًّا... فتحتُ الثلاجة".

"الثَّلَّاجة؟".

"نعم. فتحت الثلاجة، و...".

"فسد بعض الطعام؟ تركت بعض الطعام؟".

"أنا آسف سيدي، لكنني لا أعرف حقًّا كيف أُخبِرك بهذا".

صوته الجَهوَريُّ العميق يصبح أكثر خطورةً من المعتاد.

"ماذا؟" أسأل بينما أرتجف تشوُّقًا.

"كان رأسها بالداخل يا سيدي".

"رأسها؟ في الثلاجة؟".

"نعـم يـا سـيدي. كان رأسـها هنـاك عـلى طبـق. كان... الوجـه كلـه منتفخًـا، أصفـر، وأزرق. ولكـن...".

"ولكن؟".

"لكنها كانت هي، لقد تعرَّفتُ عليها. كانت صديقَتَكَ".

"على طبق؟".

"نعم سيدي. في الثلاجة. كان الأمر...".

"رأسها فقط؟".

بدأت أستوعب موت مونيتا وأنا أسأله.

"نعم يا سيدي. فقط رأسها. لم أعثر على جُثَّتها".

"ولكن يمكنك شَمُّها؟".

"نعم. أعتقد ذلك، قد تكون هناك في مكان ما".

"أيَّ رائحةِ جسمٍ شَمَمتَ؟".

"تقصد أي نوع؟".

"نعم. هل كانت مهبلًا؟ رائحة مِهبَل؟".

مـاذا أقـول بحـق الجحيـم؟ عقـلي الكـرواتي القديـم المريـض. أنـا أسـتحقُّ المـوت. أوه، مونيتـا. لمـاذا كان عليـكِ أن تخونينـي مـع رَجُـل

عصابـة؟ لقـد خُنتُـكِ مـع فـأر ثلـوج صغـير لطيـف. أعتقـد أننـي يجـب أن أبـكي الآن. رأسـك في الثلاجـة! تحوَّلَـت تلـك الشـفاه الجميلـة البـاردة، تلـك العيـون التـي غُطِّيَـت بزجـاجٍ مُتجمِّـد. شَـعرُكِ مثـل المكرونـة البـاردة. مـاذا عـن جسـدك؟ هـل أكلـوه بالفعـل؟ والآن روحـك، روحـك مقطوعـة الـرأس، تعانـق أبويهـا الكسـيحين في الجنـة. أوه، بونيتـا.

"نعـم يـا سـيدي يمكنـك أن تقـول هـذا حسـبما أعتقـد، مهبـل، لكنهـا رائحـة قويـة جـدًّا" يقـول حـارس المبنـى في أذني اليمنـى.

# 17
# القاتل الذي يعوي

## 2006/05/23

نزلتُ إلى الطابق السفلي. لم أعُد أهتم. أفتح الكوَّة وأُخفِض السُّلَّم. يستيقظان بالطبع. يأتي ترستر إليَّ بقبضة طائرة، كما لو كنتُ لصًّا بسيطًا. أوقف ضربته في الهواء، ممسكًا ذراعه بيدي. إنه قويٌّ جدًّا، لكنه بالطبع لم يكن جنديًّا قطُّ. تُهدِّئ الفتاة شقيقَها وتسألني ماذا أفعل بحق الجحيم؟

"لم أَعُد أهتمُّ بعد الآن".

نظَرَت إليَّ بوجهٍ مُتجمِّد ونظر إليها تراستر بحيرة أكبر.

"هل تعرفينه؟" يسألها باللغة الأيسلندية؛ ممَّا يعني أنني لم أعُد أبدو كاهنًا. هي لا تجيب. إنه عارٍ باستثناء بعض الملابس الداخلية الغريبة، ينظر إليَّ هومر سيمبسون من بين فخذيه، ولسان في خدِّه.

ترتدي هي قميصًا أزرق غامقًا كُتِب عليه "آسف" باللون الأبيض. أنا أرتدي ملابسي بالكامل. ارتديتُ حذاء الرّكض، حذاء إيجور الرياضي.

تتبعني جان من الشقة إلى أسفل الدَّرَج، وتطرح جميع أنواع الأسئلة التي لا أجيب عليها، بينما أتجنَّب النظر إلى وجهها، فمن شأن هذا أن يُحفِّز الأفكار الخاطئة.

لم أعُد أهتمُّ. أمضي إلى الخارج. وداعًا.

الوقت مبكِّر جدًّا. الشوارع صامتة أكثر ممَّا كانت عليه أثناء النهار، بل تخطَّت الصمت. تُذكِّرني بقرية الموتى. إنها مُشرِقة مثل الجحيم، لكنها غائمة. سحابة كبيرة ضبابية ضخمة تتدلَّى على ارتفاعٍ مُنخَفِضٍ فوق المدينة مثل غطاء على قِدر. يبدو أنها تغطس إلى الأسفل، لها اللون الرمادي الفاتح للجليد. كما هو الحال دائمًا، فإن درجة الحرارة كالثلاجة.

ثلاجة لعينة.

أنا أبحث عن طبقٍ لأضع رأسي عليه.

أمشي في الشارع بلا أدنى فكرة عن وجهتي أو ما أفعله. يجب فقط أن أذهب إلى مكان ما. عندما يموت رأسك، تتولَّى قدماك القيادة. أنا دجاجةٌ مقطوعة الرأس تمشي بينما يسيل الدم من حلقي الملتهب.

يمكنني أن أرى البِركة بين البيوت، حيث تُبحِر بجعةٌ لعينة ببطء بين سقف وعمود إنارة. لقد وضعوا رأسها على صحنٍ، لماذا فعلوا ذلك بحق الجحيم؟ ليخيفوني؟ كلَّما فكَّرتُ في الأمر؛ شممتُ رائحة طبخة الطِّليان. في لغتهم، يعني وضع رأس صديقتك في الثلاجة أمرًا جَلَلًا. لماذا لا يأتون ويعثرون عليَّ ويقتلونني على الفور؟

كفى شِعرًا لعينًا!

لا أصدق أنها ماتت. فتاتي مونيتا، وهذا الموت العنيف الوقح المبتذل. كل ذلك حسب تقاليد الأسرة.

لقد نزعوا رأسها عن جسدها... ذلك الجسد المقدَّس... الليلة الماضية كانت الفتاة الأكثر إثارة على هذا الكوكب، واليوم هي في الثلاجة.

كذلك أنا.

أعتقد أن هذا هو عقابي؛ لأنني محبوس داخل هذه الأرض الجليدية. أعتقد أنني أستحقُّ ذلك. لقد خُنتُها، لكن على الأقل لا يزال رأسي مُتَّصِلًا بجسدي. لا بُدَّ أنها خانتني أكثر وأعنَفَ بعشر مرات. سلَّمَت رأسها مقابل الجنس الفموي الذي منحته. كنت أعرف، كنت أعرف ذلك بحق اللعنة. لا يمكن الوثوق بالفاتنة الهندو- إسبانية، أعلم أنهم يقولون إنه لا يمكن الوثوق بأي إنسان تمامًا، باستثناء يسوع المسيح ولورا بوش، ولكن يَحِقُّ لك دائمًا أن تأمل أن يتقدَّم شريكك على الأقل بطلب للحصول على عضوية تجريبية في ناديهم المقدس.

أتذكَّر ذات مرة أثناء عودتنا من عشاء في مطعم أنيق في الجانب الشرقي العلوي، وكان النسيم العليل دافئًا مثل الهواء من أنبوب العادم. سارت ببطء إلى الرصيف، وأحكَمَت ربط حزام محفظتها على كتفها، وشعرت بفخذيها الكبيرتين تحتكَّان ببعضهما البعض تحت فستانها الساتان الأحمر الصاخب (كانت مونيتا واحدة من هؤلاء النساء النادرات اللائي يرتدين الفساتين أغلب الوقت) تكاد الفتحة المثلَّثة في الخلف (أحد تلك الأشياء التي لا أعرف الكلمة الإنجليزية لها) تُلامِس مؤخِّرتها. وحين اندفعت إليها سيارات الأجرة الصفراء نحو جسدها الشَّبِق الممتلئ والملفوف باللون الأحمر، اختبأ عقلي المريض في الظلام داخل فستانها، هناك في الفتحة المثلَّثة، عند حدود

المؤخِّرة والفخذين، ليفكِّر ما إذا كانت تُواعِدُ رَجُلًا آخر هذا الأسبوع، أو هذا اليوم، أو ذلك العام...

داخل المطعم كنَّا نتحدث عن العلاقات بشكل عام ونسخر من مربَّع سواب[1] (أو أيًّا كان اسمه) زوجان على بُعد ثلاث طاولات. همست مونيتا فوق ملعقتها المليئة بالحساء التايلاندي: "لا بُدَّ وأن لديها مهبلًا سحَّابًا". لم أسمع هذا من قبل. مهبلًا سحَّابًا. فكت الكلمتان على الفور حبي الشديد لها. كانت هذه المرأة فتاةَ كلِّ احتلام جاءني، لقد دفَعتُ الفاتورة وأنا منتصبٌ، وقرَّرتُ أن أخبرها أنني أحبَبتُها عندما نخرج.

كانت المرة الأولى التي أخبرها فيها.

لكن عندما خرجنا إلى الشارع، وكان عقلي يختبئ في ظِلالها، رأيت فجأة هذه اليد بين فخذيها، يدٌ مُشعِرة لرَجُلٍ بالِغ، تشقُّ طريقها إلى ساقها. يرتدي على إحدى الأصابع خاتَمَ زواجٍ ذهبيًّا سميكًا. كانت مُجرَّدَ رؤيةٍ سريعة أقرب إلى ومضة.

اشتعلت رقتها الفائقة فانقلبت عيني من الخلف إلى الأمام. ابتسَمَت ابتسامتها الحلوة بشفتين ناعمتين مغلقتين، ابتسامتها المثيرة تلك:

"شكرًا على العشاء يا عزيزي. كان رائعًا".

قُبلة. وصوت مُحرِّك سيارة على بُعد عشرة مبان.

"هل هو متزوِّج؟".

"مَن؟".

"الرجل".

---

(1) SWAP: بروتستانتي أنجلوساكسوني أبيض ينتمي للطبقة البرجوازية.

"أيُّ رَجُل؟ في المطعم؟ نعم، لا بُدَّ وأنهما متزوجان".

"لا، الرجل الذي تـ...".

ولَّت وجهها اللطيف المثير كزهرة عبَّاد الشمس نحو زحام الغسق. مع تعبير مفاجئ عن الألم، كما لو أن أحدهم قد قرصها في ظهرها.

"الرجل الذي ماذا؟".

"الرجل الذي تواعدينه".

"الرجل الذي أواعده؟ هل أُواعِد رجُلًا؟".

"نعم، هل هو متزوِّج؟".

"لا، لا... لماذا تقول ذلك؟".

صوتها مليء بالبراءة. ولكن بعد ذلك الكلمات الخاطئة:

"تود، أنت تعلمُ أنَّني لن أفعلها مع رَجُلٍ متزوِّج أبدًا...".

ترمش عيونها إثر الخطأ الفادح، وتمتلئ شفتاها بالندم. وبعد ذلك مونولوج سريع مليء بـ "لا تُسِئ فهمي".

كرَّرَت هذه الجملة اللعينة سبع مرات في اليوم على مدار الأشهر القليلة التالية. لقد درَستُ هذه الجملة مثل عالِم آثار يدرس حافة الزجاج المكسور الموجود في أعماق تلال جبل أرارات. ماذا يعني ذلك بحق الجحيم؟ "لن أفعلها مع رَجُلٍ مُتزوِّج أبدًا" راجَعتُ القواميس، وبحَثتُ في الإنترنت، واستمعت إلى محادثات لا حصر لها في مترو الأنفاق، وشاهَدتُ الكثير من البرامج التليفزيونية أثناء النهار، ومع ذلك لم أستطع فهم الأمر.

لم تكن لغتي الإنجليزية على مستوى المَهمَّة حينئذٍ، لم أكن على دراية بجميع الفروق الدقيقة في أم اللغات هذه. ومع ذلك أتيت إلى هنا قبلها بعام، لكنها بالطبع كانت "تفعلها" مع كل هؤلاء الرجال،

وتتعلم اللغة الانجليزية من خلال أحاديث الوسادة، وتتلقّى الدروس جيدًا في ساعات الصباح، بينما تذهب جميع الفتيات اللاتي أواعدهن مباشرة إلى الحمّام بعد الطبق الرئيسي، ويغسلن أنفسهنّ في المرحاض على نمط كاميكازي[1].

في النهاية، عندما طارت هذه الجملة غير الرسمية عبر سماء مانهاتن، لثلاثة أسابيع كاملة، ابتلَعتُ كبريائي وقُمتُ بالتسجيل في فصل اللغة الانجليزية في مدرسة مسائية صديقة للمهاجرين في تريبيكا. كانت غرفة مضاءة بالنيون مع كراسي بلاستيكية قذرة مليئة بفتيات فلبينيات مُبتَسِمات على الدوام، من طراز اليوم الـ 15، وعدد قليل من أعضاء القاعدة من الذكور. بالإضافة إلى المعلِّمة فنلندية المَولِد كاري، جميلة نحيفة لدرجة مريعة بشَعرٍ أشقر طويل، ولم أستطع أبدًا أن أُحدِّد ما إذا كانت من طراز اليوم الخامس أو الخامس والعشرين.

في نهاية الفصل الدراسي، استجمعت شجاعتي أخيرًا ورفعت يدي لأسأل المعلِّمة: إذا كان أحد الرجال يواعد امرأة ما لفترة معيَّنة من الوقت، وعند لحظة مُعيَّنة تُطَمئِنُه أنها لن تفعلها أبدًا مع رجال متزوِّجين...

"هذا يعني أنه يجب عليك التَّوقُّف عن مُواعَدَتِها" صدر الحكم.

وانفجر الفصل، انفجروا ضاحكين بحق اللعنة، وكذلك جميع الفلبينيات المبتسمات وإخوان بن لادن. لقد فكَّرتُ بشدَّة في إحضار مسدسي الأوزي[2] إلى الفصل التالي، لكنني أعتقد أنني كنت ممتنًّا جدًّا لهذه المرأة كاري، التي رفَعَت مستواي في اللغة الانجليزية بمقدار

(1) kamikaze: جزء من وحدات الهجوم الخاصة اليابانية للطيارين العسكريين الذين شنُّوا هجمات انتحارية لصالح الإمبراطورية اليابانية ضد سفن الحُلَفاء.

(2) Uzi: مُسدَّس رشَّاش.

عشريـن طابقًـا في ثلاثـة أشـهر؛ فربمـا كانـت سـتكتئب إذا رأت جميـعَ طُلَّابهـا يموتـون.

أديـن بلغتـي الإنجليزيـة للعمَّـة غـيرة، لقـد سـاعَدَتني في الارتقـاء بمسـتواي. لا يـزال ديـكان وشركاه عالِقـين بانجليزيتهـم في مسـتوى الأرض "خُـذني السـيارة" لقـد وضعنـي ذلـك في موقـف مُحـرِج بعـض الـشيء (لا يجـب أن تبـدو أكـثر ذكاءً مـن رئيسـك في العمـل) وأغلـب الوقـت حاوَلـتُ التقليـل مـن قيمـة مهاراتي، لكـن ديـكان اكتشـفني، وبـدأ في اسـتخدامي كمُتَرجِـمٍ فـوري لـه في بعـض صفقاتـه الكـبرى. لطالمـا شـعرت بغثيـانٍ عندمـا يجلـس لاعِـقُ إصبـعٍ بجانبـي في زغـرب سـاموفار، يمتـصُّ سـيجاره الميـت ويحـدِّق فيَّ، بينـما أشرح وضعنـا للفتيـان البولنديـين مـن شـيكاغو. بـدا ديـكان دائمًـا متشـكِّكًا بعـض الـشيء مـن تَقدُّمـي السريـع، وتَعامَـل كـما لـو أني تعلَّمـتُ اللغـة الانجليزيـة مـن خـلال مواعَـدَة أحـد توأمَـيْ بـوش سرًّا، وقضـاء عطـلاتي مـن العمليـات في نهايـة الأسـبوع في الجنـاح الغـربي، وتَنـاوُل الطعـام مـع رئيـس مكتـب التحقيقـات الفيـدرالي وحَرَمـه.

لم يعلـم أنـه كان فقـط نتيجـة بحثـي الـدؤوب في حيـاة مونيتـا العاطفيـة، وهـو إجـراءٌ تَضمَّـن بعـض أعـمال التجسُّـس أيضًـا، والـذي -بـكل خجـل- لم يُحقِّـق أي نتائـج.

حـين قالـت إنهـا لـن تفعلهـا مـع رجـال متزوِّجـين أبـدًا، ألمَحَـت مونيتـا إلى أنهـا في الواقـع "تفعلهـا" مـع رجـال غـير متزوجـين، وقـد دلَّ اسـتخدامها لكلمـة "تفعلهـا" الرهيبـة أنهـا كانـت تفعـل ذلـك بكـثرة. كانـت مونيتـا مَطحَنـة قُضبـان "تتَّجـه رأسـيًّا" إلى أعـلى بـرج ترامـب، ومُجهَّـزة بكلـماتٍ مـن قبيـل "انظـر إليَّ!"... عاهـرة الأثـداء المحتالـة.

أنـا لم أذكـر أيًّـا مـن هـذا لهـا. ونعـم، لم أكُـفَّ عـن لقائهـا، تركتهـا تفعلهـا معـي وفعَلتُهـا معهـا. لكـن ظـلَّ الحـب بعيـدًا، مثـل سـفينة سـياحية بيضـاء ضخمـة أكـبر مـن أن تدخـل الميـنـاء، حتـى الآن عـلى مـا أعتقـد. وأنـا

لا أفهم ذلك تمامًا. لقد ماتت وفجأة بدأت أشعر بالعاطفة تجاهها. سيسعدني أن أراها تنال العقوبة التي تستحقُّها. لقد تمادت للغاية، حتى بلَغَت شقَّتي الرائعة، على بلاط حمامي اللعين.

لكن ربما أجبَرَها أحد العصبجية الطِّليان على ذلك. كان المقصود من "عقوبتها" عقابي فقط. لقد كان نوعًا من (م.إ) مهمة إيطالية، تمَّت باسم جريمتي السِّتَّة والستين، أي واحد أو أي مجموعة؟ لا يهم.

كان لا بُدَّ أن يحدث عاجِلًا أو آجِلًا، كان لا بُدَّ من عزل قاتل مانهاتن الرئيسي، ذي عضلات البَطنِ السِّتَّة، الكرواتي القاسي، توكسيك الذي لا مثيل له. أم كان واحدًا مِنَّا؟ نيكو؟ صاحب مقولة "لماذا تدعوني نيكو؟" قال البوَّاب إن مونيتا صعَدَت إلى الطابق العلوي مع "رَجُلٍ يبدو إيطاليًّا". كان من الممكن أن يكون كرواتيًّا.

فَهِمتُ.

قتلوها. أصدقائي وأصحاب العمل قتلوا فتاتي، والآن لا بُدَّ لي من الحِداد عليها. لم أكن أعرف كم كانت تعني لي حتى الآن، لم تكن الأسوأ حقًّا. لقد أحضَرَت لي الزهور في كل مرة جاءت فيها تقريبًا، أعطتني أفضل تدليك في حياتي، وكانت تطهو لي كل أسبوعين أطباقها المُفضَّلة منذ طفولتها في ليما: سمكة قرش أو سمك سيفيتشي باس أو أنتيكوتشوس البسيط الجميل، أو اللحم المقدَّد البيروفي الذي لَطالما ذكَّرني بشيفابي[1].

أنا أفتقدها.

أستطيع أن أرى الآن أن تصريحها سيئ السُّمعة لم يكن قاسيًا للغاية بعد كل شيء. "أنت تعلم أنني لن أفعلها مع رجُلٍ متزوِّج"، فهذا يعني فقط أنها لن تفعلها إذا سنَحَت الفرصة. كانت تستخدم صيغة

(1) cevapi: وجبة كرواتية من الكباب.

المستقبل -لو- أو أيًّا كان اسمها. ولكن في النهاية، إذا سنَحَت الفرصة، فمن المحتمل أن تفعلها مع الرَّجُل غير المتزوج..

عُذرًا... اللعنة... إنها ميتة الآن.

أسير في الشارع، وفجأة أستطيع أن أراها داخل تلك السيارة، تلك السيارة اليابانية التي تقف هناك على الجانب الآخر، في الليل الأيسلندي السَّاطع كأنه مضاء بالنيون. تلوِّح وتبتسم، تمامًا كما كانت تفعل دائمًا عندما تأتي لاصطحابي في سيارتها هوندا الصغيرة.

ماذا عن السيارة؟ شقتها؟ عملها؟ ليس لديها أقارب.

ربما ينبغي أن أتصل بصديقتها ويندي وأخبرها...

فجأة وصلَت السَّحابة الرطبة الكبيرة فوق ريكياڤيك إلى عيني. تمتلئ مثل سُترة من الصوف بدمٍ من جرح رصاصة، وفجأة أبكي وكأنها نوبة قلبية أو شيء من هذا القبيل. لا أستطيع تَمالُكَ حالي بحق اللعنة، يستمر الأمر وحسب، لم أبكِ منذ أن خسرنا تلك المباراة في نصف النهائي ضد فرنسا في باريس 98. وسجَّل اللعين ثورام هدفين. عليَّ أن أستريح أمام سيارة دفع رُباعيٍّ صغيرة تقف بصمت في المكان المخصَّص لها، وتتحمَّل الانهيار مثل حصان حربي أبيض.

تأتي سيدة مُسِنَّة تتجوَّل في الزاوية مع كلبها العجوز في طوقه، إنها نزهة الصباح الباكر تلك. أنظر لأعلى فتلتقي أعيننا. لا بُدَّ وأنني أبدو مثل متشرِّد يبكي على زجاجته. ومع ذلك تنظر إليَّ كما لو كانت معتادة على رؤية رجال العصابات في نيويورك ينتحبون في شارعها في الخامسة صباحًا. إنها فتاة من طراز اليوم 65، ترتدي سُترةً ضيِّقة وسروالًا رماديًّا، شَعرُها رمادي، وحذاؤها "نايك" أبيض.

تدفعني للتفكير في سيدات مانهاتن اللاتي تراهُن في أعلى الجانب الشرقي، ينتقلن من الإفطار إلى الغداء، بأحدث تصفيفات الشَّعر على

رؤوسـهن، ويرتديـن أحذيـة أطفـال جديـدة تمامًـا في أقدامهـن. كـما لـو كُـنَّ يُـرِدن أن تُمثِّـل أجسـادهنَّ قِصَّـة حياتهـنَّ، مـن الطفولـة إلى النعـش.

لا أعـرف مـا أفعلـه، لكـن يـدي تعـرف: فجـأة ترتفـع يـدي اليمنـى، ترفـع نفسـها وتحـاول إيقـاف المـرأة بحـدَّة. لـن تتوقـف، لكـن كلبهـا يتوقَّـف، يتنقَّـل بـين سـيارتين ويخـرج إلى الشـارع، باتجاهـي عنـد سـيارة الدفـع الرباعـي البيضـاء.

تظـل السـيدة النحيفـة شـبه الرياضيـة عـلى الرصيـف، تسـحب المقـود الطويـل الـذي لا بُـدَّ وأنـه اشـتبك بالمصـد الآن. يرتجـف شَـعرها الرمـادي وهـي تأمـر الكلـب بالعـودة، لكـن الصغـير مصَّـاصٌ للحُـزن يشـمُّ دموعـي، البقـع الرطبـة الداكنـة في الأسـفلت، مثـل مدمـن مجنـون في إعـادة التأهيل يكتشـف الكوكايـين في مسـيرته اليوميـة في الغابـة. نظـرتُ لأعـلى، وفجـأة سـألتُ مالِكتَـه سـؤالًا فاجـأني أكـثر مـن إيمـاءاتي:

"عفوًا، هل تعرفين إذا كانت ثمَّة كنيسة هنا؟".

# 18
# صباح الموتى

## 2006/05/23

الكنيسة مُغلَقة. وهي أمام البِركة مباشرة، مُحصَّنة ومَطليَّة باللون الأخضر. يسبح البجع والبط في المياه الراكدة. يبدو أن بعضهم نائم ورؤوسهم مخفية تحت جناح.

كواك! كواك!

أجلس على درجات سُلَّم الكنيسة. يُحلِّق فوق رأسي عددٌ قليل من طيور النورس، ويقذفونني بالإساءة كملائكة في حالة سُكْر. تتَّصل جان بهاتفي الجديد مرَّتين فلا أجيب. عند الحِداد على زوجتك، لا يمكن للعشيقة أن تساعدك. يظهر عامِلُ مَدينةٍ ناعس العينين يقود آلة برتقالية صغيرة بطول الرصيف، وتدور أعلاها إضاءة ديسكو. تمَّ تجهيز الوحش الصاخب بمكانس دوَّارة وخرطوم فيل يستخدمه لامتصاص القمامة: المشهد كله يبدو وكأنه حيوانٌ صاخِبٌ يتغذَّى

علـى القمامـة. يمـرُّ السـائق دون أن ينظـر إليَّ. يـا رجـل... لـو كان فقـط بمقـدورك أن تُنظِّـف مسـار حيـاتي.

إنهـا مقـبرة لعينـة. منـذ أن أنهيـتُ دراسـتي لم أفعـل الكثـير باسـتثناء إضافـة الصُّلبـان إليهـا. هنـاك حـصًى في ضمـيري، مثـل الحـصى الـذي يصاب بـه النـاس في كُلَاهـم، حَـصًى بحجـم الكُلْيَـة. اسـتيقظتُ وبـدأت المـشي. أمـشي في وسـط المدينـة، متابعًـا وحـشَ القمامـة.

قابَلـتُ مونيتـا في مطعـم أرتـورو؛ كابينـة فـرن الفحـم الهادئـة في هيوسـتن وتومسـون. انتظرتنـي. انتظرتهـا. ذهبـتُ وعُـدتُ سـبع مـرَّات قبـل أن تسـمح لي برسـم الابتسـامة عـلى وجههـا. شـكرًا جزيـلًا للسـيدة مطحنـة القُضبـان. تَحتَّـم عـليَّ أن أطلـب سـبع فطائـر بيتـزا مختلفـة قبـل أن أتمكَّـن مـن معرفـة مفاتيـح قلبهـا. كان زيتونًـا أسـود، بصـلًا أحمـر، وجرجـيراً. جرجـير. لم آكُل شـيئًا لشـهورٍ سـوى بِرجَـر الجرجـير ومكرونـة الجرجـير. وبعـد ثلاثـة أشـهر، تبادَلنـا أوَّلَ قُبلـة. كانـت عمليَّـةً بطيئـة، مثـل تمريـر فاتـورة كبـيرة عـبر الكابيتـول هيـل[1]. ليـس حقًّـا أسـلوبي في الصيـد.

مـا زلـتُ لا أفهـم لمـاذا لَعِبَـت معـي دور المـرأة صعبـة المنـال، في حـين لم يكـن عـلى عُـزَّاب بـرج ترامـب سـوى الضغـط عـلى زر المصعـد، وكانـت ترتقـي لطابـق أعـلى كل ثلاثـة أو أربعـة أسـابيع. لم تفعلهـا مـع المبتـدئ. لكنهـا فَعَلتهـا مـع كلِّ شـخص آخـر.

أقـف في السـاحة الرئيسـية في أيسـلندا في السـاعة 5:02 صباحًـا، مثـل محكـوم عليـه بالإعـدام ينتظـر وصـول جـلَّاده والعصابـة الغاضبـة. لكـن لا أحـد هنـا. لا شيء سـوى النـار الهادئـة للحيـوان البرتقـالي الـذي يختفـي في الشـارع، ونعيـق الغـراب الوحيـد أعـلى السـاعة الصغـيرة في منتصـف الميـدان، وقـد دُفـن الجبـل الأشـبه بالحـوت في ضبـاب الخليـج الرمـادي حتـى كاحلـه الأزرق الفاتـح، وأنـا أتجـه نحـوه.

---

(1) Capitol Hill: مقر الحكومة الأمريكية.

تقـف سـيارة رماديـة صغـيرة في الزاويـة التاليـة تنتظـر الضـوء الأخـضر. تقودهـا شـقراء سـمينة مـن نـوع اليـوم السـادس عـشر. لا بُـدَّ وأنهـا في طريقهـا إلى العمـل. كـم مـرَّة كنـتُ مكانهـا، أنتظـر إشـارة حمـراء في الرابعـة صباحًـا، في أعـماق قلـب مدينـة الـلا مـكان، السـيارة الوحيـدة في مرمـى البـصر، وويـلي نيلسـون[1] يغنِّـي عـلى كل الموجـات لجميـع الفتيـات التـي أحببتهـنَّ مـن قبـل.

أعتقـد أن أكـثر مـن نصـف ضحايـاي البالـغ عددهـم سـتة وسـتين لقـوا حتفهـم قبـل الظُّهـر. الصبـاح للقتـل؛ فـلا أحـدَ يتوقَّـع رصاصـة عـلى الإفطـار.

أمـشي بمحـاذاة الشـاطئ، يمتـدُّ جـدارٌ واقٍ مـن الأحجـار الضَّخمـة بطـول الخـط السـاحلي؛ ليحميـك مـن الوحـش الـذي يقبـع تحـت سـطح ميـاه المحيـط الـذي يشـبه المـرآة، زميـلي المجنـون. ويمتـدُّ مسـار المـشي الممهَّـد بـين الجـدار والشـارع الفـارغ.

يظهـر أمامـي نصـف رأس مونيتـا الأزرق، يطفـو في الهـواء مثـل عنكبـوت ضخـم مُشـعِر. أمـشي بمحـاذاة الشـاطئ، أتحـدَّث معهـا ومـع نفـسي. أنـا عالِـقٌ في جزيـرة الثلاجـة، ولا يوجـد أحـدٌ أتحـدَّث معـه سـوى كل خطايـاي وخيبـاتي.

كانـت عمليـة رقـم #42 رجـل أعـمال سـيِّئ الحظ مـن وينيبيـج في كندا، كان يديـن لديـكان ببعـض المـال. اضطـررت أن أصعـد خمسـة وأربعـين طابقًـا مـن أجـل هـذه المهمـة، وأدخـل غرفتـه الصغـيرة بالفنـدق. عندمـا دخلـت، كان يمـارس نوعًـا مجنونًـا مـن اليوجـا فـوق السريـر المـزدوج، سـاقاه في الهـواء ومؤخِّرتـه في وجهـي. لم يكـن يـرى المـوت قادمًـا حتـى أرسـلت الرصاصـة في شرجـه. كان الأمـر مضحـكًا جـدًّا فلـم أقـاوم تجربتـه. لكنـه لم يَمُـت عـلى الفـور. قضيـتُ حـوالي أربعـين ثانيـة متألمًـا مـن خطـوتي

(1) Willy Nelson: مُغنٍّ أمريكي.

التاليـة. لم أرغـب مطلقًـا في إضاعـة رصاصـة أخـرى. كنـتُ عـلى بُعـد رصاصتـين فقـط مـن لقـب ثـلاثي عضـلات البطـن؛ لذلـك وقَفـتُ هنـاك أداعـب بندقيَّتـي.

لحسـن الحـظ بـدا أنـه يتفهَّـم وضعـي؛ فـكان متعاونًـا. أودُّ أن أذكـره في خطـاب الشُّـكر في حفـل توزيـع جوائـز المافيـا.

بجهـد هائـل تَمكَّـن مـن العـودة والزحـف عـبر السريـر الملطَّـخ بالدمـاء نحـو الطاولـة. يبـدو أن الرصاصـة قـد انتقلـت إلى القولـون، عـبر معدتـه ورئتيـه، وخرجـت مـن حـدود الصـدر والرقبـة. اسـتمرَّ الـدم في التدفـق من تحـت الذقـن. أسرَعـتُ إلى هنـاك، معتقـدًا أنـه حتـمًا يحتفـظ بمسـدَّس في الـدُّرج، لكنـه وصـل فقـط إلى محفظتـه وقـضى أنفاسـه الأخـيرة في النظـر إلى صـور زوجتـه وأطفالـه الثلاثـة، أربعـة وجـوه كنديـة مُجمَّـدة في مـرح. ثـم غـرق في دمـه الـذي كان يقطـر مـن أنفـه.

بمجـرَّد أن أخـذه القديـر، جلسـتُ بجـواره عـلى الفـراش، جلسـت هناك لمـدة نصـف سـاعة وقـرَّرتُ في النهايـة أن ألقـي بنفـسي مـن النافـذة إلى الجـادَّة السادسـة. لكننـي لم أتمكَّـن مـن فتـح النافـذة اللعينـة... الفنـادق المعـاصرة... ثـم اكتشَـفتُ أن بإمـكاني اسـتخدام مسـدسي بالطبـع، لكـن الطمـوح طغـى عـلى الاكتئـاب.

بعـد فـترة وجيـزة، في موعـدي الغرامـي التـالي مـع مونيتـا، طرحـتُ فكـرة أن نُنجـب أطفـالًا، وأن نصبـح أسرة. مـاري لـو وبـوبي بوكسـيتش. أرَدتُ بعـض الوجـوه السـعيدة في محفظتـي، لكنهـا قالـت إنهـا تريـد الانتظـار حتـى تصـل إلى الطابـق العشريـن في العمـل.

كان أمامها خمسة، خمسة عُزَّاب تافهين.

يأخـذني مسـار المـشي بعيـدًا عـن الشـاطئ، مُتَّبِعًـا الشـارع المـؤدي إلى بعـض الأحيـاء البيلاروسـية. بنايـات منخفضـة عـلى يسـاري، وأعـلى عـلى يمينـي، تُذكِّـرني بأسـبوع عمـلي في مينسـك، حيـث ننتظـر أنـا ونيكـو في

غرفة فندق لمدة خمسة أيام حتى تصل تلك الحقيبة. مشاهدة كل مباراة من مباريات بطولة العالم لكرة اليد للسيدات، كانت فتيات النرويج مثيرات.

هناك بعض السيارات الآن، تزداد حركة المرور في الصباح، معظمها يتَّجه نحو وجهي، مُتَّجِهًا إلى وسط المدينة. ليس لديَّ خُطَّة سفر. أنا فقط أتبع رأس مونيتا المتجمِّد الذي يظهر أمامي كل سبع دقائق، بينما كنت آمل أن تظهر سيارة شرطة. لقد وصلت إلى اللحظة التي ستأتي آجلًا أم عاجلًا في مهنة كل قاتل: عندما يتوق إلى حبل المشنقة، عندما يبدأ بالصراخ في مواطنيه: "أرجوكم تعالوا وخذوني!".

تأخذني المسيرة أمام السينما (تظهر بعض خراء أفلام العصابات الإيطالية) ومتجر أيكيا المحلي مرسومًا باللونين: الأصفر والأزرق. لابأس بالصباح الآن، تنهمر السيارات مثل القوافي من فم مُغنِّي الراب. لكن لا أحد يمشي غيري في الجوار، لا يوجد مُشاة آخرون. لا عجب إذن أن ينتهي الرصيف فجأة. أستمرُّ بطول الطريق، وأمشي على العشب القذر بجانب الأسفلت. هناك فوضى من الخرسانة أمامنا، حلقات وعُقَد مرورية، ينظر إليَّ الناس في السيارة كما لو كنت هانيبال ليكتر في طريقه لتناول الإفطار.

لقد سئمت الموتى. يبدو الأمر كما لو أن رأسي عبارة عن ثلاجة مليئة بالبضائع والآن بعد أن تمَّ سحب القابس، يذوب كل شيء مثل جداول المياه في الربيع. يشبه إلى حدٍّ ما أوَّلَ يَوم لنا في الحرب. في الصباح كان كل شيء هادئًا ومُسالِمًا للغاية، ومغطًّى بالثلج الأبيض الجميل، وذلك بعد ليلة جامحة من إطلاق نارٍ لا هَوادَة فيه. ولكن بحلول الظهيرة ذاب الثلج وظهرت كل الجُثَث.

عملية رقم 51 كان تخصُّ چيرسي، بيت العائلة. البدين الأشبه ببرجر الجبن الصغير ذا الشارب، والذي اختبأ في منزله في أحراش

چيرسي لأكثر من شهر. جلست في سيارتي لمدة ساعتين، حتى غادَرَت زوجته وأطفاله. بمجرَّد أن سقط على الأرض، مُلوِّنًا السجادة بالبول والدم، عادت زوجته. لقد نَسِيَت شيئًا "إنها أنا!" رنَّ صوتها.

ذهبتُ مباشرة إلى المطبخ، وانحنيت بسرعة خلف الأريكة. بينما كانت تفتح الخزائن والأدراج بسرعة، تمكَّنتُ من الزحف إلى النافذة، مختبئًا خلف الستائر السميكة بطول الأرضية. لم أرغب في قتلها أيضًا. الأطفال ينتظرون في السيارة وما إلى ذلك، وفي الحقيقة لم أقتل امرأةً قَطُّ (حسنًا، باستثناء العجوزين الشمطاوين في الحرب، لكنهما كفَّتَا عن كونهما نساء منذ فترة طويلة).

ثم سَمِعتُ المرأة تدخل غرفة المعيشة: "مرحبًا يا عزيزي، أنا فقط..." ثم صراخ حاد.

اضطررتُ للوقوف هناك لمدة ساعة قبل أن أتمكَّن من الهروب. ظلَّت تصرخ لمدة نصف ساعة ثم جلست هناك لمدة أخرى مشلولة، قبل أن تستدعي الشرطة في النهاية. كان يجب أن أقتلها بالرصاص أيضًا. ربما كان هذا أفضل لها.

وبدلًا من ذلك، انتهى بي المطاف بالذهاب إلى الجِنازة اللعينة، على الأغلب لكي أتفقَّد الأرملة. كانت مثيرة، وهو أمرٌ حميد؛ فالنساء الجميلات أسرع في التعافي من هذه الأمور. بدت هذه وكأنها يمكن أن تكون على رأس قائمة "أحدث أرملة في أمريكا"، وقد شَعرتُ بتحسُّن حين رأيتُ سِتَّة عُزَّاب وسيمين على الأقل حضروا الجنازة. ربما حقَّقتُ للتَّوِّ النهاية المثالية لخياناتها.

رأسي يضجُّ بالرؤوس، بعضها يصرخ وبعضها صامت.

يظهر شَعرُ مونيتا مرة أخرى، دائمًا على بُعد عشر أقدام؛ ممَّا يجعلني أغذُّ السير قليلًا. يجب أن أعترف أنني أحيانًا تمنَّيتُ بالفعل أن أحصل على رأسها على طبق من الفضة، وقد حدث. تبتسم على

نحـو غريـب، وفجـأة أشـعر بالرغبـة في أن أقبِّـل شـفتيها الأرجوانيتـين الباردتـين. لكنهـا تحافـظ عـلى مسـافتها، وتقطـع الطريـق المنبسـط أمامهـا. أتبعهـا، فتعـزف لي مجموعـة كبـيرة مـن أبـواق السـيارات نغمـة غاضبـة.

كانـت العمليـة رقـم 56 يشـبه صاحِبُهـا روبـرت ريدفـورد، رجـلٌ مفتول العضـلات ذو ربطـة عنـق صفـراء، وفـكٍّ قـويٍّ، وشَـعرٍ رَمـاديٍّ. اسـتغرق عـدَّةَ دقائـق ليمـوت، في الجـزء الخلفـي مـن مطعمنـا. شـعرتُ أننـي أحـرزتُ نـصرًا؛ إذ تمكَّنـتُ مـن القضـاء عـلى مثـل هـذا الأمريـكي الأصيـل.

أمَّـا العمليـة رقـم 59 فـكان مُنتِـجَ أفـلام إباحيـة بولنـدي في كوينـز، في يـومٍ شـبه غائـم مـن أيـام أبريـل. كان علـيَّ أن أرتـدي قناعًـا؛ لأن صديقتـه كانـت هنـاك.

أمـشي عـلى تلَّـةٍ صغـيرة شـديدة الانحـدار مـن العشـب عـلى جانـب الطريـق. يأخـذني إلى الجـسر العلـوي، الجـسر الخرسـاني الصغـير الـذي يعـبر الشـارع الـذي كنـتُ أسـير فيـه خـلال السـاعة الماضيـة. السـيارات هنـا أسرع.

عمليـة رقـم 63 كانـت الرَّجُـل الصينـي الصغـير الخجـول في شـارع كانـال. بـدا وحيـدًا لدرجـة أنـه كان سـعيدًا بشـدَّة بفتـح البـاب للمـوت.

عمليـة رقـم #68 عندمـا أقفـز مـن الجـسر اللعـين، وأقـول وداعًـا سريعًـا لسـبليت.

# 19

الحياة الآخرة

**23.05.2006**

أوشَكتُ على الزحف حين وصلت أخيراً إلى المنزل اللعين. نعم، إنه منزلهم. تعرَّفتُ على السيارة لاند كروزر الفضية. لا بُدَّ أن هذا يعني أنهم في المنزل، أنا الوحيد الذي يمشي في هذا البلد. يبدو أن النزيف قد توقَّف، لكن السِّنَّ لا يزال مفقودًا. لا بُدَّ وأنني أبدو كما لو كنت مُعلَّقًا على صليب لمدة يوم أو يومين. أشعر بضيق حين أقرع الجرس.

حين أقرع أجراس الكنيسة اللعينة.

تأتي سيكريدر إلى الباب وسرعان ما تردُّه إلى أنفي المكسور. المزيد من أجراس الكنائس. يظهر وجه جودموندور نفسه في النافذة العمودية بجانب الباب. رأس اللاما القديم الطيِّب ذي الأسنان الأمامية الطويلة. بصفته شخصًا سافر على قدميه إلى صميم روحه؛ فإنه قادر على الرؤية من خلال الدم والعَرَق والدموع. يتعرَّف عليَّ ويفتح

البـاب. نحـن نواجـه بعضنـا البعـض: مَـن غسـل أسـنانه يواجـه مَـن فقدهـا.

"مـا هـو... مـا هـو لرؤيتـك؟" سـألني بمـا يبـدو أنهـا عبـارة محلِّيَّـة تعنـي: "مـاذا حـدث لـك؟ أنـتَ غـارقٌ في الدمـاء".

"مررحببًا...".

يؤلمنـي التَّحـدُّث بشـكل جحيمـي. الكلمـة الصغـيرة تحـرق حلقـي وتُشـقِّق جمجمتـي؛ لذلـك تركـت عينـي تتحـدَّث. (لا بُـدَّ أنهـما يبـدوان مثـل بئريـن صغيرتـين في حفـرة طينيـة). أنـا سـعيد جـدًّا برؤيتهـما! حتـى إننـي أفقـد تـوازُني وأقـع عـلى ركبتـي عنـد العتبـة الذهبيـة. أمـدُّ يـدي إلى سروالـه، لكنـه يرجـع قليـلًا، وزوجتـه تقـف خلفـه. تلامـس يـدي المؤلمـة والمتورِّمـة أصابـع قدمـه المُغطَّـاة بالجـورب، فأبـدأ في النحيـب مثـل حصـانِ بحـرٍ بأنيـاب مكسـورة.

"جودمـوه..." لا أسـتطيع أن أقـول أكـثر مـن ذلـك. الألم شـديد جـدًّا، يجـب أن أضعـه في روحـي وأدعـه ينهـي كلامـي. صوتهـا عميـق وغـير مسـموع، مثـل كلام بـاري وايـت تحـت الماء.

أنـا بالـكاد أفهـم ذلـك بنفسي، لكنـه يبـدو شـيئًا مثـل: "... أررجـووك سـاعدني".

أصبـح الأمـر مُمتعًـا، تتوسَّـم روحـي خـيرًا في وجـه اللامـا العزيـز الطيـب.

أنـا الآن عـلى وشـك الاسـتلقاء عـلى أرضيـة المدخـل، أنـشر خطايـاي القـذرة عـلى بلاطهـم الأبيـض. ألـقِ نظـرة فاحصـة عليهـم، عزيـزي القـس.. ألـقِ نظـرة فاحصـة عـلى الفـوضى القـذرة، خُـذ كلَّ شيء واحرقـه في الجحيـم، أو أحـضره إلى عُـمَّال النظافـة في جَنَّتِـكَ الحبيبـة.

أَنَستُ بعض الحذر، أعتقد أنني أسمعهما يهمسان فوق رأسي، ولكن أخيراً يمكنني أن أشعر أن السيد جود يمدُّ يده فوق رأسي ويغلق الباب. ساعدني على النهوض وقادني إلى الحمَّام القريب، بالكاد يمكنني أن أمشي.

تغسل سيكريدر رأسي المؤلم ووجهي المتورم. أحاول ألَّا أنظر في المرآة، لكنها بالرغم من ذلك تهمس لي أنني أبدو مثل رجل الفيل. بالكاد أستطيع أن أرى بعيني اليسرى، تَضاعَف حجم أنفي، يجب أن أكسرها، وكذلك السن بجانب الأسنان الأمامية على يساري.

تبدو الشفة العليا أفريقية، ومع ذلك، فقد جاء معظم النزيف من الجبهة. ثمة جرح فوق عيني اليسرى يمتدُّ حتى خَطِّ الشَّعر. عندما تشطف سيكريدر الجرح، يلمع مرَّةً أخرى. ذراعي اليمنى ساكنة بسبب ألم كتفي، ولن أتفاجأ إذا رأيتُ بعض الضلوع المكسورة إذا كان لديهم كاميرا أشِعَّة سينية في المنزل. كل نَفَسٍ يجلب الألم.

أشعر بالتواء في كاحلي الأيمن، مثل منشفة شبه مُبلَّلة يحاول شخصٌ ما أن يعصرها دون جدوى.

"هل هبطت[1] في حادث؟" يسأل الواعظ.

"نعااهم!".

إنه مثل التحدُّث إلى طبيب الأسنان وفمك ممتلئ بالأصابع.

"أين؟".

"آه سيار..." أغمغم بأسنان مكسورة وشفتين متورِّمَتيْن.

"في حادث سيارة؟ هذا فظيع. علينا الذهاب إلى الطبيب... إلى المستشفى".

(1) يتحدث بلغة انجليزية ركيكة.

"لكـن علينـا تنظيفـه أوَّلًا ووقـف النزيـف، لا يمكننـا أن نذهـب معـه عـلى هـذا الحـال إلى المستشـفى" تقـول سـيكريدر مثـل ممرِّضة متمرِّسـة بينـما تغسـل جبهتـي بعنايـة بمنشـفة صغـيرة.

"لاه" أحتجُّ. "لا مستشفاا...".

"لا مستشـفى؟ لمـاذا ؟! إنهـا نظيفـة. لدينـا نظـامٌ صحِّـيٌّ جيِّـد جـدًّا، إنـه الأفضـل في العـالم، أم ربمـا يكـون هـذا مخالفًـا لقوانـين كنيسـتك؟" يسـأل جودمونـدور وهـو يرفـع حاجبيـه: "أنـت تعلـم أنـه لم يَعُـد الأب فرينـدلي. هـذا الرجـل قتـل الأب فرينـدلي" قالـت زوجتـه بوجـه مارجريـت تاتـشر[1] ويَـدَيْ فلورنـس نايتينجيـل[2] "إنـه قاتـل!".

يتوقَّف زوجها الأقل ذكاءً للحظة.

"نعـم بالتأكيـد، أنـت مجـرم. يجـب أن نأخـذك إلى الشرطـة أيضًـا" أبتعـد عـن سـيكريدر ومنشـفتها لمواجهـة القـاضي عـلى حيـاتي.

"من فظظلك.. أحللقلي".

نظـر إليَّ ثـم نظـر إلى زوجتـه ثـم إليَّ مـرة أخـرى. وجهـه عبـارة عـن تـردُّد كبـير. قـد يعتقـد حقًّـا أنني أطلـب حلاقـة. وقـد أحتـاج بالفعـل إلى واحـد. أحـاول مسـاعدته عـن طريـق إمالـة رأسي القبيـح فجـأة عـلى صـدره (يمكننـي سـماع قميصـه الـوردي وربطـة عنقـه الزرقـاء يصرخـان بصـوت عـالٍ بينـما يلامسـان جبهتـي الداميـة)، أحاوطـه بذراعـي فيتراجـع قليـلًا، لكننـي لا أتركـه، وأضغـط بذراعـي حولـه أكـثر. أفعـل كل مـا هـو مخالـف لطبيعـة توكسـيك.

صرَختُ في بطنه، متناسيًا ألمي لدقيقة "سيقتلونني... أتوسَّل إليكَ".

---

(1) Margaret Thatcher رئيسة وزراء بريطانيا سابقًا.

(2) Florence Nightingale: ممرِّضة بريطانية خلال حرب القرم 1854- 1856.

أستطيع أن أشعر أن الزوج والزوجة يتبادلان نظرات ذات مغزى، جُنديًا خيرٍ في مواجهة شرير مهزوم. تحدَّثا باللغة الأيسلندية لبعض الوقت. أقوم بـ أ.ق.أ وأتمسَّك بجسد الواعظ مثل قرد حديث الولادة متشبِّثٍ بأمه. أشاهد دمعتين مختلطتين بالدم تتساقطان من وجهي إلى أرض، تستحيل كل واحدة بِركةً صغيرة على البلاط الأبيض، وهي بِركة صافية تمامًا مليئة بالخطوط الممزَّقة بالدماء، والتي تتحرَّك فيها باستمرار مثل بعض السياط الصغيرة.

قاما بلَفِّي بضمادات دون إطلاعي على أي قرارات أخرى، وحوَّلاني إلى مومياء، ثم أخذاني إلى الطابق العلوي إلى فراشي القديم. تضع سيكيدر قطعة قماش باردة على أنفي، وتطلب مني الاسترخاء، ثم يغادران الغرفة.

أمي و أبي.

أحاول الحصول على قسط من الراحة. أحاول أن أحصل على بعض الراحة لروحي. الألم الجسدي موجود، لكنَّ مَصادِرَه متعدِّدة، وقد أدخل الآن في ألمٍ عام كبير، ضجَّة عالية في نظامي، يمكنني في الواقع تجاهلها من وقت لآخر، مثل مَن يعيش بجوار موقع بناء وقد توقَّف أخيرًا عن سماع كل الحفر.

قفَزتُ بعد فوات الأوان، كنتُ متأخِّرًا جدًّا. لقد أخطأت في تقدير الوقت اللازم لسقوط جسدي المثقل بالدهون على ارتفاع خمس عشرة قدمًا. كنت أستهدف شاحِنةَ توصيل بيضاء كبيرة كان من المفترض أن تمنحني الضربة القاتلة بمصدِّها الأسود الصُّلب. بدلًا من ذلك، كانت الشاحنة بالفعل في منتصف الطريق تحت الجسر عندما وقَعتُ أخيرًا.

هبطت على سطحها، ثم قفزت على الفور من ظهرها إلى الجدار الخرساني أسفل الجسر واصطدمتُ بعُنفٍ على النصف الأيسر من

وجهـي، قبـل أن أسـقط عـلى كتفـي المتصلِّبـة وكتفـي التـي تؤلمنـي. اسـتلقيت هنـاك لبضـع دقائـق، لكـن لا يبـدو أن أحـدًا قـد لاحـظ أنني أتدحـرج مثـل كيس غسـيل مُتَّسِـخ مـن مستشـفى عسـكري مجهـول. ولا يبـدو أن أحـدًا قـد لاحـظ الخنزيـر النافـق المُلقَـى عـلى جانـب الطريـق تحـت الجـسر. ومـع ذلـك، أبطـأت السـيارات قليـلًا عندمـا عُـدتُ إلى صـوابي وزَحفـتُ عـلى قدمـي. لكـن لا بُـدَّ وأن الجميـع قـد اكتشـفوا أنني كنـتُ وحشًـا يعيـش تحـت الجـسر.

واصَلـتُ سـيري. واصَلـتُ الابتعـاد عـن المعـبر بنصـف وعيـي، في نفـس الاتجـاه الـذي كنـتُ أسـير فيـه قبـل موعـدي الفاشـل مـع المـوت، مشـيت عـلى الفاصـل الأخـضر الواسـع بـين الطـرق ذات المسـارين. مشـيت بكاحـلٍ ملتـوٍ ووجـه ملطَّـخ بالدمـاء. حـدَّق النـاس في وجهـي خلـف عجلاتهـم السـعيدة، لكـنَّ أحـدًا لم يتوقـف. سـيدات مسـاحيق التجميـل اللعينـات وجرَّاحـو التجميـل جميعهـم. ثـم بـدأت السـماء تمطـر، ومنـذ ذلـك الحـين لم أعُـد مرئيًـا بالنسـبة لهـم.

واصَلـتُ المـشي، مثـل دُبٍّ قطبـي جريـح يتَّجـه تلقائيًـا إلى القطـب الشـمالي ليمـوت، ظللـت أسـير في حـارة المـرور. بـدا الأمـر بـلا نهايـة، لكننـي واصلـت المـشي، دون أدنى فكـرة عـن وجهتـي. أخبرتنـي اللافتـات العلويـة أننـي مُتَّجِـه إلى المطـار. قالـوا كيفلافيـك مـع صـورة لطائـرة تحلِّـق لأعـلى. بالطبـع يمكننـي دائمًـا محاولـة الهـروب مـن هـذا البلـد عـلى أننـي إيجـور وبـدء حيـاة ثالثـة جديـدة كمتعهِّـد دفـن بمولينسـك في روسـيا.

مـررتُ أسـفل سـبعة جسـور، مـرورًا ببيتـزا هـت ومركـز تجـاري أشـبه بسـفينة فضـاء غريبـة أذكـر أننـي رأيتـه مـن قبـل. اختفـت جزيـرة المـرور وجعلتنـي أتـرك كتفـي المتألمـة لأمسـك بالأخـرى المتصلِّبـة، ثـم فجـأة رأيت عـلى يمينـي، بـين بضعـة مبـانٍ إداريـة جديـدة، صليبًـا أزرق كبـيرًا مرسـومًا عـلى الجملـون الأبيـض الكبـير لكنيسـة تورتشـور، تلـك التـي زُرتهـا مـع

جودموندور في الأسبوع السابق. أعطتني فكرة ومنحتني الأمل. كنتُ أعرف أن بستان الصمت لم يَعُد بعيدًا جدًّا، كنتُ أعلم أن والِدَيْ جان كانا أملي الوحيد، أهل الخير. وها أنا مستلقٍ على فراشي القديم العزيز مثل الابن الضال.

يفتح جودموندور الباب، تعبيره أبوي صارم... وجهٌ أحمر وشَعرٌ أبيض. من المحتمل أنه مَدينٌ بلون وجهه لأيامه الشيطانية. يمسك كرسيًّا ويجلس بجانب الفراش. قميصه أزرق فاتح الآن، وربطة عنقه وردية.

"انظر. كنَّا نتحدث في الأمر... عنكَ. وهناك احتمالان. رقم واحد: هو أن نبلغ عنك الشرطة، ورقم اثنين: هو أن نعتني بك. لكن هذا صعب للغاية".

يتوقَّف برهة ويتنهَّد ويداعب وجهه الطويل بيده اليمنى.

"إنه أمر خطير بالنسبة لنا".

"آه..." أغمغم من تحت القماش المُبلَّل.

"اتَّصلتُ أيضًا بصديقي بوريور".

"آهه؟".

"ويقول إنه ربما يمكنه مساعدتك أيضًا".

وقفة.

"هل تريد مساعدتنا؟ هل تريد منَّا مساعدتك؟".

"آه" أومئ بأمل.

"لكن لا يمكننا القيام بذلك إلا إذا فعلتَ شيئًا واحدًا".

"آه، آه، هاه؟".

"عليكَ أن تعترف بإيمانك بيسوع المسيح وتنضمَّ إلينا في كنيسة الله الحي".

يومئ تود.

# 20
# علاج تورتشور

## 2006/05/30 - 2006/05/24

إذا كان النوم هو بَثٌّ من السماء، فهناك الكثير من التشويش في الراديو الخاص بي. لا أستطيع النوم. أشياء كثيرة في رأسي الذائب المتألم، الانتحار الفاشل يُشعِر بالحزن على الموت الذي لم يحصل عليه.

لديَّ شاحنات توصيل تأتي إليَّ في كل دقيقة. في لحظة أمارس الحب مع مونيتا في منتصف الطريق، وفي اللحظة التالية تجمَّدَت شفتاها وصدمني مصدُّ سيارات في مؤخِّرة رأسي. في إحدى اللحظات أمُرُّ بالعملية رقم 23، وفي التالية أقوم بتزيين دار الجنازة الخاصة بي في سمولينسك. من الأفضل أن أستأجر مساحة جميلة بمواجهة الشارع، وأغطي النوافذ بأحرف كبيرة على الطراز الأمريكي:

"وكيلك المفضَّل- أفضل صديق للموت" وربما إضافة بعض التوصيات من العملاء الراضين.

"نعـش ممتـاز وأظافـر صلبـة. بفضـل إيجـور سـأرقد بسـلام- فلاديمـير فيـدوروف (1932-2006)".

أقــوم بــدور الموميــاء مســتلقيًا عــلى ظهــري، ســاكن تمامًــا، مثــل فيـدوروف في قـبره. كل حركـة صغـيرة تجلـب الألم. وحـين نـزل جودموندور طلبــت منــه بعــض الأســبرين.

"ربيع؟".

"لا، أسبرين. دواء. مُسكِّنات".

"أوه فَهِمتُ، لا أنا آسف. ليس لدينا. الرب مُسكِّنُنا".

ثم مرة أخرى ابتسامته الغبية. أنا في بلاد الأميش[1].

لم يجـرؤوا عـلى لمـس بنطـالي الچينـز؛ لذلـك ارتديتـه أثنـاء نومـي. لا يـزال هاتفـي الخلـوي في الجيـب الأيمـن، ومـن وقـت لآخـر يمكننـي سـماع اتصــال جــان، تجــذب اهتــزازات الهاتــف جــاره في الجانــب الآخــر مــن الجيـب بقـوة، لكننـي أضعـف مـن أن أتمكَّـن مـن إخراجـه، وحتـى لـو اسـتطعتُ، فلـن أرغـب في الـرَّدِّ. لا أريدهـا أن تـراني الآن.

ربمـا كان الوقـت بعـد الظُّهـر عندمـا وصـل تورتشـور. يدخـل الغرفـة البيضـاء كطبيـبٍ بحقيبـة صغـيرة، وشـعر مُمشَّـط إلى الـوراء، ونظـارات لينـون السـميكة. إنـه ينظـر إليَّ مباشرة في عينـيَّ ويتحـدَّث إليَّ بصـوتٍ آمِـرٍ كصـوت اللـه ذاتـه.

"أنـت أكـبر الخُطـاة. يجـب أن تعـرف أنـك قتلـتَ رسـول كتـاب اللـه المقـدَّس، واهِـبَ الكلمـة الحيَّـة المقَـدَّس. لقـد ارتكبـتَ أبشـعَ الجرائـم. هـل نحـن مُتَّفِقـون عـلى هـذا؟ هـل تعـترف بجريمتـك وخطيئتـك؟".

---

(1) Amish: طائفـة مسـيحية تقليديـة في الولايـات المتحـدة، لهـم أصـول سـويسرية ألمانيـة، ويرفـض أتباعهـا العديـدَ مـن تقنيـات الحيـاة العصريـة باعتبارهـا هرطقـة.

أومئ كمومياء.

"هل يمكنك أن تضع اعترافك المقدَّس على لسانِكَ الشيطاني؟".

"نعـم... نـعم، أعـترف، أنـا مخطـئ" يعلـن رجـل الفيـل بضَعـفٍ مـن خـلال شـفتيه المطَّاطيتـين السَّـميكة.

"وقاتل".

"نعم، قاتل".

"أنـتَ القاتـل الحقيقـي لـلأب فرينـدلي، أخونـا الحبيـب ومُخلِّـص الملايـين واللـه عـلى مـا أقـول شـهيد؟".

"نعم. قتلتُ الأب فريندلي. لم يكن هذا جيِّدًا".

"لم يكـن جَيِّـدًا؟ لا، لم تكـن تسـتحقُّ حتـى أن تكـون في نفـس الغرفـة التـي يعيـش فيهـا. صديقـاي العزيـزان هنـا -جودمونـدور وسـيجريور- يخاطـران بالكثـير لإنقـاذ روحـك الضائعـة، وأنـا كذلـك. نحـن جميعًـا نخاطـر بشـكل كبـير، يجـب أن تعلـم ذلـك. إنهـما يخاطـران بوظيفتيهـما، ويخاطـران بسُـمعتهما ومحطَّتِهـما التلفزيونيـة ومنزلهـما وسـيارتهما وكل شيء".

يقف الزوجان الطيبان خلفه بعيون كبيرة وشفاه فخورة.

"لكـن إنقـاذ روح واحـدة في ملكـوت السـماوات... إنقـاذ روح واحـدة، عـلى الرغـم مـن أنهـا أخطـر روح، كـما هـي حقًّـا... إنقـاذ روح واحـدة يسـتحقُّ كل سـيارة جيـب، وكل بيـت، وكل وظيفـة. مـثل المؤمنـين الحقيقيـين بإيمـان اللـه الحـي، يؤمنـون بأسـمى مراتـب الحـب والتسـامح، باتِّبـاع المثـال الصالـح ليسـوع المسـيح، فهـم عـلى اسـتعداد لتقديـم محبَّتهـما ومغفرتهـما، حتـى في مواجهـة ألَـدِّ أعدائهـم. لذلـك يجـب أن تعلـم أنـك مديـن لهـم بحياتـك لبقيـة أيامـك وبقيـة الوقـت. لأن السـماء تعلـم أن اللطـف المقـدم في وجـه الـشر، والمخاطـرة بحياتـه، هـو عطيـة

تـدوم إلى الأبـد، إلى الأبـد. هديـة لا يمكـن إرجاعهـا والله عـلى مـا أقـول شـهيد. دعونـا نصـلِّي".

يُصلُّـون لي ولروحـي الضَّائعـة. لأسـتعيدها يجـب أن أسـتلقي هنـا لمـدَّة سـبعة أيـام وسـبع ليـال، وخـلال هـذا الوقـت يجـب أن أصـوم. يُسـمح لي بكـوب واحـد مـن المـاء المقـدَّس يوميًّـا. فقـط بالتَّخلُّـص مـن احتياجـات الجسـد تخلُـص الـروح، ويؤكِّـد لي تورتشـور وهـو يخيـط الجـرح عـلى جبهتـي بإبـرة حياكـة وخيـط سـميك. يُذَكِّـرني ذلـك عندمـا قـام والـدي بتخييـط جـرح صغـير في رِجـلي في نهايـة حافلـة مدرسـيَّة قديمـة في أولى ليـالي الحـرب. نفـس التركيـز الصامـت والقـوي عـلى الوجـه العريـض الملتحـي. جودمونـدور يسـاعد سـيكريدر عـلى إبقـاء النزيـف بعيـدًا عـن الكتـان الأبيـض.

"لأنــه فتــح جروحــه وتــرك دم المســيح مُخلِّصِــه الــرَّبِّ ينســاب مــن الســماء عــلى جســده".

يتذمَّـر تورتشـور وهـو يربـط العقـدة عـلى جبهتـي. سـيكون الصيـام عـلى مـا يُـرام إذا لم أشـمَّ رائحـة طبخهـم في الطابـق السـفلي، إنهـا قصَّـة العطـر والانتصـاب مـرَّةً أخـرى. أرشـف القليـل مـن كـوب المـاء الخـاص بي، في محاولـة لجعلـه يـدوم طـوال اليـوم. تورتشـور طاغيـة. لم يتبـقَّ شيء في معـدتي عـلى الإطـلاق باسـتثناء الأسـنان المكسـورة التـي تقضـم ذنبـي.

بفضـل ذلـك، فـإن عـلاج تورتشـور يسـير بشـكل جيـد. لقـد كان لـديَّ الوقـت لإلقـاء نظـرة خاطفـة عـلى كل ثَقـبٍ فتَحتُـه في حيـاة النـاس. في عقـلي تتبَّعـتُ كلَّ رصاصـاتي في حناجـر النـاس، في رؤوس النـاس وفي المسـتقيم. وأشـعر بالأسـف، فقـد أطلقتهـا جميعًـا في الاتجـاه المعاكـس؛ مـمَّا جعلهـا تعـود إلى مصدرهـا، لتفتـح مائـة ثَقـبٍ في رأسي، فيتحـوَّل إلى دُشٍّ تنسـاب منـه كل ذنـوبي المميتـة، وتُصـدِر هَسهسـةً، مختلطـة بالـدم والبـول والقـيء والـبراز.

أسبوع التطهير.

في اليوم السابع، ظهرت جان في منزل والديها. لا يمكنك أن تغفل بعض الجدل الضخم بينها وبين والديها، يتبعه عواء لاذع يبدو بطريقةٍ ما أنه جزءٌ من مكالمة هاتفية. لا بُدَّ وأن هناك أزمة في العلاقات الثنائية. لن تأتي إلى هنا أبدًا بدون سبب، أو ربما أنا السبب.

بعد محادثةٍ طويلة بين الأم وابنتها في الطابق السفلي، سمعتهما يصعدان السُّلَّم.

تفتح سيكريدر الباب إلى غرفتي ببطء شديد، وتسمح للجَمال ذي العيون الحمراء بالداخل. من عادتي أن أشفط معدتي، على الرغم من أنه ليست هناك حاجة ماسَّة لذلك؛ إذ لم تُملأ منذ أسبوع على ما أعتقد، بالإضافة إلى أن ملاءة سرير سميكة جدًّا.

تنزلق جانهولدر إلى سريري، وتبدو متفاجئة بعض الشيء من تنكُّري كمومياء. يملأ وجهها عيني، عيني الجائعة حتى الموت، التي لم ترَ أيَّ شيء لذيذ منذ أسبوع الآن. أنا حقًّا أرغب في التهامها، ظلَّت والدتها عند الباب بوجهٍ صارمٍ تخبرني أنها ليست لطيفة معي: هذه ليست ساعة زيارة. يبدو أنها تستخدمني لإصلاح الرابطة المكسورة بينها وبين جان، فالسَّماح للفتاة أن تكشف عن سِرِّها الكبير قد يساعدها في استعادة احترامها المفقود لوالديها. حقيقة أنها تُمَرِّض سرًّا قاتِلَ شُرطيٍّ مكسور الأنف مطلوبًا في بلدان مختلفة حول العالم يمكن أن تجعلها أكثر إثارة، وهذا جيِّدٌ بالنسبة لي. يمكنني أن أكون مُخلِّصَهم. رائع. يبدو أن العلاج يجري بشكل جيد جدًّا.

يرنُّ هاتف المنزل في الطابق السفلي، فتختفي سيكريدر لفترة، لقد تُرِكنا وحدنا، أنا وجان التي تبكي.

همسَت بصوتٍ واهن: "مرحبا". إنها النغمة التي يستخدمها الناس عند دخولهم منازلهم المهجورة بعد الإعصار.

"مرحبًا".

"كنتُ أتَّصل بك".

"أنا أعرف".

استعدتُ قدرتي على التحدُّث إلى حدٍّ ما.

"كيف حالك؟" تسأل.

"أشعر بالجوع".

تضحك.

"لماذا تركتَ منزلنا؟ ماذا حدث؟".

"لقد... تلقَّيتُ بعض الأخبار السيئة".

"ما الأخبار؟".

"لقد قتلوا حبيبتي".

"حبيبتك؟ مَن؟".

"المافيا. إمَّا نحن أو الطَّليان".

"لا، أعني... لديك حبيبة؟".

"كان لديَّ. لقد قتلوها".

"حسنًا. نعم... بالتوفيق".

"بالتوفيق؟".

"نعم، كان لديك حبيبة، لم أكن أعرف ذلك".

"ولا أنا".

"ماذا تقصد؟".

"كنَّا فقط، كما تعلمين، نتواعَد".

"لمدة؟".

"سنة ونصف".

"هـذه مـدة تؤهِّـل لـزواجٍ في هـذا البلـد. حتـى متـى تُعتَـبر المواعـدة طويلـة في أمريـكا؟".

"إلى الأبـد، عـلى مـا أعتقـد، لكنهـا تصبـح أكـثر جدِّيَّـةً بعـض الـشيء في سِـنِّ الخامسـة والثلاثـين، عندمـا تحصلـين عـلى حقـوق المـيراث".

تضحك قليلًا.

"ماذا كان اسمها؟".

"حبيبتي؟ مونيتا".

"مونيتا؟ كيف كانت تبدو؟".

"كانت... ممتلئة".

هذه هي السِّنُّ في بطني تتحدث.

"ممتلئة؟".

"نعم. كانت... كانت مثل... طبقٍ رئيسي".

تنظـر شـقراء الزبـدة إليَّ كـما لـو أن مشـاكلي ليسـت جسـديَّةً فقـط. أقـول لأسـناني أن تصمـت.

تقـول: "حسـنًا"، وهـي تُرطِّـب شـفتيها الشربـات بلسـانها المصنـوع مـن الفراولة.

"لكـنَّ شـخصًا مــا أكَلَهــا، أكلــوا جســدها، لكنهــم تركــوا رأســها في الثلاجــة، تركــوه لي".

صمت قصير هنا، ثم تسأل مثل الطبيب الذي يختبر سلامَةَ عَقلِ مريضه:

"وأنتَ أحببتَها؟".

"لا، ليس حينها. لكني أحبها الآن، على ما أعتقد".

الموت دواء الحب. لم أكن أعرف أنني أحببتُ والدي إلّا بعد وفاته.

صمتت جان لبعض الوقت حتى مالت ووضَعَت شفتيها نصف المطهوَّة على شفتي؛ ممَّا يخلق واحدة من أغرب المشاعر في حياتي. في وقت قياسي، أحتاج إلى ترتيب بعض مفاوضات المائدة المستديرة بين القضيب والمعدة. الأوغاد الجياع، يدَّعي كلاهما الحَقَّ في القبلة.

قبل أن ينتهي الأمر المذهل، تمكَّنتُ من إجبارهما على الاتفاق، واقفًا بينهما مثل بيل كلينتون في حديقة مُشمِسة في البيت الأبيض، يترأَّس المصافحة الشهيرة لرابين وعرفات. تُرى أيُّهم يلعب دور القضيب؟

تعيد وضع الضمادة على أنفي.

"لدى والديَّ خُطَّة كبيرة من أجلك، إنهما متحمِّسان للغاية. يبدو الأمر كما لو أنك تُمثِّل تحديًا في حياتهم".

"موافق. من الأفضل ألَّا أخذلهم".

"لا. على الأقل لا تقتلهم".

تعجبني هذه الفتاة.

"ماذا عنك أنت وتراستر؟".

"تَشاجَرنا. لقد كان أسبوعًا جنونيًّا".

"حسنًا".

"سأنام هنا الليلة، في غرفتي القديمة، لأول مرة منذ سِتٍّ سنوات أو شيء من هذا القبيل. بوريور قادم غدًا".

"أوه؟ وقت التعذيب[1]؟".

تضحك.

"نعم، سيأخذك إلى كنيسته".

"أوه؟".

"نعـم، يقـول والـدي: عليـك أن تمـرَّ عـبر بوَّابـات الجحيـم أو شيء مـن هـذا القبيـل".

يا للخراء المقدَّس.

(1) يستخدم الكاتب هنا اسم Torture، والذي يعني أيضًا "تعذيب".

# 21
# أبواب جَهنَّم

## 2006/05/31

إنه علاج تورتشور: الخطوة الثانية.

أقف على الأرض المغطَّاة بالسجاد في كنيسة الرجل الملتحي، مع ضمادة كبيرة على جبهتي وسِنٍّ مفقودة. لكن التَّورُّم زال، وكاحلي أصبح يحتمل، وكتفي الأيمن يصرخ قليلًا وحسب. لا بُدَّ أنني خسرتُ عشرين رَطلًا. إن الصوم بالنسبة للمعدة الخجولة علاج نفسي.

جعلوني أرقد في صندوق السيارة أثناء قيادتهم إلى هناك. هؤلاء الرجال لهم احترامي الكامل. أنا لا أفهم حقًّا، لماذا يبذلون كل هذا الجهد من أجل قاتل صديقهم. لماذا لا يرسلونني مباشرة إلى الجحيم؟ أو ربما هذا هو؟

"أبواب جهنم".

الكنيسة فارغة. ذهب السيد ت إلى مكتبه، وعاد في رداء أبيض مضحك، بالإضافة إلى أنه حافي القدمين. يرتدي حول خصره حزامًا أسود، وإذ يقترب أستطيع أن أرى أن هذا في الواقع زي كاراتيه- كاريوكي. شيء ياباني على الأقل. إنه يعطي الإيحاء بأنه جانج هو[1] النسخة المِثليّة، مقاتل حافي القدمين يرتدي رداء نسائيًا.

يخبرني تورتشور أن أتبعه في الرَّدهة. يوجد على يمين المدخل باب أحمر غامق، ندخل غرفة مُربَّعة تبلغ مساحتها حوالي خمس عشرة قدمًا مُربَّعًا. على الأقل السقف مرتفع والجدران بيضاء مع نوافذ صغيرة في الأعلى. يوجد عمود مُربَّع أبيض صلب في منتصف الغرفة، الأرضية مُغطَّاة بمراتب بأغطية بلاستيكية حمراء داكنة، تفوح من الهواء رائحة العَرَق القديم.

"اخلع حذاءك وقميصك وسروالك" قال بينما كان يغلق الباب ويضيء الأنوار.

أنا هنا من أجل اغتصاب رجوليٍّ، على الطريقة اليابانية.

"كما سَمِعتَ، العالَمُ منقسم إلى قسمين: الجنة والنار. يفصل بينهما سور النار العظيم، إنه يمتدُّ بطول الطريق من عدن حتى يومنا هذا، من أعماق أحلك مناجم الفحم إلى أطراف أصابع الكون. لا يمكن لأي طائر أن يطير فوقه. لا يمكن للأسماك السباحة تحته، لا يمكن لأحد أن يمرَّ من خلاله!" فجأة صرخ قبل أن يهمس: "لكن هناك بوَّابة!".

يمشي في دائرة كبيرة حول العمود، يتنفَّس بصعوبة، ويبدو الأمر إلى حدٍّ كبير وكأنه مجنون في فيلم. أخلع معظم ملابسي وأضعها في زاوية. حتى إنني أستطيع أن أشمَّ رائحة الملابس الداخلية التي

---

(1) G.I. Joe: شخصية خيالية من سلسلة الرسوم المتحركة جي. آي. جو: لعبة بطل أمريكي حقيقي.

كنت أرتديها منذ أيام، ألبسة ماركة جو بيضاء وسوداء من مجموعة السيد ماك الرائعة. يواصل تورتشور حديثه:

"الآن، أنت تعرف البوَّابة الذهبية، أليس كذلك؟ يعتقد الناس أنه يمكنهم دخول البوابة الذهبية. حتى أعتى الخُطاة يظنُّ أن بوسعه دخول البَوَّابة الذهبية، الأمر ليس كذلك" كما يقول، وهو يلوِّح بسبابته في الهواء. إنه يمشي بسرعة كبيرة الآن، يدور حول الغرفة وحولي "ليس كذلك. يعتقد الناس أنهم يذهبون إلى الجنة أو الجحيم عندما يموتون.. ليس صحيحًا، هم هناك بالفعل! أنت هناك بالفعل. إمَّا أن تكون في الجنة أو في الجحيم، لا يوجد موقِعٌ وَسَطٌ، لا مواربة في الأمر، لا حلول وسط! وأنت يا صديقي أنت في الجحيم! والآن بعد أن أردتَ الذهاب إلى الجنة، عليكَ أوَّلًا مغادرة الجحيم لتتمكَّن من دخول البَوَّابة الذهبية، عليك أوَّلًا الخروج من أبواب الجحيم!".

فجأة أصبح أبويًا:

"أخبِرْني، توميسلاف... يا صديقي العزيز توميسلاف... أخبِرني لماذا كل المداخل الفاخرة، مثل تلك التي تراها في البنوك والكنائس، مثل تلك الموجودة هنا على سبيل المثال... لماذا لديهم جميعًا بابان؟ لماذا تمَّ بناؤها جميعًا بأبواب مزدوجة؟".

"لا أعرف. حتى لا يسهل... الهروب؟".

"حتى لا يختلط الهواء في الخارج مع الهواء في الداخل. الأول يُغلَق قبل أن يفتح الثاني. إنه نظام مثالي. وينطبق نفس المبدأ على البوَّابَتَيْن: الذهبية والمشتعلة. لن ترغب في دخول هواء الجحيم الذي يحرق الأنف إلى داخل جنَّتنا المكيَّفة؛ لذا عليك الآن أن تمرَّ عبر أبواب الجحيم!" يصرخ مثل جنرال صربي منتشيًا بالبارود قبل أن يقفز نحوي فجأة على طريقة جاكي شان، ويصيح ببعض هراء الكاراتيه، ويركلني

بقـوة في وجهـي بقدمـه اليمنـى. تنفجـر شـفتاي وكأنـه اصطـدام ببالـون مـليء بالدمـاء.

ما هذا بحقِّ اللعنة!

ثـم جـاء إليَّ مـن الخلـف، وضربنـي في مؤخـرة رأسي بيـده القويـة. أسـقط عـلى الأرض، أرى بقـع الـدم عـلى المراتـب. أنـا نصـف خـارج هـذا العـالم وداخـل تلـك البوابـات اللعينـة، عندمـا أمسـكني مُفجِّـر الكتـاب المُقـدَّس مـن أذنـاي وبـدأ يسـكب حمضـه المبـارك فيهـما:

"أنـتَ أيُّهـا الوغـد البلقـاني يـا ابـن العاهـرة! أنـتَ لا تسـتحقُّ شـيئًا بحـق اللعنـة! أنـت قاتِـلٌ قَـذِرٌ وطـينٌ موحِـلٌ! أنـت حُثالـة الأرض القـذرة! أنـت شـيطانُ كلِّ الشـياطين! أنـت وغـدُ الكـون!".

يرفعنـي مـن أذني، ثـم يضربنـي برأسـه مـرَّة أخـرى بجبهتـه التوراتيـة؛ لذلـك أنـا عـلى وشـك أن يُقـضى عـليَّ، أزحـف في دمـي، فيركلنـي في فخـذي. ركلنـي مـرَّةً أخـرى ثـم ألقـى بجسـده الثقيـل فوقـي، مثـل مصـارع يرتـدي لباسًـا بحـمَّالات رفيعـة في ماديسـون سـكوير جـاردن. يضـع ذراعـه اليمنـى حـول حلقـي ويلـوي رأسي بيـده اليـسرى. اللعنـة. أنـا أتعـرَّض للـضرب مـن قِبَـل كاهـن.

لا يمكنني السماح بحدوث ذلك.

يرتفـع الجنـدي العجـوز الطيـب مـن جيـش هرفاتسـكا[1] في أعماقـي، مثـل تيتـو مـن قـبره، ويمـضي مبـاشرة إلى العمـل. في لحظـة ذهـب ضَعفـي العقـليُّ والجسـدي. في ومضـةٍ اسـتولت عـلى جسـدي الـذي يتضـوَّر جوعًـا قُـوَّةُ خنزيـرٍ بَـرِّيٍّ جائـع. أعـضُّ يـده حتـى العَظْـم، وأطـرح اللعـين عـن ظهـري بحركـة دائريـة سريعـة مـن عمـودي الفقـري. هبـط عـلى الأرض متألمًـا بشـدَّة، وهبطـتُ فوقـه.

(1) كرواتيا.

أضع يديَّ حول رقبته وأترك القبضة تشدُّ مثل حبل المشنقة. أنا على وشك إسكاته نهائيًّا عندما ظهر الرفيق تيتو أمامي فجأة. إنه يرتدي زي الجنرال القديم المُحبَّب، ويمسك برأس مونيتا. أغمض عينيَّ وأهزُّ رأسي. أعَدتُ فتحهما فلم يبرَحَا مكانيهما: رئيس وقائد. القائد والرئيس. أُحكِم قبضتي على رقبة تورتشور، وتُصبِح الصورة أكثر وضوحًا. أرخي قليلًا فتختفي الصُّورة.

أُحكِم قبضتي مرَّةً أخرى فتظهر الصورة مُجدَّدًا. إنها مثل تلك الألعاب البلاستيكية التي تُصدِر صريرًا عند الضغط عليها. ماذا يُفترض أن يعني؟ رأس حياتي مع رأس حبِّي.

يشعر تورتشور بارتباكي ويعود إلى الحياة، ويبدأ في سحب يدي بعيدًا عن رقبته. عندما تَمكَّن من فك يدي اليسرى، تشتبك بنظارته فتطير من وجهه. نسيتُ على الفور تيتو وعُدتُ للعمل على ضحيتي المقدَّسة، أستعيد قبضتي على حلقه، حتى تمكَّنتُ بقوة غاشمة من تحويل رأسه من الأحمر إلى الأرجواني، ومن البنفسجي إلى الشاحب، ومن الشاحب إلى الأبيض. أنا لا أنظر لأعلى، ولا أجرؤ على النظر، لكنَّ شخصًا ما يواصل التَّنصُّت عليَّ: فجأة يصبح وجه تورتشور وجهَ أبي. يشبهه تمامًا بدون النظارات. فجأة أمسك بأبي من رقبته.

اللعنة.

أتركه على الفور، وأقفز على قدمي، وأهرع إلى الزاوية، ابتعدتُ عن الرَّجُل لألتقط أنفاسي، والدم ينزف من مخاطي أثناء تنفُّسي بصوتٍ عالٍ.

ما هذا بحق اللعنة.

سبعة أيام من إنقاذ الأرواح لم تُثمر عن شيء. انتهى أسبوع الصيام بقتل خنزيرٍ بَرِّيٍّ، مات المولود من جديدٍ مرَّةً أخرى. كوني قاتِلَ

كاهِنَيْن لا يبـدو مُشـجِّعًا في طلبـي للحصـول عـلى الجنـة، ولكـن كـوني قاتِـلَ ثلاثـة سـيقضي عـلى فـرصي بالتأكيـد.

أمضيـتُ بضـع لحظـات أخـرى في الجحيـم قبل أن أشـعر ببعـض الحركة عـلى المراتـب البلاسـتيكية المغطَّـاة خلفـي. يرتفـع الحيوان المقـدَّس ببطء.

"توميسلاڤ بوكشيتش" الصوت متقطِّع ولكنه دراميٌّ للغاية.

"توميسـلاڤ بوكشـيتش... جنـدي البلقـان" يبـدو أنـه اسـتحفظ دروسـه جيـدًا. "لا يمكننـي التَّغلُّـب عليـكَ في لعبتـك الخاصـة؛ لذلـك مـن الأفضـل أن نجرِّبهـا".

يمسـك بكتفــي ويديـرني. عــادت النظــارات إلى وجهــه وظهــرت في خدَّيـه بعـض الألـوان، لكـنَّ ثوبـه المُلطَّـخ بالدمـاء في حالـة اضطـراب كبـير. يتنفَّــس قليـلًا فأرحِّــب بهـذه الحقيقـة.

قـال لي وصفعنـي عـلى وجهـي: "أنـت ابـن عاهـرة كـرواتي... أيُّهـا الابـن الصغـير لعاهــرة كرواتيــة مجنونــة!" يمســك كتفــي. "مَـن تظـنُّ حالــك؟ هـاه؟ هـل تعتقـد أنـك شيء أكـثر مـن مجـرَّد قملـة صغـيرة رديئـة تزحـف عــلى أرضيــة المطبـخ في ملكـوت اللــه، مـع لهــبٍ جهنمــي صغـير عــلى ظهـره؟ يـا لـكَ مـن أحمـق!".

يدفعنـي ولا أتفاعـل. لقـد دفعنـي إلى الـوراء في جميـع أنحـاء الغرفـة، ويــداه عــلى كتفــي، وقدمــاه تترنَّحــان مــن الإرهــاق. إنــه يســتخدمني كعــكَّازات يُعلِّـق عليهـا بنطالـه الداخـلي. يتكلَّـم مثـل سِـكِّير: "أيهـا الأحمق اللعـين، أنـت ابـن مجنـون أحمـق صربي كـرواتي".

"كرواتي".

"اصمِتْ بحق اللعنة!".

يتوقَّـف. نقـف مكتـوفي الأيـدي في مواجهـة بعضنـا البعـض، ثـم يسـأل بطريقـة أكـثر هـدوءًا: "كـم عـدد الأشـخاص الذيـن قتلتَهـم؟".

"إيه.. كم؟ مائة وعشرون أو شيء كهذا".

"مائة وعشرون أو شيء كهذا؟".

"نعم. لستُ متأكِّدًا تمامًا".

"مـاذا تقصـد؟ ألا تحسـبهم؟ أنـت لا تحسـبهم مثـل مـا لديـك مـن نسـاء؟ كـم عـدد نسـائك؟".

"لا أعرف، هل أحسب المومسات؟".

"أحسب المومسات؟ ليس لديَّ اليوم بطوله".

"إذن، لستُ متأكدًا، ستون... سبعون ربَّما...".

"سـتون... سـبعون؟ لقـد قتلـتَ مـن النـاس أكـثر مِمَّـن كُنـتَ تنـام معهـنَّ؟ أنـت أسـوأ مـمَّا كنـتُ أعتقـد".

"لكنني لم أقتل عاهِرةً قَطُّ".

"ماذا؟".

"أعني... امرأة. لم أقتل امرأةً قَطُّ".

"لم تقتل امرأة قطُّ؟".

"لا... حسـنًا، نعـم، كان بعـض الأشـخاص في الحـرب مـن النسـاء، لكـن لم تكـن هـذه مشـكلة".

"ليست مشكلة؟".

"لقـد أُمِرنـا بإطـلاق النـار. كان مثـل إطـلاق النـار عـلى الغـزلان، أَطلِـق النـار أو يُطلَـقُ عليـك، كان هـذا خيارنـا الوحيـد".

وقفـة. يلقـي نظـرة طويلـة عـليَّ ثـم يقـول بصـوت عـالٍ: "هـل تعـرف مـاذا فعلـتَ؟".

"نعم أعرف".

"هل تندم علي هذا؟".

"نعم".

"لقد قَتلتَ الناس".

"نعم"ز

"لقد حَملتَ بين يديك قوَّةَ الله".

"أنت تعني...؟".

"وهذه خطيئة. خطيئة كلِّ الذنوب".

"تقصد... الله... يقتل الناس أو...؟".

"إنه يخلق ويقتل، ويملك ويحكم! يجب أن تطيع ولا تخون! بماذا شعرتَ؟".

"شعرتُ بماذا؟".

"ما شعورك عندما تقتل شخصًا ما؟".

"إنه... يبدو وكأنه...".

"نعم؟".

"إنه شعورٌ... كرازة".

"ماذا؟".

"بلى. يجعلك تشعر بالقوة، أنت المقتَدِر".

"هراء. تعتقد أنك تمسك بزمام الأمور، بينما يتمُّ التَّحكُّم بكَ من قبل... مَن كان الأول؟".

"ماذا؟".

"مَن كان أوَّلَ ضحاياك؟".

"عمليتي الأولى؟".

"نعم. ما هي أول عملية لك؟"

ينطلق ذهني إلى أسفل قائمتي بسرعة صاروخٍ حامِلٍ للطائرات يغادر الخليج الفارسي، عبر الأرضيات الخرسانية والبوَّابات الحديدية الصَّدِئة، وصولًا إلى الطابق السُّفلي حيث تنبعث رائحة الظلام والرائحة القاتمة، فُتِحَ نَعشٌ قديم مُتعفِّن يرقد في رُكنٍ رَطبٍ ومغبر.

أقول: "والدي".

"أبوك؟".

"نعم".

"قتلتَ والِدَك؟".

"نعم".

قتلتُ والدي. ربما كان يجب أن أذكر هذا من قبل.

"قتلتَ والدك؟".

"نعم".

"قتلتَ والدك؟".

"نعم. لكن لا أحد يعرف".

"لا أحد يعرف؟".

"لا. لم أخبر أحدًا، لم يَرَه أحدٌ".

"لم يَرَه أحد؟ الله يرى كل شيء! القتل هو القتل، بغَضِّ النظر مَن كان. والأب، الأب هو الأب دائمًا. كيف يُمكِنُكَ أن تفعل ذلك؟ كيف بحق الجحيم اللعين استطعتَ أن تقتل والِدَك؟".

"أنا... كان...".

"نعم؟ كان ماذا؟ دَمُك الساخن مُبرَّدٌ بالثلج من ثلَّاجة الشيطان؟".

"لقد كان حادثًا".

لم أتحـدَّث عـن هـذا مـن قبـل، ومجـرد التفكـير في الأمـر -خاصَّـةً في وجـود هـذا الرجـل- كان يكفـي لأن أجثـو عـلى ركبتـي. أركـع أمامـه مثـل فـارسٍ شـبه عـارٍ أمـام مَلِكَتِـه ذات الـرداء الأبيـض التـي تدعـه يتحسَّـس سـيفها.

"حادث؟ لكنَّكَ قَتلتَه؟".

"نعم ولكن...".

"ولكن ماذا؟".

"لقد كان خطأه".

"خطأه؟".

"نعم لأن...".

أنـا في نهايـة بطاريتـي، مثـل جرعـة مـن السُّـمِّ تَـمَّ توقيتهـا عـلى العمل بعـد خمسـة عـشر عامًـا مـن اسـتهلاكها، اسـتولى سِرِّي الكبـير فجـأة عـلى جسـدي وأسـقطني.

أستلقي عند أقدام تورتشور.

"ماذا؟ بسبب ماذا؟".

"لأن...".

لقـد أُصِبـتُ بنوبـة سـعال، ممزوجـة بـصراخ لم أكـن أعـرف أننـي أحملـه بداخـلي، لا بُـدَّ وأننـي أبـدو مثـل فَقمَـةٍ رَضيـعٍ تُـضرب بمـضرب بيسـبول. يسـتمع إليَّ برهـة ثـم ينهـي المشـهد:

"لقد قتلتَ والِدك. حفظ الله روحك".

أستطيع أن أشعر أنه يضع قدمه العارية على ظهري المرتعش، مثل جنرال منتصر على عدوِّه الذي سقط. يبدو بطريقة ما أن هذه اللفتة تهدِّئ صراخي قليلًا. لكن بدلًا من ذلك، لديَّ شعور قوي للغاية بالجوع، جوع بحاجة إلى بوفيه مفتوح. أريد أن أركض في الكنيسة، حتى المذبح، وأبدأ في قضم الصليب الخشبي الكبير مثل حصانٍ يائس.

أشعر بريحٍ خفيفة ولطيفة من صُنع الإنسان في أذني اليسرى. إمَّا جاءت من خلفيَّة تورتشور، أو أنه نسيمٌ ناتِجٌ عن رسمه لإشارة الصليب على جسدي التَّعِس.

يُردِّد "حفظ الله روحك... إن استطاع".

وليعطني شيئًا لآكُلَه، إن استطاع.

# 22
# أرض الأب

## 2006/05/31

وهكـذا أخـرُج مـن بوَّابـات الجحيـم، حامِـلًا جُثَّـة أبي العزيـز النحيفـة، قارعًـا جـرس البـاب الذهبـي الضخـم. يسـمح لي اللـه بالانتظـار قليـلًا. أعتقـد أن طلبـي يجـب أن تتـمَّ الموافقـة عليـه مـن قِبَـل لجنـة الحـالات الصعبـة قبـل أن يصلـه.

في هـذه الأثنـاء، أخـذني تورتشـور إلى منزلـه، وهـو منـزل أبيـض ضخـم عـلى تَلَّـةٍ قريبـة مـن كنيسـته، ووضَعَنـي في مـكانٍ خـالٍ مـن النوافـذ في قبـو منزلـه، لا يـزوره إلَّا هـو وزوجتـه. يقـولان لي إن لديهـما ثلاثـة أطفـال، لا أراهـم ولا أسـمعهم.

يبـدو أنهـم يقضـون أيامهـم في صمـتٍ في قـراءة الكتـاب المقـدس، مثلي تمامًـا. يختـار الواعـظ كلَّ صبـاحٍ ثلاثـةَ فصـول مـن المفـترض أن أقرأهـا في

ذلـك اليـوم. "أم تسـتهين بغِنَـى لُطفِـه وإمهالـه وطـول أَنَاتِـه، غـير عالِـمٍ أن لُطـفَ اللـه إنَّمـا يقتـادُكَ إلى التَّوبـة؟".

إنه علاج تورتشور: الخطوة الثالثة.

سلاح تورتشور السِّرِّيُّ زوجته هانا. إنها كلاسيكيَّة تمامًا.

تبـدو مثلـه: امـرأة متينـة البنيـان ذات بـشرة ناعمـة، وتجاعيـد جلديـة خفيفـة، ومظهـر مُتحفِّـظ، وصـوت لطيـف. تتحـرَّك بصمـت حـول المنـزل، مرتديـة قمصانًـا عديمـة اللـون وتنانـير طويلـة، وشَـعرها أشـيب طويـل مثـل ذيـل الحصـان دون لمسـة مكيـاج واحـدة.

إذا كان هنـاك برنامـج تلفزيـوني يُسـمَّى ملكـة جمال أُمِّنـا الأرض، فحتمًا سيزورها بطاقـم تصويـر أمريـكي كامـل بالأضـواء والعدسـات. يشـعر المـرء أن شـعرها ينمـو قَدَمًـا كل يـوم، وأنهـا تقصُّـه كل ليلـة قبـل الذهـاب إلى الفـراش، وأنهـا تحلـب ثدييهـا كل صبـاح، وتضـع مـا تحتاجـه الأسرة في الثلاجـة، ولكنهـا تتبـرَّع بالباقـي لصنـدوق الحليـب التابـع لــ ن.م.ص.ك (النسـاء المهنيـات ذوات الصناديـق الكربونيـة).

تتحـدَّث الإنجليزيـة بلهجـة أثقـل قليـلًا مـن الأيسـلنديَّة، كـما لـو كانـت تنتمـي إلى أُمَّـةِ الينابيـع السـاخنة. إنهـا تشـبه الجبـل خلـف الرجـل أكـثر مـن كونهـا "المـرأة خلـف الرجـل". إنهـا بلـد الرعايـة المسـيحية الـذي يُمثِّلـه زوجهـا، سـفير الانتقـام بطريقتـه الخرقـاء.

عيـب هانـا الكبـير هـو رائحـة فمهـا الكريهـة بشـكل لا يُصـدَّق، والتـي لا تتـماشى مـع ردود أفعالهـا الحَسَـنة بشـكل لا يُصـدَّق. ربمـا ينبـع ذلـك مـن مقـدار الإحبـاط الدينـي الـذي كان عليهـا أن تبتلعـه عـلى مَـرِّ السـنين. لا يمكـن أن يكـون الـزواج مـن تورتشـور أمـرًا سـهلًا.

ومـع ذلـك، إذا كانـت المـرأة الوحيـدة في فصيلتنـا وكُنَّـا عالِقَـيْن في الجبـال لمـدة شـهر، كنـتُ سـأبدأ بالحلـم بهـا في اليـوم السـابع.

الإفطار هو شريحة من الخبز المصنوع منزليًّا، أُقبِّلها قبل الأكل، وكوب من الحليب الذي ما زِلتُ آمل أنه منزليٌّ أيضًا.

الغداء هو نفسه تمامًا، لكن العشاء دائمًا لحم، خروف أو عِجْل أو مُهْر. أنا واثق أن بعض هذه الحيوانات ذَبَحها تورتشور في مرآب منزله. لقد عُدتُ إلى العهد القديم. في رعاية سارة زوجة إبراهيم. غرفتي بلا نوافذ، وسريري خَشِن، وكتابي هو الكتاب المقدَّس، وأيامي بسيطة، والليالي تزداد هدوءًا.

يبدو أن العلاج يعمل.

لقد تخلَّصتُ من مئات الزيارات، وتبقَّت واحدة فقط. كل يوم، يأتي ملاكي الحارس الذي يرتدي نظَّارةً، إلى الطابق السفلي، ويستمع لمدة نصف ساعة. شهوته للعنف منبعها ديني، لكنَّ عينيه المجنونتين هدأتا قليلًا. أو ربَّما اعتدتُ عليهما. أخبرني عن أساليبه المبتكرة.

"لديَّ الحزام الأسود في كلٍّ من الجودو والكاراتيه. هذا هو المكان الذي أتيتُ منه. لم أقابل الله حتى التقيت بزوجتي عندما كنتُ في الخامسة والثلاثين. دائمًا أعتبر أنني تزوَّجتُ من الإله يقول الرَّجُل الملتحي بضحكة لطيفة. أعتقد أنني بدأت أفهم حديثه عن ختان القلب. ربما يكون الأمر حاسمًا عندما تكون مُتزوِّجًا من الإله يضحك أكثر قليلًا ويضيف: "كنت محظوظًا".

بطريقة ما تبدو ضحكته مصطَنَعة قليلًا. كما لو أنه تعلَّمها في مدرسة الوعظ؛ لإضفاء الإثارة على خطاباته بضحكات مكتومة قصيرة من حين لآخر. "لا. أنا فقط أضع معرفتي وخبرتي في خدمة الرب. لدينا قول مأثور في الأيسلندية مفاده أنه عليك محاربة الشَّرِّ بالشَّرِّ".

وإذ أمُرُّ على كارثة حياتي بهدوء وحذر، أحاول دفنها ببطء. أحاول دفن والدي بشكلٍ لائق. يبدو الأمر كما أخبرني ذاك الفنَّانُ ذات

مـرة في مطعـمٍ قَـذِرٍ صغـير في الجانـب الشرقـي: لقـد ظـلَّ يرسـم صـورة الشـخص الـذي لم يرغـب في رؤيتـه مجـدَّدًا.

"الأمـر كإخـراج القمامـة يـا رجـل" قـال إنـه كان يمـرُّ بطـلاق صعـب، ولم يرسـم سـوى زوجتـه السـابقة. لوحـات عاريـة كبـيرة وفظيعـة. لمـدة خمسـة عـشر عامًـا حمَلـتُ هـذا الـشيء بداخـلي.

منـذ خمسـة عـشر عامًـا، كان والـدي المتـوفَّى هـو الطفـل الـذي لم يولـد بعـدُ، كنـت أحملـه في رحمـي. أعتقـد أن هـذا هـو السـبب في أننـي كنـتُ دائمًـا بدينًـا. لكـن بـولادتي الأخـيرة يمكننـي التوقُّـف عـن العيـش مثـل النعامـة المحشـوَّة بالعـار. كانـت الـولادة مؤلمـة للغايـة، لكـن قابِلَتـي كانـت رائعـة: كاهـن أيسـلندي يرتـدي زي الكاراتيـه.

يشبه المولود الجديد هذا:

كان ذلـك في نهايـة الأسـبوع الأول لي بالـزي الرسـمي. لقـد تطوَّعنـا للهجـوم الكبـير في الـشرق، أنـا وأبي وداريـو، بعـد فـترة وجيـزة مـن سـقوط ڤوكوڤـار. كانـت مَهمَّتنـا هـي عبـور نهـر الڤـوكا، لكنهـم لم يرغبـوا في خروج أُسرَةٍ كامِلَـةٍ في الخطـوط الأماميـة؛ فأخـبروني أن أبقـى. "وافِنـا بالأخبـار وأطلِـق النّـارَ عـلى كل وغـدٍ تـراه".

أمضيـتُ الليلـة البـاردة مـع بندقيتـي التـي لم أسـتخدمها، وأسـنان تـصرُّ، أعتنـي بثـلاث خِيـامٍ وسـيارة چيـب. كنـت أسـمع مـن بعيـد أصـوات البنـادق تتجـادل مثـل الحـشرات الغاضبـة. شـعلة غـير مقصـودة مـن شـأنها أن تـضيء الغابـة المقفـرة. كان أبي وأخـي في الخـارج يؤدِّيـان واجباتهـما الوطنيـة في طـين الغابـة البـاردة. حاولـت جاهـدًا أن أميِّـز بـين ضوضـاء بنادقنـا وبنـادق الـصرب، عـلى أمـل أن تُسـكِت الأولى الأخـيرة. لكـن بالطبـع كنَّـا جميعًـا نسـتخدم نفـس الأسـلحة اللعينـة. في مـكانٍ مـا ليـس بعيـدًا، كان ثمَّـة أحمـق سـمين ينـام عـلى مرتبـةٍ مُريحـةٍ مصنوعـة مـن أربـاح الحـرب.

أخيرًا بدأ الثلج يتساقط. رقائق سميكة وثقيلة، كما لو كانت مليئةً بالتراب بالفعل. أمسكتُ إحداها بطرف لساني وكان مذاقها طينًا.

مع اقتراب الفجر، سمعتُ صوتًا أعقبه حفيفٌ بين الشجيرات. لقد تفاعَلتُ على الفور، وأطلَقتُ أوَّل تسديدة "رجوليَّة". فوجئت بردِّ فِعلي السَّريع والحازم، لكنه قوبِلَ بالصَّمت، بدا أن تسديدتي أصابت. ومع ذلك، أمسَكتُ على الزناد لمدة نصف ساعة؛ لدواعي السلامة، أشاهد رقاقات الثلج تتساقط على البندقية وعلى يدي، فتشكِّل ثلجًا صغيرًا على البرميل، لكنها تذوب على بشرتي. ثم ظنَنتُ أنني سمعتُ هذا الصوت مرة أخرى، بعض الهمهمة المنخفضة في الأدغال. أطلقتُ رصاصةً أخرى. لم يردُّوا، لكن الهمهمة الخافتة لم تتوقَّف. بقيتُ ساكنًا لمدة نصف ساعة أخرى، أطلقتُ النَّارَ مَرَّتين أخريين، لكن الصوت ظل يتسلَّل؛ لذلك زحفتُ مثل ثعبانٍ مُتخفٍّ إلى الأدغال.

أخيرًا، استطعت أن أجد جُثَّةً مدفونة في الأغصان العارية، يُكلِّم نفسه. يبدو أنه كان يرتدي زيَّنا الرسمي. صرختُ مُحذِّرًا قبل أن أهرع عبر الشجيرات، البندقية أولًا.

وجدت والدي مستلقيًا هناك بقلبٍ دامٍ. كان الجزء السفلي من جسده مُغطًّى بالثلج، وكأنَّ ساقيه ميِّتتان بالفعل. وجهه شاحب وعيناه بحجم البيض الذي انكسر فور رؤيتي. تمكَّن من الهمس بالنصف الأول من اسمي، ثم رحل.

أطلَقتُ النار على والدي وتركته يرقد مثل غزالٍ جريح في الأدغال لمدة ساعة، وهو يثرثر بحياته بعيدًا. عندما استمعت إليه أخيرًا، لم يتبقَّ منه سوى نصف كلمة "تُود..." الشيء الذي أصبحتُ عليه.

لقد كانت بمثابة لعنة.

فجَّرتُ عن طريق الخطأ النِّصفَ الثاني من اسمي. والنصف الأفضل من حياتي.

وقفتُ هناك لبضع دقائق، أحدِّق في وجهٍ يُشبِه وجهي للغاية. استمرَّ تَساقُط الثلوج، وشاهَدتُ الرقائق تكفُّ ببطءٍ عن التَّحوُّل إلى ماء على جبين أبي ووجنتيه، وبدأت تُكوِّن أكوامًا صغيرة حول عينيه الصارختين. لقد فوجئت بمدى سرعة تحوُّل دفئه الأبوي البارد. لم أتمكَّن من لمسه، لقد ابتعدتُ على الفور عن جسده، تاركًا عينيه الكبيرتين مفتوحتين لأي تأويل.

لم أبكِ.

عندما أعلموني بخبر والدي، أخبروني أن أخي داريو مات أيضًا موتًا بطوليًا. كالعادة، كان في موضع الهجوم عندما لقي مصيره، ركض مثل عدَّاء جامايكي نحو الرُّمح الصِّربي الذي انطلق صوب قلبه. كان هذا من صميم داريو.

قالوا إن والدي شهد وفاته وأنه أصيب بالجنون على الفور. ألقى بنفسه على جُثَّته ثم فجأة بدأ يصرخ باسمي "تومو! تومو!" قبل أن يعود إلى مركزنا بدون بندقيَّته.

"أوه؟" قُلتُ لزملائي الجنود، وأومأتُ برأسي عدَّة مرَّات، وكأنهم يخبرونني بنتائج بعض مباريات كرة القدم. "لكن ماذا عن المعركة؟".

"أخذنا ضفَّة النهر. نحن نمتلك ضفَّة النهر الآن".

لقد رأيتُ ذلك النهر اللعين. إنه مريع.

مكتبة
t.me/soramnqraa

# 23
# صُنِعَ في أيسلندا

## 2006/06/6

أيـدي هانـا الكبـيرة بيضـاء بشـكل لا يُصـدَّق. أكـثر شـحوبًا مـن ذراعيها. يبـدو الأمـر كـما لـو كانـت ترتـدي قفَّـازات بيضـاء. تتحـرك أصابعهـا الطويلـة والقويـة بهـدوء وبسرعـة شـديدة للغايـة ولكـن صامتـة. بالـكاد تُسـمع أي ضوضـاء بينـما تحمـل صحنـي وكـوبي الفـارغ.

أمـي عكسـها تمامًـا. عندمـا كانـت تغسـل الأطبـاق، شـعرتُ دائمًـا أن هنـاك فرقـة بانـك تتـدرَّب في المطبـخ. ربمـا لم يمنحهـا بابـا الجِنـسَ الـكافي. إذا كان هـذا هـو السـبب؛ فـلا بُـدَّ وأن تورتشـور مُتحفِّـظٌ في السريـر.

"هــل تشــعر بتحسُّــن؟" تســألني بصوتهــا الأُسَريِّ الــذي بــدا كالنبيــذ الأحمــر في أذني، لكنــه فاسِــدٌ في أنفــي.

"نعم".

"هذا جيد".

لسببٍ غامض، تثق بي بنسبة مائة بالمائة، تقول أغلب الوقت "سأكون جور"[1] يعني "الخير" و"الشِّفاء".

قرأتُ مرَّةً أخرى قصة شاول، الرجل المقدَّس العصامي من طرسوس في تركيا. إنها نفس القصة التي قالها جودموندور لجمهوره بشكلٍ عفويٍّ أوَّلَ ليلة لي في أيسلندا، والآن أصبَحَت أساسَ شفائي كما يقول تورتشور. فهمتُ مقصده. هذا الرجل مثلي؛ فقد غيَّر اسمه أيضًا، ولديه مثلي ماضٍ دموي. ولكنه أصبح القديس بولس "أبو الكنيسة". أنا متأكِّد من أنني سأصبح القِدِّيس توم، أبو شيء ما. آمل ألَّا تكون كنيسة، رغم ذلك.

في منتصف أسبوعي الثاني في قبو تورتشر، أحضَرَت لي هانا خطابًا بعد العشاء. وضَعَته برفق على صدري، بابتسامةٍ تَجعَّد لها جِلدُها حول عينيها، وقالت:"اقرأها" قبل أن تجمع أواني الطعام الفارغة بصمتٍ من مائدة سريري وتعود إلى الطابق العلوي، ويتأرجح ذيل حصانها الضخم خلف ظهرها، فوق مؤخِّرتها الدائرية الصُّلبة.

أفتح الرسالة، إنها مكتوبة بخطِّ اليد. لا بريد إلكتروني في بيت إبراهيم. خطُّ يَدٍ جميل، حبر أزرق. "عزيزي ثوردور" إنها كتابة الأب فريندلي، من منزله في ڤيرچينيا، في أكتوبر الماضي.

" اسمح لي أن أبدأ بتوجيه جزيل الشُّكر لك على كلماتك الرقيقة وعلى دعوتكم لزيارة أيسلندا. إن فكرة القدوم إلى جزيرتك الغريبة، والتي سَمعتُ عنها الكثير من الأشياء الرائعة، مثيرة للغاية، على أقل تقدير.

(1) Góður - بالأيسلندية في الأصل

أخـبَرَني صديقــي العزيـز القــس كارل سيمونســن عــن عملـك الممتـاز نيابـةً عـن الـرب، وأنـا عـلى عِلـمٍ بمحطَّـة تلفزيـون صديقـك إنجلبرتسـون. سيسـعدني تقديـم بعـض العـروض هنـاك.

لذلـك، فإنـه يؤسـفني أن أبلغكـم أننـي بسـبب وضعـي الشـخصي؛ لا يمكننـي قبـول عرضكـم الجيـد. في الشـهر المـاضي، تعرَّضَـت زوجتـي چـودي لحـادث سَـيرٍ مُـروِّع، وسـتدخل المستشـفى للأشـهر الثلاثـة القادمـة عـلى الأقـل. كـما تفهـم، هــذا الوضـع المُحـزِن يمنعنـي مـن السـفر في الوقـت الحـالي. لقـد أجَّلـتُ كلَّ شيء يشـمل الطـيران حتـى أوائـل الربيـع العـام المقبـل.

من فضلك اكتب لي مرَّةً أخرى في عام 2006".

محترف لكن ودود[1]. الأخ المشغول.

يـا لـه مـن رجـل بائـس. كوفـئ بالمـوت لبقائـه بجـوار فـراش مـوت زوجتـه. يـا لهـا مـن قسـوة منـي.

يُرفِـق بالرسـالة صـورةً مُلوَّنـة مُوَقَّعـة تُظهـر عائلـة فرينـدلي واقفـة أمام منـزل أبيـض كبـير يمكـن أن يكـون إمَّـا كنيسـتهم أو منزلهـم أو كليهـما. هـا هـو ضحيتـي الأصلـع ذو الياقـة البيضـاء حـول رقبتـه وزوجتـه الشـقراء المبتهجـة چـودي بجانبـه، المـرأة التـي تزوَّجتُهـا لمـدة ثانيتـين كاملتـين في سـيارة جودمونـدور في وقـتٍ سـابق مـن هـذا الربيـع.

إنهـا جميلـة بعـض الـشيء بلمحـة جنوبيـة، يمكـن أن تشـبه والـدة لـورا ديـرن المحفوظـة جيـدًا. مـن طـراز اليـوم السـابع. يقـف الزوجـان بفخـرٍ وراء طفلـين يبلغـان مـن العمـر حـوالي عـشر وثمـاني سـنوات. واحـد أسـود والآخـر أبيـض. يجلـس هـذا الأخـير عـلى كـرسيٍّ مُتحـرِّك. ومثـل باقـي النسـاء الأمريكيـات دون غيرهـن، تبتسـم السـيدة فرينـدلي بشـدَّة، لدرجـة

(1) استخدام مزدوج لـ Friendly.

أنها لا تستطيع رؤية الكاميرا. لقد أعماها النعيم. في الواقع، يبتسمون جميعًا بنفس الحماس كما لو كانوا يُصمِّمون كُتيِّبًا لأفضل فندق في الجنة، والطفل ذو الإعاقة ابتسامته ذات إعاقة، لمسة خيبة أمل من الحياة بشكل عام.

ألخِّص انطباعي عن القِسِّ ديڤيد فريندلي من الخطاب والمظهر. لا يبدو لي ذلك الإنجيليَّ الجنوبيَّ المعتاد، محتال المسيح، بطريقة ما يبدو صادقًا. أعتقد أنه لم يكن يستحقُّ أن يموت في سن الأربعين. على الرغم من كل ما لديه من رهاب المِثليَّة. يتغلَّب مُخلِّص الأرواح على صانع الأرامل تحت أي ظرف، بالإضافة إلى أنه لديه طفل مشلول، وطفل آخر تمَّ تَبنِّيه، والآن أصبح الأطفال أيتامًا، بلا أب أو أم، ومخلوقات صغيرة بلا أم. ربما ينبغي عليَّ أن أعرض تبنِّيهم.

في اليوم التالي، شَدَّدَت هانا على كل شيء. "هل قرأتَ الرسالة وشاهَدتَ الصورة؟".

"نعم. فعَلتُ".

"لقد كان رَجُلًا صالحًا" تقول بعينين متغضنتين، وبدون أدنى تلميح من الاتهام في صوتها.

"وفَقَدَ زوجته؟".

قالت "لا". "لقد تعرَّضَت لحادثٍ، وهي مشـ... ماذا تطلق عليها؟".

"مشلولة؟".

"نعم. إنها على كرسي متحرك".

"لكن جودموندور أخبرني أنها ماتت".

"لا لا. لقد كادت أن تموت لكنها تتحسَّن، على ما أعتقد".

"ولديهما طفلان؟".

"نعـم. لديهـما طفـلان بالتَّبنِّـي، الأصغـر مـن جامبيـا، والآخـر عـلى كـرسيٍّ مُتحـرِّكٍ أيضًـا".

لا. بحـقِّ الجحيـم! الشـخص المصـاب بالشَّـلل مُتبنًّـى أيضًـا. إلى أي مدى يمكـن أن تكـون مُقدَّسًـا؟ والآن هنـاك العديـد مـن الكـراسي المتحرِّكـة في العائلـة... "ربمـا تريـد أن تكتـب لهـم؟" تواصـل السـيدة تورتشـور.

"نعم ممكن".

"لا تخبرهـم مَـن أنـتَ بالطبـع، فقـط قُـل إنَّـكَ تعـرف الأب فرينـدلي كواعِـظٍ، وأنَّـكَ سـمعت عـن وفاتـه، وأنـك آسِـف".

تتوقَّف، ونتبادل النظرات، أنا وأُمُّنا الأرض.

وتضيف: "إذا كنتَ كذلك".

"نعم، بالطبع أنا آسف".

"هذا جيد، أنت تتحسَّن".

وهنـا يـأتي الجـزء المُفضَّـل. تداعـب خـدي بيدهـا البيضـاء الكبـيرة. بأصابعهـا القويـة الناعمـة. إذا كان هـذا فيلـمًا، فسـألتقطها بذراعـي كتـوم كـروز وسـنتبادل القُبَـل كشـخصين يـأكلان الجريـب فـروت الأول بعـد أسـبوع في الصحـراء، وبعـد ذلـك كنـتُ سـأمزِّق ملابسـها، وبعـد لقطـة واحـدة سـنمارس حُبًّـا دينيًّـا عـلى فـراشي مـن العهـد القديـم. سـيكون الفيلـم بعنـوان "ثالوثيَّـات"، ويحتـوي عـلى مُثلَّـث حـبٍّ بـين الخاطـئ والكاهـن وزوجتـه.

"أعتقد أنه قد يفيدك أن تكتب لهم رسالة".

"موافق. سأفكر في هذا".

في الواقـع، يجـب أن أكتـب أيضًـا لسِـتَّةٍ وسـتِّين أرملـة. يجـب أن أكتـب لهـم جميعًـا خطـابَ أسَـفٍ مُوحَّـد:

عزيزتي السيدة (...)

ببالـغ الأسـف والحـزن أكتـب لأبلغـك أننـي أنـا مَـن قتـل زوجـك. بالطبـع أعلـم ألَّا شيء يمكـن أن يَحـلَّ مَحـلَّ حُـبِّ حياتـك، وبغَـضِّ النظـر عـن مـدى عُمـق أسـفي، فلـن يتمكَّـن أبـدًا مـن إعادتـه إلى الحيـاة.

مع ذلك، أريدك أن تحاولي فهم وضعي.

في وقـت التخلُّـص مـن زوجـك كنـتُ قاتِـلًا مُحتَرِفًـا في منظمـة وطنيـة مُعيَّنـة. كان القتـل رزقـي. بـين عامـي 2000 و2006 قتلـتُ 67 رجُـلًا. كان زوجـك واحـدًا فقـط مـن بـين كثيريـن.

السيد(...) كان عملية رقم (#...).

يمكننـي أن أؤكِّـد لـكِ أن وفاتـه كانـت مـن بـين أكـثر الأحـداث التـي لا تُنـسى في قائمتـي. كان زوجـك رجُـلًا طيِّبًـا. مـات بكرامـة كبـيرة، ولم يشـكُ عـلى الإطـلاق مـن مصـيره.

ومـع ذلـك، إنـه لمـن دواعـي سروري البالـغ أن أبلغكـم أننـي قـرَّرتُ الآن شَـقَّ طريـق جديـد في غابـة الحيـاة. اعتبـارًا مـن مايـو 2006، سـأترك صناعـة القتـل، مـن المؤكَّـد أن إطـلاق النـار عـلى الأشـخاص مـن أصعـب الوظائـف التـي يمكـن أن تجدهـا.

الضغط الجسدي والضغط النفسي عالٍ جدًّا.

والآن اكتفيتُ بمنتهى البساطة.

لذلـك أسـتطيع أن أؤكِّـد لـكِ، في حـال وجَـدتِ لنفسـك شريـكًا جديـدًا (وأريـد أن أهنِّئَـكِ، إذا كان الأمـر كذلـك)، لـن أقتـل زوجَـكِ مَـرَّةً أخـرى.

المُخلِص

توميسلاف بوكشيتش.

هذه آخر مرة أستخدم فيها اسم والدي. إنه ميِّتٌ الآن.

لم تكن محاولة انتحاري فاشلةً تمامًا.

نفسي الجديدة لها اسمٌ جديد. بعد قتل اثنين من الكهنة، تعمَّدتُ من قِبَل اثنين آخرَيْن.

"صباح الخير سيد ألفسون!" يقول جودمونور وهو يظهر فجأة في نهاية أسبوع اختبائي الثاني مبتسمًا حتى ظهرت أسنانه. أعطاني جوازَ سَفَرٍ أيسلندي جديد، عليه وجهي ورقم الضمان الاجتماعي الأيسلندي الخاص بي المسمَّى كينيتالا. لقد تمَّ إحيائي باسم "توماس ليوفر أولافسون" يضحك الواعظان عندما يشاهدانني أقرؤه. إنهما لا يستطيعان السيطرة على أنفسهما. لا أعرف بالضبط لماذا، لكنهما يريان الأمر مُضحِكًا للغاية.

"توماس ليوفر أولافسون تهانينا! أنتَ أيسلندي الآن! عليك أن تتعلَّم الأيسلندية!" يكاد جودموندور يصرخ.

أفحص جواز السفر، يبدو سليمًا تمامًا، أكثر من ذلك الصيني الذي زوَّرتُه لإيجور.

"كيف لك...؟ من أين حصلتَ عليه؟" أسألهما.

"إنه مصنوع في أيسلندا! صُنعٌ يدويٌّ!".

بالكاد يستطيع جودموندور التَّحكُّم في فرحته، ولا يمكنه إخفاء الفخر الهائل الذي يشعر به لقدرته على تدبير هذه القطعة الأثرية غير القانونية.

"لديَّ صديق في الشرطة" قال لي وغمز لي بابتسامات سَمِجَة: "وآخر في حزب سياسي".

أريـد أن أركـض إلى الخـارج وأضحـك عـلى نفـسي حتـى المـوت. لا يوجـد شيء مُضحِـك في هـذا العـالم أكـثر مـن قيـام رجـال ديـنٍ بأمـور غـير قانونيـة.

إنهـما يُصـدِران جولـةً أخـرى مـن الضحـك عندمـا يطلبـان منـي أن أقـول اسـمي الجديـد. "تومـاس... لـيـــفوو ر" هـــي محاولتـــي الأولى، ومنطقيـة تمامًـا بالنسـبة لي. يبـدو أن "تومـاش ليـو فـر" يشـبه ذلـك إلى حـدٍّ كبـير. لقـد جعـلاني أقـول ذلـك حـوالي عـشر مـرات قبـل أن يسـتعدًا لتبليـل شَـعري اللطيـف بمـاء الصنبـور الـذي يجعلـه تورتشـور مُقدَّسًـا بمباركـة وابتسـامة. إنهـما يقضيـان أجمـل أيـام حياتهـما.

"في الواقع، كان يجب أن تكون توماس ليفور بوجاسون".

يـشرح تورتشـور. "هـذه هـي الترجمـة المباشرة لاسـمك الكـرواتي، ولفترة طويلـة كان هـذا هـو التقليـد هنـا في أيسـلندا. أُجـبر المهاجـرون عـلى اتِّخاذ اسـمٍ أيسـلندي كان عـادةً ترجمـةً أو نُسـخةً مـن الاسـم الأصـلي. لكننـا لا نريـد المخاطـرة بـأي شيء، أليـس كذلـك؟ لذلـك توصَّلنـا إلى هـذا الأمـر.

أولفسون تعني "ابن أولف"، وهذا هو اسم رئيسنا".

هـذا هـو اسـمه الأول. هـؤلاء الرجـال لا يسـتخدمون أسـماء العائلـة. لا يـزال الأيسـلنديُّون يتبعـون تقليـد الڤايكنـج؛ إذ يشـتقُّون الأسـماء الثانيـة لأطفالهـم مـن اسـم والدهـم الأول. إذا كان لـديَّ أطفـال، فسـيحصلون عـلى الاسـم الرائـع والجـذَّاب تومسـون (فتـى) أو توماسـدوتير (فتـاة).

أطلـب مـن قِسِّيسـايَ الحصـولَ عـلى نسـخةٍ أسـهل مـن اسـمي الجديد، وبعـد تفكيرهـما لبعـض الوقـت، يتوصَّـلان لاسـم تومـي أولافس.

# 24
# فندق هاردورك

## 2006/06/13

لكي أحصل على جواز سفري غير القانوني، وضعوني في مسكنٍ غير قانوني بالقرب من كنيسة تورتشور. إنه مبنى حديثٌ وجميل يضمُّ متجرَ أثاث فاخر في الطابق الأرضي، وبعض العُمَّال المهاجرين ذوي مظهر رَثٍ في الطابق الأول.

أدخل إلى العالم السُّفلي الأيسلندي. يبدو أننا قمنا بتبديل الأدوار، أنا وأصدقائي المقدَّسين. رجل جودموندور من الحزب السياسي، وهو رجلٌ ذو أنف كبير بلا رقبة تقريبًا يُدعى جود ني[1] (لا علاقة له بالجريح) لديه نظرة العُصبجيَّة الدوليِّين في عينيه، والتي يصعب شرحها للقارئ البريء، لكن زميله لا يمكنه أن يفوت هذه الملاحظة. تلك العيون شهدت كثيراً من الحياة وبعضًا من الموت.

(1) Good knee: أو الرُّكبة الصالحة.

يـسرع إلى المدخـل بعـد خروجـه مـن سيارته السـوداء رباعيـة الدفـع كثـيرة الكدمـات، وهـو رجـل بديـن أشـعَثُ يبلـغ مـن العمـر خمسـين عامًـا، يرتـدي سُترةً واقيـة زرقـاء داكنـة تبـدو كبـيرة الحجـم، ولكـن بنظـرة فاحصـة، يزيـد وزنـه مـع جيـوب مليئـة بالمفاتيـح (والمسدَّسـات؟). أخـرج عـشرات المفاتيـح وجـرَّب ثلاثـة منهـم قبـل أن يجـد المفتـاح المناسـب.

يقدِّمنـي جودمونـدور، وأبـدو سـخيفًا للغايـة، مثـل أبٍ فخـورٍ يـوصي بابنـه لمـدرِّب كـرة قـدم مشـهور.

يرمقنـي جـود ني بضَجَـرٍ لثانيـة ويغمغـم بالأيسـلندية "مرحبًـا" قبـل أن نمـضي إلى المدخـل الفوضـوي الـذي تملـؤه النـشرات الإعلانيـة الملوَّنـة وآثـار الأقـدام، والصحـف المحليـة غـير المقـروءة. نتبعـه صعـودًا إلى الـدرج، ثـم نهبـط إلى ممـرٍّ طويـل ومُقبِـض تملـؤه الأبـواب الحديديـة كل خمـس عـشرة قدمًـا، يسـارًا ويمينًـا.

السـقف مُرتَفِـعٌ نوعًـا مـا، يرتفـع مـن المنتصـف، أمَّـا الجـدران، كونهـا بارتفـاع ثمـاني أو تسـع أقـدام فقـط؛ فـلا تتَّصـل بـه. يجلـس في مطبـخ صغير في نهايـة الـرواق عـدد قليـل مـن الرجـال بعيـون حمـراء وحواجـب داكنـة، مـع قِطَـع صغـيرة مـن الخرسـانة البيضـاء في شـعورهم، ويحملـون البـيرة. ثمَّـة تلفـاز صغـير عـلى مسـطح يـدوي رخيـص، وبجـواره موقـد كهربـائي قديـم. تـضيء الشاشـة ببعـض أعـمال القتـل التـي يرتكبهـا هـواة، لكـن العُـمَّال لا يشـاهدون، يسـتقبلهم جـود ني ببضـع كلـمات غـير مسـموعة بلغـة العصابـات.

يجيبـه أحـدُ العُـمَّال باللغـة الانجليزيـة بلهجـة سـلافية ثقيلـة ويشـير إلى أسـفل الممـرِّ الـذي مشـينا فيـه للتَّـوِّ:

"رقم ثلاثة على اليمين".

هـذه زنزانتـي. يتعـيَّن عـلى نجـل الرئيـس أن يكتفـي بمسـاحة لتخزيـن قطـع الغيـار، تـمَّ تقسـيمها إلى أكشـاك للنـوم فقـط بجـدران رقيقـة مـن

الـورق. السريـر عبـارة عـن أريكـة محمولـة عـلى بقايـا جـدار، مـع جـذوع خشـبية مكوَّمـة عـلى بعضهـا كأرجُـل.

لا يوجـد شيء آخـر في الغرفـة باسـتثناء كـرسي مكتـب قديـم ورخيـص، ومصبـاح بـلا إضـاءة أو إطـار، وملعقـة فضيـة وحيـدة ملقـاة عـلى الأرضيـة المتَّسِـخة. الجـدار المواجـه للبـاب هـو في الأسـاس نافـذة واحـدة كبـيرة تحتهـا مُـبرِّد مسـتطيل. والمنظـر مـن الخـارج عبـارة عـن مبنـى مشـابه لهـذا المبنـى، بـه مَتاجِـرُ في الطابـق الأرضي، وأمامـه موقـف للسـيارات. يلقـي جودمونـدور عـلى الفـراش كيسًـا بلاسـتيكيًّا أسـود، يحتـوي عـلى بعـض الملاءات، ويقـول لصديقـه "هـذا جيـد" قبـل أن يعـود إليَّ بابتسـامةِ مَـن وُلِـدَ مـن جديـد:

"أنـتَ تعلـم أن بإمكانـك دومًـا أن تـأتي إلى منزلنـا لتنـاول الطعـام أو غسـل الملابـس أو مشـاهدة التلفزيـون".

شيء لم أسمع والدي يقوله.

يعطينـي جـود ني المفتـاح الصالـح، بالإضافـة إلى رقـم هاتفـه الخلـوي الثمـين في حالـة حـدوث انتفاضـة في الثكنـات أو أخـذ بعـض الرهائـن. مـن الأفضـل ألَّا يعـرف هـؤلاء الأجانـب أنهـم يشـاركون سـقفًا مـع الابـن الوحيـد لرئيـس أيسـلندا. ربمـا ينبغـي لي أن أطلـب مـن جـود مـون أن يمنـح هـذا المكـبَّ بَرَكـةً سريعـة، لكـنَّ الرفيقـين الطيِّبـيْن خرَجَـا، وهـا هـي حيـاتي الجديـدة تبـدأ بحقيبـة رياضيـة صغـيرة وكتـاب مُقـدَّس كبـير.

زمـلائي في السـجن هـم مـن بولنـدا وليتوانيـا، بالإضافـة إلى شـخصٍ بلغـاريٍّ ذي شَـعرٍ أسـود ناعـم اسـمه بالاتـوف يبـدو كقاتل محـترف وزميل. إنـه حلـف وارسـو القديـم العزيـز. حمَّامنـا الوحيـد يُسـمَّى الضريـح. وفقًـا لقواعـد المنـزل، إمَّـا أن تذهـب إلى هنـاك لـترى لينـين (الـشيء الأصفـر) أو سـتالين (الـشيء البُنِّـي). ويُسـمُّون المخيَّـم نفسـه فنـدقَ الأشـغال الشـاقَّة.

عـادة مـا يعـودون إلى المنـزل حـوالي السـاعة الحاديـة عـشرة ليـلًا ويرحلـون في السـابعة، ويتنهَّـدون في الرَّدهـة ويركلـون بعضهـم بأحذيتهـم المصنوعـة مـن الصُّلـب.

يخـبرني بالاتـوف: "أنـا لسـتُ عامِـلًا" يبقـى في المنـزل طـوال اليـوم ليسـتمع إلى روك سـوڤييتي بصـوتٍ عـالٍ عـلى جهـازه البومبوكـس الصغـير، ويشـاهد التلفـاز في المطبـخ، ويلعـن كل مـا يظهـر عـلى الشاشـة بلُغَتِـه الأُمّ. عـليَّ أن أحـرص ألَّا أكشـف أننـي أفهـم بعـض هـذه الكلـمات.

يؤكِّـد الرجـل القـادم مـن البحـر الأسـود بسُـترَةٍ سـوداء ولحيـة سـوداء وشَـعر أسـود وحاجبـين أسـودين فـوق عينـين سـوداوين. يبـدو أنـه أسـود في كل شيء.

"أسـود" يخـبرني بلُغَتِـه الإنجليزيـة المكوَّنـة مـن ثلاثـين كلمـة كلَّـما ظهَـرَت المـرأة السـوداء الغريبـة في منتصـف إعـلان صابـون الأسـنان الأبيض أثنـاء النهـار. "أنـا أضاجـع السُّـود. إنـه جيـد".

أغوص في الثلاجة بحثًا عن حاوية الحليب الأبيض.

لا يوجـد غيرنـا أنـا وبالاتـوف خـلال النهـار، إلى جانـب الإعـلان عـن تفضيلاتـه الجِنسـيَّة سِـتَّ مـرات في اليـوم، تنبعـث منـه رائحـة مثـل رَوَث الحصـان المنقـوع في الوقـود. بالإضافـة إلى أنـه يسـتغلُّ كُلَّ فرصـة ليجعلـك رفيقَـه في المنافسـة.

"أعـرض صـورة سـوداء... في الغرفـة... تعـال" يبـدو الأمـر وكأنَّـكَ عالِـقٌ مـع نَمِـرٍ عـلى مـتن قـارب صغـير في وسـط المحيـط الهنـدي. عليـك أن تفكِّـر في كل خطـوة تقـوم بهـا. أقـوم بتهريـب وجبـات الغـداء الخاصـة بي بصمـتٍ مـن المطبـخ، وأذهـب لأرى لينـين فقـط عندمـا أسـمع الموسـيقى مـن جهـازه البومباكـس. أقـضي سـاعات في زنزانتـي محـاولًا بشـدَّة أن أفصـل كتابـات الأنبيـاء عـن الأصـوات الرائعـة لأفضـل أغـاني الهيڤـي ميتـال

البلغاريـة التـي تشـبه بطريقـةٍ مـا الفِـرَقَ الموسـيقية المبتدئـة في أركنسـاس أو الإكـوادور.

يبـدو أن موسـيقيِّي الـروك المُشـعِرين في هـذا العـالم ينتمـون إلى أُمَّـةٍ واحـدة، عـلى الرغـم مـن انتشـارهم في جميـع أنحـاء الأرض. إنهـم يهـود الغـد.

لكـنَّ السـيد القـادم مـن البحـر الأسـود لـن يقتنـع بـ أ.ق.أ الخـاص بي كإشـارة. يقـرع بـابي اللعـين، ردُّ فِعـلي الفـوري هـو البحـث عـن مسـدسي. أفتقـده مثلـما يفتقـد عامِـلُ النظافـة ممسـحته.

"هل لديكَ كريم حفظ"[1] يسألني.

"أتمنى".

"ما هو؟".

"لا، أنا آسف، ليس لديَّ أيٌّ منه".

"سأحفظ الوجه".

"أرى. أحسنت".

"أنتَ أيسلندا؟".

"آه، حسنًا... جزئيًّا. أنا نصف أيسلندي".

هـذا البلـد يمتصُّـني مثـل البركان في الاتجـاه المعاكـس. أحضر لي الشـتاء وسأسـتيقظ بوجـه كـرة الثلـج وأنـف مرصـوف بالحصى.

"أنت لا تعمل؟".

مـاذا بعـد؟ سيسـأل عـن جـواز سـفري؟ يسـأل عـن جـود ني وجودمونـدور، أجيـب بإيجـازٍ وعَيـنين مثبتـين عـلى قمَّـة جمجمتـه، والتي

(1) يتحدث الانجليزية بصعوبة، وهنا يقصد كريم حلاقة.

تظهر من خلال شَعره الأسود مثل رأس طفل يندفع من مهبلٍ كثيف الشَّعر.

"جود ني والأب فريندلي" يقول بضحكة قصيرة، وكأن هذا هو الشيء الذي يسعى وراءه حقًّا، ثم نعود إلى لونه المُفضَّل. "أنت تضاجع السُّود؟".

"إيه... نعم. فعلت".

"جيد؟" يقول بابتسامة مُقزِّزة تنفجر في ضحك شرير. "جيد!" ويضحك بطول المسافة إلى زنزانته. "الأسود جيِّد".

سأسأل تورتشور إذا كان علاجه يسمح بارتكاب جريمة قتل صغيرة أخيرة.

في ليلة السبت يظهر جود ني مع صندوقٍ من الورق المقوى مليء بزجاجات ڤودكا كاد أن يُكتب عليه "مُهرَّب" ويضعه على طاولة المطبخ، ليشبه إلى حدٍّ كبير مالِكَ أرضٍ جنوبيًّا من القرن التاسع عشر يُحسِن معاملة عبيده. لكنه لا يفتحه، فقط يتنهَّد من خلال أنفه الكبير بأسلوب الشخص المنشغل، ثم يرحل بسُترَتِه القصيرة.

أستعِدُّ لليلةٍ بلا نوم، لكن لا شيء يحدث إلَّا بعد اليوم التالي. صباح الأحد، يستيقظ البولنديون مبكِّرًا، وينكبُّون على صندوق الڤودكا مثل الجراد على قصب السكر. بحلول الظُّهر كانوا يغنون أغانيهم البولكا في المطبخ ويصيحون "توماسز".

أتظاهر أنني ميِّتٌ عندما طرقوا الباب. ميِّت كما أردتُ أن أكون.

يستغربون أن يعيش رجُلٌ أيسلندي في مكان مثل هذا. لطالما كان فندق الأشغال الشاقَّة مُخصَّصًا للعُمَّال الأجانب فقط. بالنسبة لهم، لا بُدَّ وأنني ضابط من قوات الأمن الخاصة الذي يقوم طواعية بتسجيل الدخول إلى معسكر أوشفيتز. أحاول التخفيف من حِدَّة

كل هـذا وأخبرهـم أننـي أيسـلندي بنسـبة 25٪، وأختلـق قصَّـةً طويلـة ومُملِّـة عـن أب مـن فريسـنو، السـيد تشـاك أولافسـون، الـذي كان نِصفَ أيسـلندي، والتحـق بالجيـش، ومـات في حـرب صغـيرة في منطقـة البحـر الكاريبـي خـلال عهـد ريجـان "كانـت نيرانًـا صديقـة، قصَّـة حزينـة"، وأم ألمانيـة تزوَّجَـت لاحقًـا مـن هـذا القـسِّ الكـرواتي وهـما يعيشـان الآن في ڤيينـا.

"هل تعرفون رابيد وين؟" أسألهم بسرعة.

"نـادي كـرة قـدم؟ صحيـح؟ لعـب ضمـن فريـق ليجيـا وارسـاو في العـام المـاضي. هـل هـو ناديـكَ؟".

"نعـم. كنـتُ في العـاشرة مـن عمـري عندمـا تُـوفِّيَ والـدي، ثـم انتقلنـا إلى النمسـا، عِشـتُ هنـاك حتـى اليـوم".

أشرد لفـترة وجيـزة. لمـاذا اخـترت ڤيينًـا؟ ذهبـت هنـاك فقـط لقضـاء عطلـة نهايـة الأسـبوع. لكـن حصلـتُ عـلى أ.ل.ت (أفضـل لحظـة تدليـك) مـن فتـاة مَجَريَّـة أخبرتنـي أنهـا كانـت في العشريـن مـن عمرهـا، لكنهـا بَـدَت وكأنهـا في الخمسـين. جـرَّت ثدييهـا الكبيريـن أعـلى وأسـفل ظَهـري، كان ذلـك شـعورًا سَـماويًّا لا مثيـل لـه، كـما لـو كانـا كرتـين إلهيتـين أو شـيئًا مـن هـذا القبيـل.

أعود إلى صوابي وأكمل الفقرة:

"في الواقع، لم أعِش في أيسلندا من قبل".

"لكنَّـك تتحـدَّث الأيسـلندية؟" يسـأل أحـد البولنديـين الثلاثـة. بطريقـة مـا يبـدون جميعًـا كجنـود مـن الحـرب العالميـة الثانيـة، يمكـن أن يكونـوا بـدلاء في فيلـم حيـث يجلسـون في الجـزء الخلفـي مـن شـاحنة عسـكرية، عـلى وشـك أن يتـمَّ تفجيرهـا في المشـهد التـالي.

"قليلًا... أمي... لا بل جدَّتي كانت تتحدَّث معي باللغة الأيسلندية عندما كنتُ صبيًّا".

ابتعدتُ قليلًا. يختفي أحدهم لبعض الوقت ويعود برسالة باللغة الأيسلندية مليئة بأحرف مجنونة: حرف "أ" حُبلَى بينما تمارس الحب مع حرف الـ "إ"، يطلب مني أن أترجمه له. آخذه إلى رُكني وأُجري مكالمة سريعة مع هانا. يستغرق الأمر مني أمدًا رغم ذلك لأقرأ لها الكلمات غير المفهومة. اتَّضح أنها دعوة بسيطة لافتتاح بعض المباني التي كان الرجل يعمل بها. يقول إنه لا يمكنه الذهاب، إنه مشغول جدًّا بالعمل في موقع بِناءٍ آخر. عُمَّال المتاجر هؤلاء هم آلات عمل حقيقية. لقد اعتادت أجسادهم على النوم في منتصف الليل والاستيقاظ في السادسة، لدرجة أنهم غير قادرين على النوم في صباح يوم الأحد؛ لذلك لا يمكنهم أن يسكروا ليلة السبت، ولكن عليهم أن يفعلوا ذلك في اليوم التالي. يبدؤون في السابعة صباحًا ويَفرُغون في الساعة 11 ليلًا.

# 25
# نادي جراني

## 2006/06/17

لا بُـدَّ وأن هـذا هـو التأثـير الجيـد لبالاتـوف، ولكـن بعـد أسـبوع في الأشـغال الشـاقة لا أسـتطيع التفكـير في أي شيء آخـر غـير الجنـس.

تزدحـم سـاعات قـراءة كتـابي المقـدَّس بالذكريـات والخيـالات وأحـلام اليقظـة. أحيانًـا يصطدمـون جميعًـا في هيئـة واحـدة، كبـيرة، سـينيكا، حبيبتـي مـن سـبليت. حبيبتـي الكبـيرة في سـبليت. يُطـلُّ رأسـها مـرارًا وتكـرارًا مـن بِركـة فقـدان الوعـي القـذرة، حتـى إنني أحلـم بهـا لمـدة ثـلاث ليـالٍ مُتتاليـة. إنـه أمرٌ غريـبٌ نوعًـا مـا؛ لأنهـا لم تخطـر عـلى ذهنـي حقًّـا منـذ سـنوات، عـلى الرغـم مـن أنني أحـاول البحـث عـن اسـمها عـلى جوجـل مـن حـين لآخـر.

كانـت سـينيكا دائمًـا مَرِحـةً ومجنونـة بعـض الـشيء، ويتَّجـه ثدياهـا المُثلَّثـان إلى الـشرق والغـرب، وشَـعرها القصـير الأسـود يتَّجِه لأعلى ولأسـفل.

كان لديها وحمة سوداء كبيرة على خدِّها الأيسر جعلتها تبدو صغيرة مثل بروك شيلدز[1]. كانت شفتاها ممتلئتين وناعمتين، لكنَّ خَدَّيها كانا متيبِّسَيْن ومائلَيْن. بطريقةٍ ما كنتَ تريد دائمًا الضغط عليهم بإصبعك. وعلى الرغم من الغمَّازات، فقد أضافا إليها لمحة صبيانية نوعًا ما.

كان لديها أخت أكبر بكثير، وكانت والدتها ذات الشارب كبيرة بما يكفي لتكون جدَّتَها. زوج والدتها شاعِرٌ شديد الإخلاص وغير معروف على الإطلاق. حفظَت سينيكا كثيراً من قصائده عن ظهر قلب، وأحيانًا كانت تقرأ بعضها لي. لا أعرف لماذا حقًّا، لكنني دائمًا أتذكَّر هذه الرسالة التي كتبها أحد أصدقاء زوج والدتها:

"كلُّ مَن سافر يعرف

أنَّ التفاح أحلى في شوارع وساحات المدن الأجنبية"[2].

الآن يروق البيتان لقضيبي فقط؛ ممَّا يجعله ينهض من عرينه، محاولًا الاستماع. (لدى السيد الساكن بين ساقي أذُنٌ شِعريَّةٌ للغاية). أقضي أيامي بين فخذيها القويَّتيْن شبه الرُّجوليَّين، مُتذكِّرين أسلوبها الأخرق في الرقص أو أثناء ممارسة الحب في الصباح الباكر على ذلك الشاطئ في براك. المياه الراكدة الزرقاء، الحصى الأبيض الكبير، وابتسامتها الشريرة...

أنا لا أفهم ذلك حقًّا. لقد اتَّخَذتني سينيكا رهينةً. عن طريق الجنس العزيز الجيد والمتين قبل الحرب. الجنس اليوغوسلافي الوطني.

كان لسينيكا أكثر عانةٍ مُشعِرة في البحر الأدرياتيكي. (لقد كنت دائمًا شجيرة. بالنسبة لي، فإن فكرة فَرْجٍ أنثوي أصلع تشبه شريحةَ لحم

(1) Brook Shields: ممثِّلة أمريكية.

(2) بالكرواتية في الأصل.

بـدون صلصـة. كانـت تعـاني مـن ذلـك، عـلى حَـدِّ قولهـا، لكننـي جاهَـدتُ لإقناعهـا بـأن الشَّـعر ليـس مخيفًـا، وأن الشَّـمع البرازيـلي بالنسـبة للجنـس يُشـبِه المطبـخ الفرنـسي الجديـد بالنسـبة للطبـخ. بـلا صلصـة لعينـة.

أسـتيقظ وهــي فوقــي، وقبـل أن أنـام ليـلًا أدفـس وجهــي في عانَتِهـا الكثيفـة، وأهمهـم أغـاني أرسـين ديديـك[1] القديمـة. ربمـا أحِـنُّ إلى بلـدي وحسـب.

يبـدو أن الرجـل الطيـب الـذي يحمـل اسـم جـود ني يشـعر بالإحبـاط، وينتهـي أسـبوعي مـن الجنـس الوطنـي بشـكلٍ مُلائِـمٍ عندمـا يُقـرِّر سـيد العبيـد الطيـب نقـلَ جميـع رعايـاه إلى جـراني، وهـو نـادٍ للتَّعـرِّي مدفـون في أعـماق منطقـة صناعيـة قريبـة.

نسـير أمـام أجسـام سـيارات صدئـة وحاويـة زرقـاء لا بُـدَّ وأنهـا مليئـة بالدِّبَـبَـة المحشـوَّة بالهيرويـن. في النهايـة، هـذه مدينـة نموذجيـة في أفـلام الجريمـة. بمجـرَّد أن اجتزنـا الحـارس التقليـدي ذا الـوزن الثقيـل، ندخـل عالمًـا آخـر. كانـت نفـسي الجديـدة تفكّـر في البقـاء في المنـزل، ولكـن بعـد أسـبوع تحـت مراقبـة بالاتـوف، رحَّبـتُ برحلـة التَّعـرِّي.

لقـد بـدأتُ أفكّـر حقًّـا في أن رَجُـلَ البحـر الأسـود قـد لا يكـون الحـوت الـذي تقطَّعَـت بـه السُّـبُل كـما يبـدو عليـه. عـلى الأقـل تفـوح من أسـلوبه في الاسـتجواب رائحـة مكتـب التحقيقـات الفدرالي.

"السـوداء لي. اتفقنـا؟" شَـدَّد عـلى الليتوانيـين بينـما كُنَّـا نسـير عـلى السـجادة الحمـراء.

أخـذتُ نَفَسًـا عميقًـا إذ أدخـل الكهـف الصاخـب. مـرة أخـرى، يصعـده الشـيطان إلى جبـل عـالٍ جـدًّا ويُريـه أكـثر النسـاء جاذبيـة في العـالم

(1) Arsen Dedič.مغنٍ كرواتي من أصول صربية، ولد عام 1938 وتوفي عام 2015.

ومجدهـن، ويقـول لـه: يمكنـك الحصـول عليهـنَّ جميعًـا الليلـة إذا وَعـدتَ ألَّا تقتلَهـنَّ بعـد الاسـتخدام.

هـذا هـو الشـيطان بالنسـبة لي، أو اللـه وفقًـا للظـرف الحـالي. يسـمح للخاطـئ الكبـير أن يخطـئ بطريقـة صغـيرة، حيـث يُسـمح لمدمـن المخـدرات بتدخـين السـجائر بعـد إقلاعـه عـن الهيرويـن.

عـلى الرغـم مـن أنـه لا يـزال مبكِّـرًا جـدًّا (تذكَّـر أن البولنديـين يسـهرون حتـى منتصـف الليـل فقـط)، إلَّا أن النـادي مزدحـمٌ جـدًّا. يبـدو أن التصميـم قـد اسـتند إلى تصـوُّر مُسـلمٍ يبلـغ مـن العمـر عشريـن عامًـا عـن الجنـة، حيـث الكثـير مـن الخمـر، وفتيـات نصـف عُـراة (قـد لا يَكُـنَّ جميعهـن عـذارى رغـم ذلـك)، والموسـيقى الصاخبـة المدوِّيـة. تنطلـق أغنيـة "ثونـج" مـن مُكـبِّرات الصـوت، وتسـطع شـقراء في دائـرة الضـوء، تُلمِّـع العامـود بأنعـم أجـزاء جسـدها كلـه. جلـس حولهـا قليـلٌ مـن العُـمَّال الأجانـب، يضعـون أصابعهـم في أكـواب البـيرة نصـف الفارغـة عـلى حافَّـة المـسرح الدائـري. بعيـدًا، دُفِـنَ بعـض السُّـكَّان المحلِّيِّـين ذوي الأنـوف الدقيقـة والمعـدة المملـوءة بالبـيرة في كـراسي ذات مسـاند عميقـة، مسـتمتعين ومشـدوهين لصحبـة راقصـات العامـود، يبـدون هادئـين عـلى نحـوٍ مُتوتِّـر كعـادة الرِّجـال حـين يضطـرُّون لإخفـاء حماسـتهم الداخليـة.

إنه نادي تَعَرٍّ متواضع. يمكن أن تجد مثله في ميامي أو ميونيخ.

يقـدِّم لنـا جـود ني صديقَـه الحميـم، المالِـك: رَجُـل ذو وجـه دائـري كالقمـر اسـمه أغسـطس، عـلى اسـم الشـهر، ولكنـه معـروف باسـم "جوسـتي جـراني". في الواقـع يبـدو كالجَـدَّة السـعيدة وهـو يُحـرِّك بطنـه الضَّخمـة في جميـع أنحـاء المـكان، مـع ذقنـه المزدوجـة الرائعـة التـي تهتـز مـن ضحكتـه السـعيدة مثـل چيـلي ليمـون عـلى طبـق طائـر. لديـه بعـض الشَّـعر الداكـن الجميـل، ولكـن لا توجـد علامـات عـلى أيِّ نُمـوٍّ في وجنتيـه الناعمتـين. أنفـه يشـبه حصـاة صغـيرة ورديـة.

تصلح الجَدَّة أن تكون راقصةً شرقيَّةً رائعة، بلا شك.

أثنـاء ذهابـه للحصـول عـلى القائمـة، يـشرح رَجُلُنـا النكتـة حـول اسـمه: الترجمـة الصوتيـة لــ "جوسـتي جـراني" سـتكون جوسـتي النحيـف، اندهَشـتُ حـين اكتشـفتُ مثـل هـذا النـادي عـلى هـذه الأرض، وتُوافِقُنـي الـرأيَ بعـضُ راقصـات العامـود.

قـال جـود ني لصديقـه، بمجـرَّد عودتـه بقائمـة النبيـذ، إننـا لم نكـن نعلـم بوجـود أماكـن مثل هـذه في أيسـلندا.

"لكنهـا ليسـت موجـودة!" ينفجـر جوسـتي بصـوتٍ عـالٍ ويهـزُّ مؤخِّرَته المثـيرة بضحكـة سـعيدة. "إنها ليسـت موجـودة!".

توضِّـح القائمــة أطبـاقَ اللحــوم فقــط، عاريــة أو متوسِّــطة العــري، البلطيقيــة، التشــيكية، أو عــلى الطريقــة الروســية. الأســعار عاليــة مثــل راقصــة العامــود الصامتــة في منتصــف المــسرح، لكــن صديقنــا البديــن يقــدم خصــمًا بنســبة خمســين بالمائــة لجميــع رجــال جــود ني.

"لأنــك تســتحقُّها! لأنــك تبنــي أيســلندا الجديــدة!" صــاح بخدَّيْــن أحمريــن وعينــين لامعتــين.

"ألديكَ سوداء" يسأل بالاتوق.

"روســية ســوداء؟" يضحــك جوســتي، ثــم يتوقَّــف فجــأة، ويطرقــع أصابعــه في الهــواء.

تظهـر أمـيرة كاريبيــة نحيفــة، فتــاة مــن طــراز اليــوم الخامــس ذات عينــين لؤلؤيَّتَــيْن، مــن زاويــة داكنــة مثــل لــون بشرتهــا، ويطلــب رجُــلُ البحــر الأســود عــلى الفــور زجاجــة مــن الشــمبانيا. أوافــق عــلى احتســاء بــيرة كبــيرة، أقــف بجــوار المــشرب، بينــما أشــاهد أصدقــائي يتفرَّقــون في كل مــكان، كلٌّ منهــم يُمــرِّض وحدتــه الجنســية.

يصدح المكان بأغنية جديدة "الجو حار هنا"[1]. إنها أغنية قديمة لكيلي، أو نيلي؟ أو بطن حتى!. أضع لساني حيث توجد السِّنُّ المفقودة وأراقب الراقصة وهي تُمزِّق لباسها الداخلي الرفيع، ولدينا... عانَةٌ من الصَّبَّار. لقد حوَّل چيل چيليت[2] الجِنسَ إلى عملية جراحية لعينة. أقول إنها "جمجمة" صامتة مُقارنةً بجميع مَلِكاتي المُشعِرات، وأتذكَّر غابة مونيتا المطيرة شديدة السَّواد. "عليَّ أن أفكِّر في طبقة الأوزون" هكذا كانت تمزح.

تظهر شبيهتها بجانبي، وتسألني بلغة إنجليزية سيئة عمَّا إذا كان بإمكانها "مشاركتي مشروبي". تطلق على نفسها اسم "أنچيل"، وهو اسم بعيد عن مظهرها الغَجريِّ في المحيط الأطلسي.

أنچيل هي أُمٌّ، ذات شفتين كبيرتين وبشرة داكنة وثديين كبيرين، وهي امرأة صغيرة ترتدي حذاءً بكعبٍ عالٍ. إنها نسخة مثيرة للشفقة من مونيتا، من طراز اليوم السادس، قد تحصل عليها نسختي الأبويَّة من توكسيك. لكن على الأقل لا يزال رأسها مُتَّصِلًا بجسدها. أحاول كسب الوقت بالدردشة حول أسابيعها الثلاثة في مدينة الجريمة، بينما أُمتِّع عينيَّ بجمال من طراز اليوم الثالث من لاتڤيا في الجانب الآخر من المَشرَب، والتي تشبه جان بشكلٍ غير مريح.

قصة حياتي.

وحين تذكَّرتُ عرض جوستي السَّخيِّ، سألتُ أنچيل داكنة البشرة عمَّا إذا كان بإمكان المرء أن يطلب تكملة لوجباته في هذا النادي. "يُمكِنُكَ" تقول، وتغمز لجان اللاتڤية. إنها ترتدي فستانًا من الساتان الأزرق وابتسامة شهية تخفي مجموعة من دعامات الأسنان الثقيلة، وبعض الأعمال اليدوية البلطيقية الممتازة التي تحتاج خَصمًا أكبر.

---

(1) Hot in Herre: أصدرها مغني الراب الأمريكي نيلي عام 2002

(2) معجون حلاقة.

لكـن لـديَّ بالفعـل خمسـون في المائـة. لقـد وضعـت عـلى طاولـة البـار بطاقتـي الائتمانيـة التـي لم أسـتخدمها بعـدُ، هديـة تورتـشر لي (مليئـة بمسـاهمات عُـمَّال المتاجـر الكادحـين لصنـدوق كنيسـته) وشـاهدتُ النَّادِلـة، وهـي متعرِّيـةٌ تقاعَـدَت مُؤخَّـرًا مـع فتحـة صـدر مُتغضِّنـة، إذ تسـتخلص منهـا مـا يعـادل إقامـة لمـدة شـهرين في فنـدق الأشـغال الشـاقة، مقابـل زجاجـة مليئـة بعشريـن دقيقـة مـن الخيـال المزدوج. قـد تكـون هـذه أغـلى زجاجـة في تاريـخ البشريـة.

أتبـع الكعـوب الأربعـة العاليـة في زقـاق مـن السـتائر. لا بُـدَّ أن بالاتوف خلـف إحداهـا يحـاول جاهـدًا أن يحتفـظ بكريمـه الأبيـض لآخـر رشـفة مـن الشـمبانيا السـوداء. كلَّـما تَعمَّقنـا في الكهـف؛ أصبَـحَ أكـثر قتامـة، لكـن الموسـيقى لا تتـلاشى عـلى الإطـلاق. حـان وقـت بيونسـيه الآن. هـي وجـاي زي. "عاشـق بجنـون"[1].

في نهايـة الزقـاق، تفتـح أنجيـل سـتارةً وتقودنـا إلى المسـاحة الخاصـة المحجوبـة بسـتار رفيـع، والمفروشـة بعلبـة مناديـل "كلينكـس" كبـيرة ومقعـد قابـل للبَسْـط مُريـح للغايـة. الفتـاة الشـقراء، التـي تُسـمِّي نفسـها إينـا، تفتـح الزجاجـة وتمـلأ كؤوسـنا: ثلاثـة كـؤوس شـامبانيا كبـيرة تسـاوي راتِـبَ والـدتي مُقابِـلَ وقوفهـا عـشر سـاعات في اليوم، ستَّة أيام في الأسـبوع، لمـدة ثلاثـة أشـهر كاملـة في متجـر هارديرسـكي في سـبليت، تنسـخ المفاتيـح وتبحـث عـن تلـك الخراطيـش التـي يصعـب الحصـول عليهـا عيـار 0.765 التـي تحتفـظ بهـا في الخلـف.

ربما ينبغي أن أُخبِرَها عن هذا الشيء المولود من جديد.

أرمـي بنفسـي عـلى الكـرسي. تبـدأ أنجيـل في التَّحـرُّك، لكـن إينـا تركـع بجانبـي وتبـدأ في فـرك ركبتـي اليـسرى. لا بُـدَّ وأنـه طلـبٌ مـن جـود ني. تبـدو المتعرِّيـة ضائعـةً بـدون عامودهـا، مثـل رافـع العامـود بـدون

(1) Crazy in love.غنتها المغنية الأمريكية بيونسيه عام 2003

أداتـه. لكـن مَـن سـينتقد الرقـص عندمـا يتعلَّـق الأمـرُ بالتَّعـرِّي؟ ليـس أنـا علـى الأقـل، علـى الرغـم مـن أن السـاكن بـين سـاقي لا يـزال غـير متأثِّـر. ترحيبـه ليـس حـارًّا، يجـب أن أقلـق. لقـد اشـتريتُ لـه أغـلى موعـد في حياتـه، وأول شـطيرة لـه منـذ سـنوات وأفضلهـا. يلجـأ قلبـي إلى صرَّافي المتاجـر الكادحـين، الأعضـاء المتبرعـين في كنيسـة تورتشـور. لا يمكنني تـرك مسـاهماتهم تذهـب سُـدًى.

الساكن لا تقنعه حججي.

لسـتُ أفهـم، في المـاضي تـمَّ رفـعُ عَلَـم رجولتـي بنجـاح مـن قِبَـل عـددٍ لا يُحـصَى مـن جنـود الجنـس، لكنـه الآن يتحـوَّل إلى لوطـيٍّ. لا بُـدَّ وأنهـا قـراءة الكتـاب المُقـدَّس. أسـتدعي فريقـي الخيـالي، نخبـة خلايـا عقـلي، وبمسـاعدة كأس شـامبانيا آخـر، تمكَّنـتُ مـن تحويـل الفتاتـين بالكامـل إلى نسـخة مُقَرصَنـة مـن جـان ومونيتـا.

أخـيرًا، بينـما تُخـرج السَّـمراء ثدييهـا التوأمـين، وتخلع الشـقراء فسـتانها، وتكشـف عـن جسـمٍ نحيـف وشـبيه بجـان في ملابـس داخليـة لذيـذة، أشـعر بمقدِّمـات انتصـاب. أقـف عـلى قدمـي وأبـدأ في الرقـص البطـيء مـع سـيِّدَتَيْ حيـاتي. تجلـب صـورة القاتـل المولـود مـن جديـد وهـو يرقـص عـلى صـوت بيونسـيه الابتسـامةَ عـلى وجهيهـما، وتمـدُّ جـان يدهـا لتُعـزِّز القـوة بالأسـفل. تعمـل مسـاعدات التنميـة مـن لاتقيـا مثـل السـحر، والآن تتركَّـز كُلُّ مَخـاوفي عـلى تقويـم الأسـنان. إنـه يخيفنـي. يمكـن أن يصيبنـي.

سـواء كان بسـبب رغبتـي في التَّحقُّـق مـن حِدَّتـه، أو الشـعور الجيـد الـذي تبعثـه يـد الفتـاة، أو تَشـابُهها الوثيـق مـع ملكـة الثلـج الخاصـة بي، أو ببسـاطة النبيـذ الفـوَّار- فقـد انجرَفـتُ لفـترةٍ وجيـزة جـدًّا مُحـاوِلًا تقبيلهـا بشـكلٍ دَمـويٍّ، مثـل كاهـنٍ لعـين في بيـت دعـارة لعـين في قـرنٍ مـا.

سرعـان مـا أبعـدَت رأسـها عـن شـفتي لتزيـل يدهـا عـن منفـرج سـاقي المثـير للشـفقة. إنهـا مثـل صفعـة عـلى الوجـه. مـن عـاداتي القديمـة أن

أصِل تلقائيًّا إلى حَلِّ المشكلات شبه التلقائية، لكن لا شيء بالطبع، ولا خيار آخر لديَّ سوى الابتعاد.

وإذ أُسرع في الزقاق، وتنفتح الستائر قليلًا أثناء مروري بها، نظَرتُ خلفي ورأيت رجالًا يرقدون في مقاعد قابلة للبسط، وتعتني بهم نساءٌ نِصفُ عاريات. يَجثين بجانبهم مثل الأرامل يبكين أزواجهن المتوفين. أبتعد عن كل شيء وأتوجَّه إلى المَشرَب، أُلوِّح للنادلة وأسألها عمَّا إذا كان من الممكن الحصول على كيس بقايا طعام.

"ماذا؟".

"كيس بقايا طعام!".

اللعنة. أنا غاضب جدًّا.

"لماذا؟".

"لم أستَطِع إنهاء الوجبة التي دفَعتُ ثمنها للتَّوِّ!".

"ماذا؟ الوجبة؟".

"لقد دفَعتُ مقابل مداعبتين! أريد مداعبتين في كيس بقايا طعام!".

لا بُدَّ وأن صوتي غطَّى على بيونسيه وجاي زي في ممارستهم الصاخبة للحب؛ لأنني فجأة أصبحتُ مَركزَ اهتمام الجميع. حتى الراقصة على خشبة المسرح توقَّفَت عن الرقص. ظهر جود ني من كرسيٍّ قريب، تلاه جوستي النحيف. وإذ يقترب، يلوِّح بيده كقائد كرة قدم يحاول منع زميل في الفريق من تلقِّي البطاقة الحمراء. إنه على وشك أن يقول شيئًا ما، لكني لن أسمعه. سأرحل.

# 26
# الجَزّار

## 2006/06/21

طلبت من جودموندور أن يُدبِّر لي وظيفة. أرجوك... الكتاب المقدَّس لا بأس به، لكن لا يمكنني قضاء عشر ساعات في اليوم مُنكَبًّا عليه. أنا لستُ راهبًا. بالإضافة إلى أنني مَدينٌ لتورتوشور بليلة في نادي جراني.

بعد بضع مكالمات هاتفية، دَبَّر لي مذيع التلفزيون وظيفةً في مطبخ سامفير، وهي خدمة تقديم الطعام المسيحية للمحتاجين، يديرها صديقه في ضاحية قريبة. يقوم الطاهي كل صباح بإعداد ثلاثمائة وجبة من ثلاثة أسماك. يجب أن أكون هناك في الساعة الواحدة لغسل الأطباق عندما يبدؤون في العودة. حتى إنني أستَقِلُّ الحافلة، وهو شيء لم أفعله منذ الطفولة. عادةً ما أكون الرَّاكِبَ الوحيد على

متن الحافلة الصفراء الكبيرة 24 التي تأخذني مباشرةً تقريبًا من فندقنا إلى المنطقة الصناعية التي تشرف على معظم ريكياڤيك.

السائق من كوسوڤو، وأحيانًا نمزح بأننا يجب أن نملأ الحافلة بالقنابل ونتوجَّه إلى السفارة الصِّربيَّة.

أكَّد لي الشِّيف: "لا يجب أن تستقلَّ الحافلة يا تومي... قد يراك الناس".

"ماذا تقصد؟".

"الحافلة مُخصَّصة فقط للمجانين والسيدات العجائز والناس الجُدُد".

"النَّاس الجُدُد؟".

"البولنديُّون والكلاب الصفراء... إذا كُنتَ أيسلنديًّا، فلن تستقلَّ الحافلة".

يسمِّي الشِّيف نفسَه أولي، وينطق شيئًا مثل "أوليه"، وهو لقبٌ مُشتَقٌّ من ألفور، اسم والدي، الرئيس.

إنه مُدخِّنٌ شَرِهٌ، شاحب الوجه، بوحمة كبيرة على الجانب الأيسر من ذقنه، وقرط دائري صغير في أذنه اليسرى، وعداء مُذهِل تجاه الأجانب، ولغته الانجليزية جيدة بشكل مُدهِش.

الرَّجُل الثالث في المطبخ رجُلٌ ڤيتنامي صغير اسمه شيان، له شاربٌ خفيف ومائة سِنّة صغيرة، ويذكره أوليه عشر مرات في اليوم أن اسمه يعني "كلب" بالفرنسية. ومع ذلك، فإن توكسيك الكرواتي في مأمنٍ لأنه أيسلندي بنسبة عشرين في المائة ويحمل اسمًا محليًّا. أحاول ألَّا أبتسم وهو يصرخ في وجهي من بابه المفتوح وهو يدخِّن:

"يا تومي! قُلْ للكلب أن يُفرِغ القمامة أيضًا".

المالـك صديـقٌ لجودمونـدور واسـمه سـامي، رجُـلٌ صغـير، بطنـه وجبهتـه منتفختـان، ويمضـغ العلكـة مثـل بقـرة عـلى القَـشّ، ويحتفـظ بالنظـارات الصغـيرة عـلى طـرف أنفـه وهـو يرقـص طـوال اليـوم. لديـه ابتسـامة مَـن وُلـدوا مـن جديـد للمـرة الخامسـة وليسـت الأخـيرة عـلى وجهـه، ابتسـامة تقـول إن حياتـه بـين يـدَيْ اللـه، وعـلى الرغـم مـن أن العجـوز قـد يسـقطها أحيانًـا عـلى الأرض، لكنـه يسـتلمها دائمًـا مـرة أخـرى.

دخـل سـامي وأوليـه السـجن معًـا، كـما أخـبرني الطاهـي في نهايـة يومي الثـاني. الأول لسرقـة بعـض اللوحـات المـزوَّرة، والأخـير للقتـل الخطـأ مـن الدرجـة الأولى. جريمـة عاطفيـة تـمَّ تنفيذهـا بسـكين جـزَّار، حسـبما يقـول وهـو يُصـوِّب سـلاحه نحـوي، إذ يقطـع اللحـم البقـري لإعـداد "يخنـي" في اليـوم التـالي. "لقـد كان يضاجـع فتـاتي، الوغـد. كان عـليَّ أن أفعـل ذلـك، وإلَّا كانـت سـتتركني عـلى الفـور".

يبدو أنهما ما زالا معًا، اسمها هاربا.

"لا شيء يضاهي حُبَّ امرأة ارتكبتَ القتل من أجلها".

يجب أن أفكر في ذلك.

كسـب أوليـه احترامـي بعـد أن أفصـح لي عـن سِرِّه. لقـد قابَلـتُ أخـيراً رجُـلًا حقيقيًـا في أرض العُـرْج هـذه. لـديَّ فضـول بشـأن سـنواته السـبع في السـجن. مـا إذا كان قـد تعـرَّض للاغتصـاب أثنـاء الاسـتحمام. لا، كـما يقـول، يشـبه السِّـجن الأيسـلندي حَرَمًـا جامعيًـا أمريكيًـا: ألعـاب كـرة قـدم لا نهايـة لهـا، وجميـع المخـدِّرات التـي يمكـن أن تحلـم بهـا.

"السـجن الأيسـلندي يحظـى بشـعبية كبـيرة بـين الأجانـب. يـأتي رجـال المافيـا مـن ليتوانيـا في بعـض الأحيـان إلى هنـا لمـجرَّد أن يتـم الإمسـاك بهـم. بالنسـبة لهـم إنـه مثـل منتجـع صحـي أو شيء مـن هـذا القبيـل".

يمكنني أن أحب هذا البلد.

"ماذا عن ضحيتك؟ هل تفكر فيه عندما كنتَ محبوسًا؟".

"لا، ليس كثيراً. لقد كانت جريمةَ قتلٍ سعيدة، بعدها بأيام كنتُ أسعَدَ رجُلٍ على قيد الحياة. أعني أنه استحقَّها تمامًا. في بعض الأحيان أتمنى لو كان على قيد الحياة حتى أتمكَّن من فِعل ذلك مرة أخرى".

"لكن، سبع سنوات... لا بُدَّ أنها كانت مُمِلَّة؟".

"نعم، قليلًا. لكنني درست الطبخ واللغة الفرنسية و... علاقتي مع هاربا كانت أفضل من أي وقت مضى. أعني، لم أكن مضطرًّا للاستماع إليها، أو الذهاب للتسوُّق معها، أو الذهاب لرؤية والدتها بعد الآن، كما تعلم، أنا فقط حصلتُ على الأشياء الجيدة. الجنس في السجن هو الأفضل يا رجل"، يقول بابتسامة باردة وهو يُلقي سيجارته في ساحة انتظار مُبلَّلة، تُطلُّ على بعض المباني الصناعية الباهتة وبقية ريكياڤيك المورِقة.

"أنتَ لم تطلق النار على أحدٍ قَطُّ؟" سألته.

"بمسدَّس؟ لا، إن قتل شخصٍ ما بمسدس يشبه ممارسة الحب مع فأر" يقول هذا وهو يمسك بسكينه اللَّزِج. "كما تعلم، فأرة الكمبيوتر".

أعترف أني معجب بالمحسِنَيْن المقدَّسَيْن، الثنائي الكوميدي المعروف باسم جود وتورتشور، لديهم بعض الأصدقاء المثيرين للاهتمام. قبل أيام أخبرني بالاتوف أن جود ني أمضى بالفعل عقوبة في السجن النرويجي بتهمة تهريب المخدِّرات. تمَّ القبض عليه وهو يصطاد شيئًا مريبًا قُبالَة ساحل لوفوتين.

إذا رُسِم المجتمع على شكل دائرة، سنجد في قِمَّته الغالبية من أنصار الوعظ وإعادة التدوير (كل أولئك الذين لم يعبروا الشارع أبدًا

في الإشـارة الحمـراء، ولكنهـم يبـدؤون بلَعْـق شاشـة التلفزيـون في كل مـرة يظهـر فيهـا تـوني سـوبرانو اللعـين).

وإلى اليمـين لدينـا كبـار السِّـنّ الذيـن يحبـون السـلاح، والذيـن يُفضِّلون ضرب زوجاتهـم عـلى النـوم معهـنَّ. وعـلى عـلى اليسـار سـيكون لدينـا الرجـال المناهضـون للعولمـة، المجموعـة البائسـة التـي تُعـارِض كُلَّ الأشـياء الجيـدة في هـذا العـالم، مثـل اللحـوم والإباحيـة والاحتبـاس الحـراري. سـأجد نفـسي في الأسـفل، حيـث يلتقـي أقـصى اليمـين مـع اليسـار العنيـف. حيـث يجلـس الرجـال والنسـاء المقدَّسـات بجانـب القَتَلـة ولصـوص الفـن.

هنـا تُغلـق الدائـرة، في مطبـخ المحتاجـين، حيـث أسـتطيع أن أرى كيـف يلتقـي العالمـان عـلى السـن الحاد لسـكين أوليـه. إنهـا أول وظيفـة "صادقة" لي منـذ الفـترة القصـيرة التـي أمضيتهـا كنـادلٍ في أيـام بيـت شـون، وأرى أنهـا أكـثر مـن جيـدة. عـدم الاضطـرار للتفكـير هـو مصـدر ارتيـاح مُرحَّـب بـه؛ غسـل الصـواني البلاسـتيكية البُنِّيَّـة هـو شـكل مـن أشـكال التأمُّـل. أوّلًا أقـوم بتنظيفهـا مـن معظـم الطعـام (مـن الواضـح أن المحتـاج في أيسـلندا ليـس محتاجًـا إلى هـذا الحـد)، ثـم أشـطفها بالمـاء قبـل وضعهـا في غسَّـالة الأطبـاق القديمـة الكبـيرة، والتـي يسـألني عنهـا سـامي كلـما مـرَّ علينـا، كـما لـو كان كانـت والدتـه العجـوز "كيـف حالهـا اليـوم؟".

يقـودني أوليـه أحيانًـا "إلى المنـزل"، متجـاوزًا محطَّـة الحافـلات حيـث ينتظـر الكلـب[1] جنبًـا إلى جنـب مـع المجانـين المحلِّيِّـين، وحتـى صديقتـه الشـهيرة أوصلتنـي ذات مـرة في سـيارتها البولـو البيضـاء الصغـيرة.

هاربـا هــي زُبــدة أيســلندية شــقراء بالكامــل مــع سُــمرَة مُزيَّفــة، ووشــوم قَبَليَّــة عــلى معصمهــا، وأخبرتنــي أن اســمها يعنــي "القيثــارة".

(1) chien بالفرنسية، ويَقصد به الڤيتنامي "شيان".

في الواقـع تبـدو أقـرب إلى "عـود" برقبتهـا الطويلـة ومؤخّرتهـا الكبـيرة. ومـع ذلـك فهـي مثـيرة نوعًـا مـا. قـد أشرع في القتـل مـن أجلهـا في اليـوم العـاشر أو الحـادي عـشر.

إنـه شـعور رائـع أن أعـود مـن العمـل كلَّ يـوم دون قتـل أي شـخص. قـد لا يكـون نـوم المسـتودع مثاليًـا، لكـن عـلى الأقـل توقّفـتُ عـن إضافـة جُثَثٍ جديـدة إلى المخـزون. عـادةً مـا أعـود إلى الثكنـات في الخامسـة أو السادسـة، بحـوزتي بقايـا طعـام غـداء سـامفير، الـذي أقـوم بتسـخينه في ميكروويـف مـن عصـور مـا قبـل التاريـخ، وأتناولـه في المطبـخ إذا لم يكـن بالاتـوڤ موجـودًا.

لا بُـدَّ أن أضبـط مصاريفـي، بالإضافـة إلى أن طعـام أوليـه جيِّـد، لكـن معرفـة أن الشـيف قاتـلٌ مُـدانٌ، وهـو رَجُـلٌ يسـتمتع بتقطيـع اللحـم؛ تضيـف نكهـة إضافيـة إلى الوجبـة. منـذ بـدأت العمـل مـن أجـل لقمـة العيـش، أدركـت أن أيسـلندا هـي أغـلى بلـد في العـالم. يكلِّـف مـلء ثلّاجـة واحـدة بنصـف كيلـو مـن الجـبن مـا يصـل إلى نصـف كيلـو مـن الحشـيش. لا يـأكل العديـد مـن الأجانـب سـوى الطعـام منتهـي الصلاحيـة الـذي تتركه المحـلات التجاريـة عنـد أبوابهـا الخلفـي كل ليلـة، وقـد أخبرتنـي جـان عـن سـائح ألمـاني أصيـب بنوبـة قلبيـة خفيفـة بعـد حصولـه عـلى شـيك لكوبَيْن مـن الكوكتيـل في فنـدقٍ عـصريٍّ بوسـط المدينـة.

أقـول دائمًـا إن "أفضـل بلـد في العـالم" يجـب أن يكـون مثـل أفضـل ملهـى ليـلي: يجـب أن يكـون أغـلى ملهـى.

وفقًـا لقواعـد العـلاج، لا يُسـمح لي بالخـروج ليلًا. لا يسـمح لي تورتشـور حتـى بـأيِّ كُتُـبٍ بخـلاف الكتـاب المقـدَّس، ولا يُسـمَح لي مُطلَقًـا بإلقـاء نظـرة عـلى أقـراص دي ڤـي دي أو تصفُّـح الإنترنـت. لذلـك، بـصرف النظـر

عـن القصائـد السـمراء القصـيرة التـي تلاهـا بالاتـوف (أعتقـد أن أوبـرا[1] في الحـمَّام... إنهـا بارعـة) فالكتـاب المُقـدَّس هـو الترفيـه الوحيـد.

لم أحـب القـراءة أبـدًا، ومـع ذلـك قـرأتُ روايتـين أو ثـلاث روايـات عندمـا جعلنـي ديـكان أتجـوَّل في الولايـات المتحـدة، وأقـوم بعمليـة في كل مدينـة. لا يمكـن الاكتفـاء في تلـك الأيـام الطويلـة في الفنـدق بعامـلات الجنـس الهاتفـي فقـط.

لذلك أمضيت لياليَّ البيضاء الطويلة مع الكتاب الأسود الكبير.

بالطبـع يوجـد تلفزيـون صغـير في المطبـخ، ولكـن كل البرامـج أيسـلندية -بعـض الحُلْـوات الشـقراوات كالزُّبـدة يقـرأن أخبـار البلـدة الصغـيرة، يليهـا حمقـى أمريـكان يأكلـون الديـدان الحيَّـة- بالإضافـة إلى أن بالاتـوف يحتكـره، فبـدلًا مـن مشـاهدة التلفزيـون يحرسـه كـما لـو كان خزنـة. يشـتم كلَّ عنـوانٍ فرعـي يظهـر عـلى الشاشـة، وهـو يهـرش إبطيـه الأشـبه بمكـبِّرات صـوت تنبعـث منهـما رائحـة. (إذا كان يعمـل بالفعـل مـع المباحـث الفيدراليـة، فهـذا أفضـل تمويـه في تاريـخ المكتـب. تمويـه بعيـد تمامًـا عـن تسريحـات مايـكل كيتـون).

يجـب أن أُلـزِم نفسـي حقًّـا بالعهـد القديـم اللعـين. تعرَّفـتُ عـلى بعـض القصـص الجميلـة وكل شيء، ولكـن معظمهـا مُجـرَّد حماقـات مؤيِّـدة لإسرائيـل حـول الخلافـات القَبَليَّـة والصراعـات الحدوديـة.

كيـف هــذا وذاك، كيـف دفـع السـيد بـوش هــذا وذاك فلسـطين أو الفلسـطينيِّين عـن أرضهـم. يشـبه إلى حـدٍّ كبـير مـا لدينـا في الأخبـار التلفزيونيـة اليـوم. هـؤلاء الرجـال مـا زالـوا عالقـين في العهـد القديـم، يجـب عليهـم عـلى الأقـل أن يَطَّلِعـوا عـلى الجديـد.

---

(1) Oprah Gail Winfrey - المذيعة الأمريكية الشهيرة أوبرا وينفري.

لا بأس بيسوع، على الرغم من أنني أجد صعوبةً كبيرة في مفهوم تسليمه خطاياك وتحميله مسؤوليتها، أرى أنه أمر دنيء نوعًا ما. بالإضافة إلى أنه حتمًا مشغول. يشبه الأمر نقل القمامة إلى الكنيسة وتركها هناك بالقرب من المذبح. أو ربما تلك هي الفكرة وراء كل ذلك. الكنيسة كحاوية لإعادة التدوير، نوعًا ما لا يختلف الأمر عن النظام الموجود في زغرب ساموفار. هناك هذا الرجل، توميسلاف، المسمَّى بـ "المُطهِّر"[1] والذي يأتي كلَّما احتجناه لتنظيف خطايانا.

أعتقد أنه خطأ فادح أن يُظهر الله وجهه أو يده أو أيًّا كان ما رآه موسى على قِمَّة الجبل. كان يكتب حينها صكَّ متاعب للمنطقة اللعينة بأكملها.

عشرة آلاف سنة من المتاعب.

إنها تُذكِّرني بتلك المسرحية التي رأيتُها ذات مرة في المسرح الوطني الكرواتي في سبليت.

كانت سينيكا من كبار المعجَبات بالمسرح وجعلتني أحضر شتَّى الأشياء المجنونة. إحدى تلك المسرحيات من بولندا، حيث كان المؤلِّف جالسًا على خشبة المسرح أثناء الأداء، وكان طوال الوقت يصرخ بتعليماته للمُمثِّلين. أعتقد أنها كانت المرة الأولى التي أفكِّر فيها في قتل شخص ما.

لا يمكنك تغيير مسرحية سخيفة بعد ارتفاع الستارة.

وينطبق هذا على الله أيضًا.

لم أعتقد أبدًا أن قراءة الكتاب المقدس قد تثير الغضب. ولكن ربما كان من المفترض أن تفعل. على الأقل عندما تفكر في تورتشور. أعتقد أن الألوهية مثل الكحول. كلَّما تَعمَّقتُ في ذلك؛ كلَّما تَساءَلتُ

(1) The Cleaner: بمعنى قاتل.

أكثر عمَّا إذا كانت فكرةً جيِّدةً من الأساس. كلما كان بلدك أكثر تَديُّنًا؛ زادت احتمالية اندلاع الحرب. على الأقل لم يُظهر اللهُ وجهه في أيسلندا. أخبرني أوليه أنه لم يخلقها من الأساس. لا عجب أنها أكثر دولة سِلميَّة في العالم.

"اعتقدتُ أنكم وُلِدتم جميعًا من جديد؟" أسأله في اليوم التالي.

"حسنًا، الله صديق سامي. لقد أعانه كثيرًا. حتى إنه أخرجه بكفالة من السجن، وأقرضه بعض المال لبدء هذه الشركة وكل شيء"، كما يقول بابتسامةٍ، بينما يُخرِجُ ساقَ حَمَلٍ من الثلاجة. "ولكن بالنسبة لي، لا أعرف، بعد أن قتلتُ هذا الرجل، أصبح كل شيء بالنسبة لي مجرَّد..." توقَّف مُؤقَّتًا أثناء بحثه عن الكلمة الصحيحة، ثم هزَّ رأسه ووضع ساقه على منضدة العمل "... لحم".

"لحم؟".

"نعم. أنا أحبُّ الحياة وكل ذلك، لكن كل ذلك مجرَّد لحوم بالنسبة لي".

"نعم".

"الحياة بسيطة للغاية. إمَّا لحمٌ مَيِّتٌ أو لحمٌ مُتحرِّك".

يلتقط سكِّينه، سكين مطبخه المفضَّل، إنه يتحدث إليها الآن. أنا مجرَّد مُتفرِّج، كل شيء يجري بين الرَّجُل والسِّكِّين.

شيان بعيدًا عن الحوض يغسل المقالي. ينخفض صوت أوليه، ويهتزُّ القرط الذهبي الصغير على خدِّه البارد.

"عندما ذبَحتُ هذا الرجل، كان الأمر... كان أشبهَ برؤية الله، أو شيء من هذا القبيل. رأيتُ... رأيتُ كيف هي الحياة، وأنها فقط...".

ينظر إلى الأعلى الآن وينظر إليَّ.

"كـما تعلـم، لقـد مارسـنا الحـب بينـما كان لا يـزال عـلى الأرض. كان الأمـر جنونيًّـا حقًّـا، لكنـه كان مثـل اللـه".

أعتقد أنني اخترت السلاح الخاطئ.

# 27
# حَمَم الحُبّ

**2006/06/25**

أحاول أن أحافظ على حياتي البسيطة. بعد تجاوُزي الأخرق في نادي التَّعرِّي، عُدتُ إلى المسار الصحيح. يتَّصِل بي الكاهن النافذ كلَّ يَومٍ ويتفقَّدني، ويعطيني المزيد من نصائح القراءة، ويدعوني إلى وجبة غداء رائعة يوم الأحد، والتي تضمُّ كل اللحوم التي يمكنك تناولها مع جودموندور وسيكريدر، إنهم جميعًا فخورون بي، ولا يمكنهم أن يرفعوا عيونهم عني، وينظرون إليَّ نظرةَ مُزارِعٍ إلى فحله الواعد. أنا خنزيرٌ من غينيا، لقد تحوَّل الفأر الأسود إلى الأبيض. تورتشور وأبناء هانا، فتاة صامتة وصبيَّان صغيران بعيون كبيرة، ينظرون إليَّ مثل ديڤيد بيكهام الكهنوتي.

أحاول أن أبتسم مثل الأبله المولود من جديد. حتى إنني حَلَقتُ عن قُربٍ وأصبَحَت لي قَصَّة شَعْرٍ قصيرة قامت بها هانا. إذا كنت أرتدي ربطة عنق وأحمل كتابًا مقدَّسًا، فلن يفتح لي أحدٌ بابه.

تقول سيكريدر: "إنه لأمر رائع أن تعرف أنك تعمل وأن لديك مكانًا خاصًّا بك وكل شيء".

يجب أن أدعوها لإعطائي نصائح في الديكور.

"نعم. سيكون بخير، إنه رجُلٌ طيِّب" تقول هانا.

أرسم ابتسامة جديدة. ينظر إليها الآخرون في مفاجأة صامتة، ربما تجاوَزَت حدودها. تضيف بسرعة وتلتفت إليَّ:

"أعني، أنتَ فقط لم تكن محظوظًا، لو كنتَ وُلِدتَ هنا في أيسلندا لَمَا رأيتَ الحرب أبدًا و... أنتَ رَجُلٌ جديد الآن. نأمل فقط ألَّا يعثر الأمريكان عليك".

كلهم يغمغمون موافقين على ما قيل، وأنا أؤكِّد لهم:

"أظنُّ ذلك، مع جواز سفري الأيسلندي، سأكون بخير".

مرة أخرى جولة من الإيماءات.

"نعم، لم يَمُت الأب فريندلي عبثًا" أعلن تورتشور، واضعًا يده الثقيلة على كتفي.

يصعب فهم العبارة للغاية على جودموندور. تَعيَّن على صديقه أن يشرح عبارة "عبثًا"، فظهرت العبارة الأبسط:

"نعم، لقد مات من أجل خطايا تومي!".

ها أنتَ ذا. حصل السيد المسيح على إجازة وحل مكانه السيد فريندلي. عليك أن تحب هذا الدِّين وحسب. تقوم أوَّلًا بإطلاق النار على 125 شخصًا، وبمجرَّد أن يبدأ ضميرك في التدهور (عند حوالي رقم

124) كل ما عليك فِعلُهُ هو العثور على شخص مُقدَّس بدرجة كافية لتحمل خطاياك.

ثم تطلق النار عليه فقط، وبانج! ينطلق معهم إلى الجنة.

لن تضطرَّ أبدًا إلى رؤيتها أو التفكير فيها مرَّةً أخرى.

لقد اعتَدتُ ببُطءٍ على اسمي الجديد. لا تزال جان تستخدم تود بالرغم من ذلك، إنها تتصل كثيراً. وأجيب فقط على نصف مكالماتها. الزفاف أمرٌ لا مفرَّ منه، على ما أعتقد، لكن في الوقت الحالي أحاول إبعادها. أنا لستُ مُستعدًّا بعد، أحتاج إلى إخراج مونيتا من عقلي وجسدي، أو من ثلاجتي على الأقل (أحيانًا أرى رأسها هناك، بين رسوم الحليب الكرتونية المحلية ووحش السِّلامي البولندي). لستُ متأكدًا كذلك من والديها. إن إنقاذ حياتي شيء، لكن منحي ابنتهم شيء آخر تمامًا. الأهم من ذلك كله أنني بحاجة لإنهاء هذا العلاج اللعين.

تدعو فتاة الجليد نفسها بانتظام للزيارة، لكني أؤكِّد لها ألَّا امرأة وَطِئَت هذا المكان على الإطلاق، وأن مشهد الجمال المحلي سيؤدِّي بلا شك إلى أعمال شغب في الثكنات. سيقتحم آل ياروسلاف جميعًا غرفتي وينشغلون بجان، ويطلبوا مني حمل الكاميرا.

لكن محاولة كبح الحب تشبه محاولة كبح الحُمَم البركانية.

تشغيل الحُمَم. ذات يوم، عند عودتي من العمل، أجد فتاة مسلسل "داي بريك" جالسةً في المطبخ مع جَبَل المَرَح البلغاري. أتساءل عمَّا يتحدَّثان عنه. لا بُدَّ أنه يسألها ما إذا كان أيٌّ من عُشَّاقها الأربعين أسود. أنا مندهش لأنها لم تتعرَّض للاغتصاب بعد. لا بُدَّ وأنها شديدة البَياض بالنسبة له.

"قلت لكِ لا يجب أن تأتي إلى هنا. أنتِ مثل حَمَلٍ في عرين الأسد هنا" أهمس لها بينما نعود إلى زنزانتي.مكتبة سُر مَن قرأ

"حسنًا، لم ترغب في القدوم لرؤيتي؛ لذلك كان عليَّ أن آتي لرؤيتك" تقول بابتسامة شديدة البرودة، لكنها تبدو جنسيَّةً بشكلٍ عَرَضيٍّ، أو عارِضَة بشكلٍ جنسيٍّ، اعتمادًا على أيِّهما أفضل في اللغة الانجليزية.

"هذا الرجل خطيرٌ. إنه وحيدٌ للغاية إنه مثل الثقب الأسود، يمكنه أن يبتلعك في لحظة، عمَّ تحدَّثتما؟".

"لا شيء حقًّا. كان يخبرني فقط عن مزرعة عائلته، أن والدته تصنع المُربَّات بنفسها، وأنه اعتاد قطف التُّوت بنفسه أو أيًّا كان".

إذًا فهو جامِعُ توتٍ أيضًا. أعظم تمويهٍ لا يزال يتحسَّن. ندخل إلى مساحتي فيختفي الكلام لمدَّة أربعين دقيقة. لهذا الإجراء؛ يجب أن أقوم بإخراج الفوتون من قاعدته الصخرية. نحاول أيضًا الحفاظ على أصوات أجسادنا منخفضة؛ لأن جدران غرفتي -كما ذكرنا سابقًا- لا تبلغ السقف. (تُذكِّرني الزنزانة أحيانًا بمرحاض كبير) لا أريد المخاطرة بأن ينتهي بي المطاف في القسم الجنسي لدماغ بالاتوف، حيث يتمُّ تخزيني بعيدًا على الرَّفِّ، مثل مُربَّى في جَرَّة، بجواره هو وباتي لابيل[1] في نهاية سيارتها الليموزين.

ثم نستلقي معًا على المرتبة السميكة، أنا وجان فتاتي الدافئة، ونشاهد أضواء النيون ونستمع إلى السيارات وهي تتحرَّك في موقف السيارات بالأسفل. حان وقت الإغلاق، وقد صُرِفَت فتيات اليوم الثالث في المتجر ذي البلاط الفاخر، وجنة الأثاث الهندية في الساحة قبل انتهاء يوم العمل. ليفتَحْن أقفال السيارة بريموتات سياراتهنَّ

(1) Batty labelle: مغنِّية أمريكية.

الصغيرة الأشبه بالمسدَّسات، أو يُقِلّهن أصدقاؤهنَّ الذين نَفَدَ صبرهم إذ يقودون سيارات بي إم دبليو السوداء.

"كيف تقول أيسلندا باللغة الأيسلندية؟".

"إزلاند".

"رائع. تبدو مثل جزيرة الراحة".

"نعم. لقد فَهِمتُ الأمر بشكل صحيح".

"لكن هذا لا يبدو صحيحًا. لا يبدو أنكم مرتاحون أبدًا".

"يمكنك أن تقول ذلك" تقول جانهيلدور. "نحن أُناسٌ نَفَدَ صبرهم. على سبيل المثال، لا نعرف كيف ننتظر في الطابور. نحن ننتظر دائما في مُثلَّث".

"لماذا؟".

"أعتقد أنه بسبب قِلَّة عددنا، لا نعرف كيف ننتظر لأننا لم نضطرَّ لذلك أبدًا".

"لكنني لا أفهم لماذا أنتِ كثيرة التَّذمُّر؟ لم أذهب أبدًا إلى بلد أكثر استرخاءً وهدوءًا".

"هذا أيضًا لأننا قليلون جدًّا. يحاول الجميع التصرُّف كما لو كانوا ثلاثة أشخاص مختلفين. نحن نبذل قصارى جهدنا لتبدو ريكيافيك مثل نيويورك".

"حسنًا... عليكم أن تبذلوا جهدًا أكبر بعد ذلك".

"أنا أبذل قصارى جهدي. في الصباح أنا نادِلةٌ، وفي فترة ما بعد الظهر أكون في المكتب، وفي المساء أدرس التدليك".

"أنتِ؟ تدليك؟".

"نعم، لقد بدأتُ للتَّوِّ الأسبوع الماضي".

أنـا عـلى وشـك أن أقـترح. نتحـدث عـن التدليـك لفـترة، وشرَحَـت لي الفـرق بـين التقنيـات السـويدية وتقنيـات شياتسـو، فشرحـتُ لهـا الفـرق بـين التدليـك العـادي والتدليـك الكامـل للجسـم. ثـم سـكتنا قليـلًا قبـل أن أقـول:

"نعم، لا أعتقد أنني أوَدُّ أن أصبح قاتِلًا مُحتَرِفًا في أيسلندا".

"لِمَ لا؟".

"لأنكم قليلون جدًّا. لا أعتقد أنني سأقوى على إطلاق النار".

إنهـا تضحـك ضحكتهـا المفعمـة بتبـغ الهاسـكي، وتتطـوَّر إلى سلسـلة مـن السُّـعال الصغـير الـذي يتـوق إلى سـيجارة.

"ولكـن لمـاذا أنتـم قليلـون جـدًّا؟ أعنـي ألَـمْ تخوضـوا أيَّ حـروب مـن قبـل؟".

"لا، لكـن البعـض يقـول إن الطقـس هـو حربنـا. يمكـن للجليـد أن يكـون مميتًـا مثـل النـار".

إن صِغَـر حجـم الأمـة الأيسـلندية يُفسِّره المـاضي، كـما تقـول، وقـد مـلأت غرفتـي بدخـان الانفجـارات البركانيـة والأوبئـة والشـتاء البـارد المتجمِّـد لدرجـةٍ يمكنهـا أن تمحـي الأرض مـن شـعبها.

لم يبـدأ (الإيزلنديـون) حقًّـا في الازدهـار حتـى حصلـوا عـلى الكهربـاء والتدفئـة المركزيـة. زاد عددهـم في الخمسـين عامًـا الماضيـة بمقـدار 150.000. يقـارب هـذا عـدد الذيـن قُتِلـوا في حربنـا. كان بإمكاننـا حـلُّ المشـكلة بإرسـالهم جميعًـا إلى أيسـلندا، أرض يمكـن أن تسـع بسـهولة عـشرة أو عشريـن مليـون نَسَـمَة. لكـن مـا كان سيُسـمح لهـم جميعًـا بدخـول البـلاد أبـدًا بحسـب جانهيلـدور.

ينحنــي القاتــل أمــام زملائــه الرجــال الذيــن يُفضِّلــون رؤيــة النــاس يموتــون عــن الســماح لهــم بالتخييــم في مروجهــم.

نتحــدَّث عــن الحــرب وتُواصِــل جــان تدخــينَ ســيجارتها، ثــم تســألني عــن أخــي داريــو.

"كم كان عمره عندما توفِّي؟".

"كان أكبرَ مني بثلاث سنوات. ثلاثة وعشرين".

"رائع. ما الذي كان يعجبه؟ هل كان مثلكَ؟".

"لا. لقــد كان بطلَنــا، الابــن المفضَّــل. لــقد كان أكــثرَ لياقــةً، وكأنــه إلــهٌ يونــاني، وكان يمــارس الرياضــة و... كان في المنتخــب الوطنــي في القفــز بالزانــة".

"ما هذا؟".

"إنها قفزٌ على عصا. هل تعرفين سيرچي بوبكا؟".

"لا".

"لا؟ أعظــم ريــاضي في كل العصــور. الرجــل الأوكــراني. فــاز بالميداليــة الذهبيــة في ســيول. تــدَرَّب داريــو معــه لفــترة، كان بطلَــه الكبــير، وهــو أمــرٌ غريــب نوعًــا مــا. في نفــس الليلــة التــي قُتِــلَ فيهــا داريــو ســجَّل بوبــكا رقــمًا قياســيًّا عالَميًّــا. حطَّــم الرقــم القيــاسي العالمــي الثــاني عــشر أو شيء مــن هذا القبيــل، سِــتَّة أو ثمانيــة أمتــار في إحــدى المــدن الروســية. كان الأمــر كــما لــو أن روح أخــي ســاعدته، ورفعتــه بضــع بوصــات أخــرى. قفــز الــروح".

اللعنة. أشعر بعاطفة زائدة تجاه هذه الفتاة الجليدية.

"رائع... هذا مُذهِل. هل ذهب أخوك إلى دورة الألعاب الأوليمبية؟".

"لا. لكنه كان سيذهب إلى أتلانتا في ستة وتسعين، إذا...".

أفتـح عينـيَّ قـدر اسـتطاعتي، وأثبِّتهـما حتـى يَجِفَّـا عـلى أمـلِ ألَّا تلاحـظ. لا. إنهـا فقـط تُراقِـبُ الدُّخـان يتصاعـد مـن فمهـا الخـارق.

"رائع. إذًا كان بمثابة نجم؟".

"حسـنًا، ربمـا لا. القفـز بالزانـة ليـس بهـذه الأهميـة في كرواتيـا. كان مثـل شـهابٍ أو شيء مـن هـذا القبيـل".

أبـدو دائمًـا كسـيدة عجـوز عرجـاء عندمـا أتحـدَّث عـن أخـي الميـت؛ لذلـك أنـا لا أتحـدَّث أبـدًا.

"إذن لا بُدَّ أنه كان من الصعب عليك...".

"في الواقـع، كان الأمـر غريبًـا نوعًـا مـا. مـوت أخـي خَـدَّر حقيقـةَ أننـي قَتَلـتُ والـدي، والدنـا".

"لماذا؟ كيف؟".

"يبـدو الأمـر كـما لـو أنَّـك أشـعلت النـار في منزلـك عـن طريـق الخطـأ؛ فهـذا يُهـدِّئ بعـض الـشيء، أو يجعـل الأمـر أقـلَّ سـوءًا، أن تـرى منـزل جـارك يحـترق أيضًـا".

"لكنَّ أخاك أهم بالنسبة لك من منزل جارك القبيح؟".

"بالطبـع بـكل تأكيـد. أو بوسـعِكِ أن تقـولي إن مـا حـدث مـع أبي منعنـي مـن الضربـة التـي كان مـن الممكـن أن تتسـبَّب بهـا وفـاة أخـي. لا يمكنـك الحصـول عـلى اثنـين مـن أ.ل.ع في حياتـك".

"أ.ل.ع؟".

"أسوأ لحظة على الإطلاق".

"آهـا. إذًا لم يكـن مقتـل حبيبتِـكَ وحـادث الطريـق الخـاص بـك مُروِّعًـا؟".

"لا، لكن حين رفضتِني لأنَّكِ ظننتِ أنني كاهن... كان ذلك فظيعًا جدًّا".

تبتسم قبل أن تقول:

"ولكن بعد ذلك اكتشفتُ أنَّكَ قاتِلٌ مُتَسلسِلٌ ووَقَعتُ في حُبِّكَ".

تضحك. أحتفظ بكلمة "حب" بين أذني، وأدع عقلي يداعبها مثل جروٍ حديث الولادة.

أقول "أنتِ مريضة".

"نعم. الحب مَرضٌ" تقول بينما تطفئ سيجارتها في نصف زجاجة جاتوريد الفارغة على الأرض بجانب الأريكة وتمسك بوجهي. أبتَسِمُ ابتسامتي المكسورة، تضع سبَّابتها على فمي وتستبدل السِّنَّ المفقودة بطرفه. العين بالعين والإصبع بالسِّنِّ. تُبقي إصبعها هناك لفترة وتبتسم، قبل أن تُزيلَها لتُقبِّلَني.

قبَّلَتني كفتاةِ جزيرةٍ وجَدَت حُطام سفينة بَشِعًا على الشاطئ. إنه مُصابٌ بكدمات ومضروب، ووجهه مثل سمك السَّلمون الأحمر من حروق الشمس المالِحَة، وصلب مثل قطعة ضخمة من اللحم، وبالكاد يستطيع تحريك لسانه. لكنها تساعده.

يصيح لينون[1] في أذنَيْ جان بصوت عالٍ إذ يغني أغنية قديمة للبيتلز. تلك الأغنية عن مُسدَّس دافئ[2].

مكتبة
t.me/soramnqraa

---

(1) John Lennon مغني إنجليزي شهير.

(2) يقصد أغنية Happiness is a warm gun

# 28
# سَريرٌ من الورود
# سَريرٌ من الطَّحالِب

## 2006/06/25 - 2006/08/5

وفقًا للتقليد المحلي، يستمرُّ الصيف الأيسلندي ستَّةَ أسابيع فقط. من نهاية الأسبوع الأخيرة في يونيو حتى الأول في أغسطس. يُقال أيضًا إنَّ هذا هو الوقت الذي يستغرقه الوقوع في الحب. المشكلة الوحيدة هي أنه خلال هذه الفترة أضاء البلد الجليدي مثل حديقة ماديسون سكوير في مباراة نيكس، طوال أيام الأسبوع، لا ظلال ولا زوايا مُظلِمة. يستحيل إخفاء أي شيء مثل سيارة أو قُبلة.

فضَّلنا ألَّا تأتي جان إلى الفندق مرة أخرى. لم نشأ إقحام والديها في الأمر حتى نُحدِّد موعدًا. عُمَّال المتاجر ليسوا هم المشكلة، لكن قد يكون بالاتوف كذلك، وبالتأكيد جود ني. لكن فتاتي العبقرية تجد طريقة. علمت أن إحدى صديقاتها تعمل بالفعل في ماهابهاراتا،

متجر الأثاث الهندي أمام ساحة انتظار السيارات. كلُّ ما عليَّ فِعلُه هو أن أتسلَّل في منتصف الليل وأتجوَّل في منطقتنا المهجورة، وألقي التحية على فريق طيور النورس المسؤولة عن الحفاظ على نظافتها، قبل أن ينتهي بي المطاف عند الباب الخلفي للمتجر الهندي، حيث تنتظرني جان في سيارتها الفابيا الحمراء الصغيرة، وقد أنهت لتوِّها دروس التدليك أو ليلة في نادي مُعجَبي تارانتينو. لديها المفتاح وكذلك رمز الأمان الذي تكتبه في الشيء الموجود على الحائط بجوار المدخل.

نشقُّ طريقنا عبر المكتب ونخرج إلى المتجر. عُرِضَت في الخلف ثلاثة أسِرَّة ذات حجم كبير، كلها مصنوعة في الهند بواسطة نجَّار يبلغ من العمر اثني عشر عامًا. لقد جرَّبناها جميعًا، لكن الفِراش الموجود خلف فاصل غرفة كاما سوترا[1] هو الأكثر أمانًا. لا يمكن رؤيته من النافذة المُشرِقة بشدَّة بسبب الإضاءة القادمة من الخارج. في النهاية تَمَكَّنَّا من العثور على زاوية شبه مُظلِمة في الأرض المشرقة الساطعة. وإذ يَصِرُّ العمل اليدوي الهندوسي، يمكنني تكريم ذكرى حُبِّي الضائع. لقد تحمَّل الفِراشُ كُلَّ الجمباز المُذهِل الذي قمنا به. هؤلاء الأطفال الهنود يُتقِنون حرفتهم حقًّا.

لا بُدَّ أن تعتبر ليالينا في ماهابهاراتا واحدة من أفضل منتجات العولمة. يحتفل الكرواتي بصيفه الهندي في أيسلندا مع الشمبانيا الفرنسية والسوشي الياباني وموسيقى تايلاندية باسِطَة للعَضَلات.

(أحضرت جان كل هذا، وجلَبَت الموسيقى من فصلها). الواقي الذكري من مانشستر بانجلترا، والسجائر من ريتشموند بفيرجينيا، مسقط رأس أبينا فريندلي. لا، إنها لا تُدخِّن داخل المحل، وعلينا أن نحرص على عدم ترك أيِّ بُقَعٍ أو حمَّالات الصدر.

---

(1) Kamasutra: تعني في اللغة السنسكريتية 'أصول الحب' وهو نص هندوسي قديم عن الجنس والحب.

شيئًا فشيئًا تمكّنَت جان من نقل بقية أغراض مونيتا (بما في ذلك الرأس) من عقلي وإعادة ترتيبها بنفسها.

سجاجيد ومصابيح هندية. وشيئًا فشيئًا يتحوَّل صيف الجنس إلى صيف آخر. تضيف السريةُ بُعدًا أعمق للأمر، وأنا أحاول كلَّ ما بوسعي لأذيب جيدًا، بينما تُحوِّل ألاعيبها الجسدية، التي تعلَّمَتها حديثًا، دمي بسهولة إلى حُمَمٍ بركانية. يمكن أن أموت سعيدًا وأُدفَن في التربة الأيسلندية مع علامة مُميِّزة: تومي أولافس، منظِّف صحون (1971- 2007).

في نهاية كل جلسة، ترشُّ جان السرير بنكهة هنديَّةٍ ما عثَرَت عليها في المكتب. بحلول نهاية الشهر، تنبعث منه رائحة أفضل بيت دَعارة صغير في بومباي.

تقول: "لا بأس حقًّا... لا أحد يشتري أسِرّة خلال الصيف".

"لما لا؟".

"إنهم مشغولون جدًّا باستخدام القديمة".

من الواضح أن الأيسلنديين هم شعب مختلف خلال الموسم المشرِق. يتوقَّفون عن فِعل الأشياء التي اعتادوا القيام بها في فصل الشتاء، مثل مشاهدة التلفزيون وارتداء الملابس والاستحمام. حتى وقت قريب تمَّ إغلاق التلفزيون في يوليو. الصيف قصيرٌ جدًّا لدرجة أن الناس بحاجَةٍ حقًّا إلى التركيز عليه. إذا وصَلَت درجة الحرارة إلى خمس عشرة درجة مئوية (يحدث ثلاث مرَّات في السنة)، تُغلِق جميع المتاجر والبنوك بعد دقيقتين؛ حتى يتمكَّن الموظَّفون من الخروج والاستمتاع بموجة الحَرِّ.

تشرح جان أن هذا يُسمَّى "عطلة الشمس". عليك أن تشفق على هؤلاء الناس. تلك الأسابيع السِّتَّة لا تُعتَبر صيفًا في أي مكان آخر. "أرض

الدَّرجات العشر" ليست مَزحةً، متوسِّط درجة الحرارة في يوليو هو بالضبط ذلك. الصيف الأيسلندي يشبه الثلَّاجة التي تتركها مفتوحة لمدة ستة أسابيع، النور مُضاء وكل الجليد يذوب بعيدًا، لكن لا يمكن أبدًا أن يصبح دافئًا حقًّا؛ ففي النهاية هي مُجرَّد ثلَّاجة.

ولكن في إحدى ليالي السبت في أوائل أغسطس، اختفت كلُّ الأسِرَّة من المتجر. هاتَفَت جان صديقتها، فأوضحت أنهم يستعدُّون للخريف، خطُّ إنتاج الكارما اللذيذة من المصنع الابتدائي في بومباي، لا بُدَّ أن يصل في أيِّ يومٍ الآن. نخرق قواعد تورتشور، وتأخذني في جولة خارج المدينة.

إنها ليلة جميلة، تشارك غروبَ الشمس الذهبي عبر الخليج سُحُبٌ مُذهِلة في الغرب، وقد ذهَبَت كلُّ الرياح في الخارج لقضاء عطلة نهاية الأسبوع. نتَّجِه شَرقًا فأشعر وكأني خارج من السجن. أخيرًا رأيتُ شيئًا آخر غير بالاتوف وخطِّ الحافلات 24 وأوليه المُخبِر والأثاث الهندي. يأخذنا الطريق عبر المنزل السابق لكاتب ميِّتٍ شهير. يبدو أن هذا هو المنزل الوحيد في أيسلندا الذي يحتوي على حوض سباحة. تشرح جان أن ذلك كان جزءًا من جائزة نوبل التي حصل عليها، على الرغم من أنه كان عليه توفير المياه بنفسه. إنه مُتحَفٌ الآن، يمكنك أن ترى الماء الذي سبح فيه، على أمل أن يراقب فيه عبقريته، على ما أعتقد.

إنها تأخُذُني إلى أشهر مكان في الأرض، وادي ثينج، موقع أول برلمان في الهواء الطَّلق في العالم. في الواقع، لا أعتقد أنه هناك أي مكان يشبهه.

لكن في منتصف الطريق، أدركنا أن سيارتنا التشيكية ينقصها الوقود؛ فقرَّرنا بدلًا من ذلك التوقُّف والذهاب في نزهة صغيرة إلى حديقة القمر. جلسنا هناك على سريرٍ من الطحالب الرمادية الصُّلبة.

لسوء الحظ، لا توجد أشجارٌ ولا فواصل الغُرَف الهندية لإيواء لعبة الحبِّ الساخنة بعيدًا عن حركة المرور الصغيرة المتواصلة. بالإضافة إلى أن درجة الحرارة مناسبة أكثر لمباراة هوكي جليد. نكتفي بقُبلَةٍ ورشفة من بيرة كالدي، مستمتعين بسيارتنا الحمراء الصغيرة المتوقِّفة على جانب الطريق، محاطة بجبل أزرق غامق تحت سحابة وردية وحيدة. وفوقها السماء بيضاء تقريبًا. نوعٌ من الطيور ذو منقار طويل يمشي ويُحلِّق ثم يمشي من حولنا، على مسافَةٍ يعتبِرُها آمِنَةً (على الأقل من منظور جان)، بينما يصرخ بصوتٍ عالٍ. يبدو أننا في فِناء منزله الخلفي.

تصبح المحادثة جادَّةً بعض الشيء، كما ينبغي حسبما أعتقد، عندما تنتهي أغلبُ المُضاجَعة.

"إذن، هل تعتقد أنه يمكنك العيش في أيسلندا؟" سألتني.

"حسنًا، أعتقد أنني مُضطَرٌّ إلى ذلك".

صمت يتخلَّله صراخ الطير.

"إذن، هذا هو السبب الوحيد؟".

"لا. لست أدري".

تنظر إليَّ. تشبه عيناها من أثر شراب جاتوريد الينابيع الساخنة ذات اللون الأزرق والأخضر في الحقل الصخري الذي يحيط بنا، تمامًا كالذي رأيته في صور المجلة على متن الطائرة وأنا في طريقي إلى هنا.

ما زالت تنظر إليَّ. هل تريد حقًّا أن تُضيِّع حياتها على نفايات توكسيك؟

"هل ترغبين أن أفعل هذا؟" أخيرًا أكمل.

"لا أعرف، أنا فقط أسألك".

تُخرِج سيجارة لكنها تسقط من يديها المرتَعِشَتَيْن. تلتقطها وتضعها بين شفتَيْها المؤخِّرة، وتُشعِلها.

"أعني، أعتقد أنه عليَّ ذلك. في الوقت الحاضر" أقول.

"في الوقت الحاضر؟".

تخرج كلماتها مع الكثير من الدخان. في الواقع، الرائحة لطيفة نوعًا ما، هنا في الهواء البارد الهَشّ.

"نعم، أعني...".

"هل أحببتَها؟".

"أيسلندا؟ بالطبع. أقصد كيف لا يعجب المرء بها؟" أسأل بالتلميح المناسب لأي قصَّةِ حُبٍّ قمرية.

"لكنك لا تريد أن تعيش هنا؟".

"تعنين للأبد؟".

أومَأت برأسها. تظهر شَقَّتي في شارع ووستر وسبرنج في ومضة، وشاشتي المُسطَّحة مليئة بمباريات نادي هاجدوك، ومطعم الشواء في الشارع، ومُسدَّس هيكلر وكوخ الأسود الجميل الذي أحتفظ به تحت البلاط في زاوية حمَّامي. أعصر يدي اليمنى باليد اليسرى بينما أغمغم:

"لا أعرف، لم أفكر في ذلك حقًّا".

وقَفَت على قدميها، تارِكةً نصف زجاجة بيرة فارغة ملقاة في الطُّحلب، لتتجه نحو السيارة.

"إيه!" أقول.

أمسَكتُ بها إذ تتسلَّق جانب الطريق وفي يدي زجاجتي بيرة. يستخدم الطائر جناحيه ليهرع نحو بِركَةٍ صغيرة على الجانب الآخر من الطريق. يبدو أنه استأجر المنطقة اللعينة بأكملها.

"جان.. ماذا جرى؟".

كانت عيناها مبلَّلَتيْن عندما استدارت، إذ نقف على جانب الطريق بجانب السيارة.

"ألم تفكر في ذلك؟" تسأل.

"لا، أعني عليك التفكير في وضعي. أنا أعيش كل يوم على حِدة".

"ماذا عن حالتي؟" تقول بشيءٍ من الحدة، ثم تسحب نَفَسًا سريعًا من سيجارتها التي احترق نصفها بشفاه مرتجفة.

ليس لديَّ ما أقوله. لم أكن أعرف أن هذه الفتاة يمكن أن تبكي. عاد الطائر يصرخ فينا، في وجهي.

"أنا آسف... جانهيلدر... جان".

"برأيِك، كيف ترى ما يجري بيننا؟".

"أنتِ وأنا؟ لقد كان الصيف الأكثر سخونة في حياتي".

ترتجف كتفاي من البرد.

"حقًّا؟".

"نعم. أفضل صيف مَرَرتُ به...".

"ما الأمر إذن؟ أما زِلتَ غيرَ مُتأكِّد؟".

"أعني، جان... أنتِ فتاة لطيفة، وأنا...".

"أنت رَجُلٌ رائع".

أنا؟

"أنتَ رَجُلٌ رائع لعين. والآن أنت تخبرني أن...".

تعجز عن إنهاء الجملة، فقط سيجارتها هي ما انتهت، وقد رمتها بعيدًا قبل أن تمشي نحو مقعد السائق في السيارة.

"إذن هل تريدين...؟" أحاول أن أقول.

"نعم!" تصرخ وتفتح السيارة وتدخل وتغلق الباب.

لقد تُرِكتُ واقفًا وحدي بين السيارة وأيسلندا، مُمسِكًا بزجاجتَيْ بيرة نصف فارغتين. يبدو أنها جادَّة بشأننا،

هل أنا كذلك؟

تقترب سيارة جيب حديثة الطراز من الشرق. تبطئ أثناء مرورها، أواجه اثنين من الطِّليان في الخمسينيات من العمر. يبدوان كعاشيق بشعرين رماديَّين، وسُمرَة شديدة، يرتديان سُترتين واقيتين زرقاوين داكنتين فوق قَميصَيْ بولو أصفرين. الوغدان السعيدان حتى الموت، إنهما يبتسمان بشدَّة، لدرجة أنك تضطرُّ إلى الشَّكِّ في أن أول برلمان في الهواء الطلق لا بُدَّ وأنه يستضيف مهرجانًا للجنس الجماعي لكبار السِّنِّ في نهاية هذا الأسبوع. تلفُّ المرأة الجالسة في مقعد الراكب ذراعها حول شريكها الذي يشبه -بعد تفكيرٍ في الأمر- قاتِلًا مُحترِفًا مُتقاعِدًا.

# 29
# مَعارِفُ من كاوناس

## 2006/08/6

نعود في صمتٍ. حتى الراديو هادئ. نظرت من النافذة وأنا أفكِّر في حقيبتَيْ نيويورك اللتين كانتا تدوران الآن في دائرة الأمتعة في زغرب لمدة ثمانين يومًا على التوالي.

انتهى غروب الشمس في منتصف الليل تقريبًا، لكن ظلَّت بعض السُّحُب تتوهَّج باللون الأحمر في الأفق، وتحوم مثل قطيع من المناطيد فوق النهر الجليدي الذي يعبر شبه جزيرة تُسمَّى "عشُّ الثلوج المتساقطة" أو شيء كهذا. تنبسط أمامنا مدينة ريكياڤيك مثل سيدة يائسة تتوسَّل إليَّ أن أُحِبَّها. تُذَكِّرك نوعًا ما بلوس أنجلوس في الليل: منبسطة وواسعة ومليئة بالأضواء. برج الكنيسة، التي تحمل اسمًا شديد الصعوبة، على التَّلِّ في وسط المدينة هو الشيء الوحيد

الـذي يرتفـع فـوق الأفـق، وهـو قضيـبٌ اصطناعـي مُظلِـمٌ في وجـه السَّـماء الورديــة.

اقتحَمَــت جــان الحــيَّ الــذي أســكن فيــه والــذي تمــلأه متاجــر أثــاث ومُخيَّـمات لاجئـين، وأوقَفَـت السـيارة عنـد حـارة مروريـة فارغـة بالقُـرب مـن زنزانتـي. أقـول لهـا إننـي سـأتَّصِل بهـا. تجيـب بإخفـاء شـفتيها داخـل فمهـا. فتبـدو أشـبه بوالدتهـا.

إنها حوالي الثالثة صباحًا عندما أسجِّل وصولي إلى الفندق.

ينــام عُــمَّال المتاجــر بسرعــة، كأحذيتهــم ذات المقدِّمــة الفولاذيــة المُتَّسـخة في الجـزء العلـوي مـن الـدَّرَج. سـمِعتُ في نهايـة الرَّدهـة دَويَّ التليفزيـون الخافـت. بالاتـوف في المطبـخ يجلـس عـلى الطاولـة، مرتديًـا سروالــه الداخــلي الضخــم وقميصــه الداخــلي الأبيــض، بالإضافــة إلى زوج مــن الجــوارب الســوداء. إنــه مُشــعِرٌ مثــل الغوريــلا.

مـن الصعـب حتـى أن نُميِّـز النقطـة التـي تنتهـي فيهـا جواربـه ويبـدأ شَـعرُ السـاق. سـيحتاج إلى حمولـة شـاحنة "كريـم التوفـير" لحلاقة الجسـم بالكامـل. عـلى الشاشـة مُمثِّـلٌ غبـيٌّ يتظاهـر بأنـه مُسـلَّح، يحمـل سـلاحه مثـل أحـد الهـواة، ويشـبه إلى حَـدٍّ كبـيرٍ البابـا إذ يحمـل مكبسًـا.

"اللعنــة... ليلــة بيضــاء. أريــد الأســود"، يتمتــم الصَّــوت بــين كتفــين مُشــعِرتين.

للمـرة الأولى منـذ لقائـه أكاد لا أكرهـه. أشرب بـيرة مـن الثلاجـة وأنضـمُّ إليـه عـلى طاولـة المطبـخ. أحتـاج صديقًا.

"ماذا عن الفتيات الأيسلنديات؟ ألَا تحبُّهم؟" سألته.

"لا توجد فتاة أيسلندية في نادي جراني".

لدى الصديق الجديد حدود.

نشـاهد التلفـاز لبعـض الوقـت، واحـد مـن أفـلام "قـف مكانـك!" أعتقـد أن كل فيلـم تَـمَّ إنتاجـه عـلى هـذا الكوكـب لديـه شـخصٌ مثـلي كشـخصيَّة رئيسـية، أو أن الشـخصية الرئيسـية تقـضي الفيلـم اللعـين بأكملـه في ملاحقـة رَجُـلٍ مثـلي، وتنجـح دائمًـا قبـل ارتفـاعِ تـتر النهايـة كالأرواح مـن قـبر الرَّجُـل الشريـر.

القاتـل عضـو المافيـا هـو أحـد أشـهر أبطـال عصرنـا. إذن لمـاذا لا أسـتطيع أن أعيـش مثـل الممثِّـل الـذي يلعـب دوري، في قـصر بهوليـوود مـع حـوض سـباحة حائـز عـلى جائـزة نوبـل تحاوطـه أشـجار نخيـل؟ وحفنـة مـن الخَـدَم يتجادلـون باللغـة الإسـبانية في المطبـخ، ومجموعـة من المشـهورات الصَّغـيرات بأثـداء كبـيرة الحجـم يتأوَّهـن خـارج بـابِ منـزلي، مُتعطِّشـاتٍ لممارسـة الجنـس". اللعنـة، يجـب أن أحصـل عـلى كل ذلـك بـدلًا مـن التباطـؤ هنـا في القطـب الشـمالي في أي مـكان آخـر، مُنظِّـف صحـونٍ وُلِـدَ مـن جديـد باسـمٍ قبيـح وحبيبـة جامحـة، يحتـسي البـيرة البولنديـة المسروقـة ويناقـش الفلسـفة مـع حفيـد كينـج كونـج.

"مـا رأيـك في أفـلام المافيـا التـي كتبهـا بعـض الجُبَنـاء الذيـن ينتشـون عـلى لاتيـه الصويـا؟ أطفـال الحَـرَم الجامعـي الذيـن لم يسـبق لهـم حَلْـقُ لِحاهـم ولم يَـرَوا سـلاحًا في حياتهـم؟".

"ما هو؟".

"عذرًا".

نعود إلى الفيلم ويقوم بالاتوڤ بجولة من السِّباب البلغاري.

الجـزء الخـاص بنـا مـن العـالم هـو الموطِـن الحقيقـي لِلُّغـة النَّابيـة. تُحطِّـم كرواتيـا الرقـم القيـاسي العالمـي في الشـتائم. أنـا عـلى وشـك أن أرُدَّ عليـه فقـط بــ: "يبـدو أنـك قـد ضاجَعـتَ قنفـذًا لتَـوِّك!" أو: "لقـد ضاجَعـتَ جُثَّـة والِدَتِـكَ المتعفِّنـة في الحفـرة حيـث اعتـاد أن يكـون فيهـا ثديهـا الأيـسر!".

ثم قال الوغد فجأة: "فتاتك جيِّدة".

"فتاتي؟".

"أراكَ أنـتَ وفتـاة في المتجـر" يقـول بأقـذر ابتسـامةٍ وإبهـام مُشـعِر للغايـة "جيـد".

"تقصد...".

"أراك تُمارِس الجنس في المتجر. هي ابنة القسِّ صحيح؟".

هـا أنـتَ ذا. لقـد كان يتجسَّـس عـليَّ إذن؛ فهـو يعمـل لصالـح مكتـب العَجَـزة اللعـين.

"فلماذا لا تتصل بهم؟ لماذا لا تعتقلني بعد ذلك؟ ".

"ما هو؟".

لا. بعـد اسـتجوابٍ سريـع، يجـب أن أسـتنتج أنـه ليـس عميـلًا سرِّيًّـا، إنـه حقًّـا غبـيٌّ للغايـة. ولكـن في النهايـة مـاذا يفعـل هنـا؟ لمـاذا بحـقِّ الجحيـم يقيـم في هــذا البلـد الرهيـب مـن الليـالي المشمسـة واللغـات الأجنبيـة طالمـا يكرههـا عـلى هـذا النحـو؟

"أعمل في بناء المساكن... أنا لا أجْر. أنتظر المال".

بالطبـع مـن الممكـن أن يكـون هـذا الرجـل عبقريًّـا يتـصرَّف بغبـاء، وأنـه بالفعـل مُتخـفٍّ. ولكـن حينهـا سـيكون التَّخفِّـي سـميكًا لدرجـة أنـه لـن يتمكَّـن أبـدًا مـن الحصـول عـلى أيِّ معلومـات.

في اليـوم التـالي، اسـتيقظنا مـن صـلاة الأحـد البولنديـة المعتـادة. بعـض نبيـذ المذبـح وخطبـة عـن العُبوديَّـة الحديثـة في المجتمـع الغـربي. لكـن سرعـان مـا طغـت الضَّجَّـة التـي اندلَعَـت في المعسـكر الليتـواني عـلى المشـاجرة الدَّسِـمة. يسـتمرُّ الجـدال الضخـم حتـى نهايـة الطابـق لمـدة سـاعة كاملـة، حتـى اندفـع أحدهـم للخـارج، وأغلـق الأبـواب خلفـه.

يتمتَّع جميع الليتوانيين على نحوٍ ما بنفس المظهر: شَعر داكن مستوٍ، ووجه شاحِبٌ مليء بالوحمات.

خارج زنزانتي، أخبرني بالاتوف أن لدينا رَجُلًا ميِّتًا في طابقنا. توفي الرجل الصغير الذي انضمَّ إلى مجتمعنا الصغير الأسبوع الماضي. بعد أن طار إلى هنا مع كيلوجرام من الكوكايين في معدته، أصيب بالإمساك. يقول بلاك بيرد إنه أمضى خمسة أيام مستلقيًا في الزنزانة أسفل الرَّدهة.

لم يستطع التَّغوُّط، حتى حين اعتمَدَت حياته على ذلك.

"رأيته. كان البطن كالبالون".

عرض بالاتوف مساعدته، كما يقول، لكنهم لم يقبلوها. لسببٍ ما، يبدو وكأنه يفكِّر بشدَّة في نفسه كلَّما تعلَّق الأمر بالأعمال الداخلية لجسم الإنسان.

سمع البولنديون الأخبار المُحزِنة بطريقة ما، وخرجوا وهم يطيرون من المطبخ مثل الغِربان في حالة سُكر. يريدون استدعاء سيدهم الحبيب جود ني في الحال. حتى إن البعض يريد ذوي القُبَّعات البيضاء[1]. لكنَّ الليتوانيِّين لا يريدون أيًّا منهما. إنه مشهد مُضحِكٌ للغاية في الواقع، مباراة صراخ بالانجليزية بين بولندا وليتوانيا.

"لا تتَّصِلْ بالشُّرطة!".

"لا! اتَّصِلْ من فضلك!" ينتهي الجدال بسرعة عندما يُخرج أحد الليتوانيين مُسدَّسًا. إنه موديل ألماني صغير، يشبه الموديل الذي تستخدمه شرطة هانوفر. بدا البولنديُّون مذهولين، ثم أغلقوا أفواههم

(1) الشرُطة الأيسلندية.

عـلى الفـور وعـادوا إلى زجاجـات وايبـوروا[1]. يلعـب بالاتـوف دَورَ الرَّجُـل العجـوز الحكيـم، ويطلـب مـن المُسـلَّح أن يُبرِّدهـا.

تُشـعِرني رؤيـة المسـدس بالـدفء مـن الداخـل. إنهـا تشـبه رؤيـة صديـق قديـم. أظـلُّ واقفًـا لبعـض الوقـت، وأنـا أشـعر بتعـبٍ مـن أثـر دُوارِ السِّـلاح، أشـاهده يسـير في القاعـة، قبـل أن أعـود إلى زنزانتـي.

إنـه يـومُ أحـد طويـل. اسـتلقيت عـلى سريـري، وكان الكتـاب المُقـدَّس مفتوحًـا عـلى "تربيـة لعـازر"، بينـما يعـزف قلبـي المقطوعـة الموسـيقية مـن فيلـم توايلايـت زون[2].

أحاول الاتصال بجان ثلاث مرَّات. لكنها لا تجيب.

يمكننـي محاولـة التَّسـلُّل مـن الثكنـات والزحـف مـرة أخـرى إلى قبـو تورتشـور في الطابـق السـفلي، ولكـن أعتقـد أنـه مـن الأفضـل أن أظـلَّ هادئًـا. ربمـا يجـب أن أخـشى زمـلائي الليتوانيِّـين أكـثر مـن مـن ذوي القُبَّعـات البيضـاء.

بحثـتُ عـن معطـف تومـي وجـواز سـفره الأيسـلندي، ووضعتـه في جيـب سروالي تحسُّـبًا.

أسـمع كل نصـف سـاعة أصدقـاءَ الرجـل الميـت يندفعـون صعـودًا وهبوطًـا في الرَّدهـة، صعـودًا ونـزولا عـلى الـدَّرَج، يتحدَّثـون بصـوتٍ عـالٍ عـلى الهاتـف بلُغَتِهـم الأكـثر غرابـة مـن اللغـة الأيسـلندية. في الواقـع، لم أكـن أعـرف أن هواتـف نوكيـا تُدعِّـم اللغـة الليتوانيـة. ذهبـتُ إلى الحـمَّام ورأيـت أحـد الشـاحبين يختفـي داخـل غرفـة الرَّجُـل الميِّـت.

(1) wyborowa: نوع من القودكا البولندية.

(2) The Twilight Zone: مسلسـل رُعـب تلفزيـوني أمريـكي أنتجـه وقدَّمـه رود سـيرلينج مـن عـام 1959 إلى عـام 1964.

في المطبخ، انتهى حفل الڤودكا بمباراة في الدوري الأيسلندي الممتاز. قد تظنُّ من مسافةٍ أن فريقهم من النساء. كرة القدم الأيسلندية قريبة جدًّا من كرة القدم العادية، باستثناء أن جميع اللاعبين يتناولون المهدِّئات الثقيلة. في اللحظة التي يركضون فيها في ملعب لكرة القدم، تتباطأ حركة أولئك الأيسلنديِّين الذين يتقدَّمون بسرعة إلى الأمام. سيستغرق الأمر كيلوجرامات من الكوكايين لإصلاح هذه الألعاب.

عندما تنتهي المباراة بتعادل لا شيء، سنكون جميعًا جاهزين لتناول البيتزا. يُطلب من تومي أن يتباهى بأيسلنديَّته عن طريق طلب خمسة أنواع من الفلفل وستة لترات من الكولا. تمكَّنتُ من قول (يوم سعيد) قبل مغادرة المطبخ، وأتولَّى الباقي بلُغةٍ انجليزية خفيفة في القاعة بالأسفل. بعد أربعين دقيقة وصل فتى التوصيل. تَبيَّن أنه صربيٌّ كرواتيٌّ ويقوم بجولة "مساء الخير"[1] للبولنديين الضاحكين.

ثم، لبُرهَةٍ وجَّه عينه الصربية نحوي وابتسم ابتسامة غريبة، كما لو أنه اكتشف الشِّعارَ الوَطنيَّ موشومًا على روحي.

تجمعنا حفلة البيتزا معًا، وربما تكون هذه أفضل ساعة في حياتي العتيقة. حتى بالاتوف يبتسم ويتباهى بأسنانه الصفراء. ولكن في منتصف وجبتنا السعيدة، يأتي أحد ذوي البشرة الفاتحة طالبًا التحدُّث مع البلغاري. نشاهده بصمتٍ وهو يمسح فمه بظهر يده المُشعِرَة، وينهض ويتبع الليتوانيين في الممرِّ. بعد بضع دقائق عاد إلى المطبخ ورفع يده كجرَّاحٍ روتينيٍّ يتحدَّث إلى ممرِّضاته:

"سكين".

(1) بالكرواتيَّة في الأصل.

أقرَضتُه سِكِّيني، وسرعان ما تمَّ استبدال رائحة البيتزا بأكثر الروائح نقاءً للأمعاء ضربت أنفي على الإطلاق. وهذا قادم من رجل اضطرَّ ذات مرة إلى فتح قبر جماعي عمره ثلاثة أسابيع في يوغوسلافيا لأن جافور فَقَدَ نظَّارته وأمرني أن أجِدَ له نظارة جديدة.

يبدو الأمر جنونيًّا، لكنَّ البلغاري المُحِبَّ للسُّود يخبرنا أن لديه "شهادة سمراء"[1] في الطب من إحدى جامعات صوفيا. أعتقد أن شهادة سمراء في الطِّبِّ تسمح لك بإجراء الجراحة على الموتى فقط. نشاهده يسير في القاعة، وبيده سِكِّينٌ، ورِجلاه تشبهان قوسين، يبدو وكأنه قاتِلٌ أكثر من طبيب، لكن من الواضح أنه يعرف مِهنَتَه. يجري تشريح الجُثَّة بمهارة كبيرة: نجحت عملية تعدين الذهب. يتوقَّف الأخوان عن الحِداد على صديقهما في اللحظة التي يُسلِّمهما فيها الدكتور بالاتوف الواقي الذَّكري اللَّزِج المليء بالذهب الأبيض. حصَّته مائة جرام، ولأنه ليس من مُحبِّي المُخدِّر الأبيض، فإنه يعرض على الفور أن يبيعني البعض، لكن عليَّ أن أرفض.

أعتقد أن هذا كله جزء من علاجي. لا يزال تورتشور يختبرني، وإلَّا كان وضَعَني في قبو والدته المليء بالهواتف المحمولة وساعات الوقواق بدلًا من هذه المساحة العلوية المليئة برحلات التَّعرِّي والمخدِّرات.

بعد العشاء يعود البولنديُّون للشرب. بمجرد أن يبدأ مفعول الڤودكا، يبدؤون في غناء الأغاني الجنائزية البطيئة من جبال كارباتي أو أي شيء آخر. أحبس أنفاسي وأشقُّ طريقي إلى الزاوية الليتوانية لاسترداد سِكِّين الجيش السويسري.

الرائحة قوية لكنني تمكَّنتُ من طرق باب الرَّجُل الميت. فُتِح بسرعة ولكن بالكاد. الفجوة واسعة بما يكفي لكلمة "سكين" فقط. ومع ذلك، استطعتُ أن أرى أن الغرفة مليئة ببعض الأدوات المثيرة

(1) B-gree: من Black Degree.

أثنـاء انتظـار أداتي. لكـن ثمَّـة خطـر، يخـرج اثنـان مـن الليتوانيـين مـن الزنزانـة ليؤكِّـدا لي أن نُسـخَة كاونـاس مـن منظَّمـةٍ مـا سـتقتلني إذا أخبرتُ أيَّ شـخص في أي وقـت عـن الفـوضى الدمويـة.

أعـدُّ الوَحـمات في وجوههـم (مثـل العواصـم عـلى خريطـة أوروبـا) بينـما أمتنـع عـن السـؤال عـن قاتِلِهـم، وكـم قتـل، وكيـف سـيقتلني، والتفاصيـل المهمـة.

في منتصـف الليـل كانـت الرائحـة مـا زالـت تمـلأ الأرض مثـل ضبـابٍ لا يُـرى.

سَـمِعتُ زفـيراً ثقيـلًا في الرَّدهـة، مصحوبًـا بصـوت حقيبـة ثقيلـة تُجـرُّ عـبر أرضيـة رمليـة وتصطـدم بالـدَّرج. نظـرت مـن النافـذة العملاقـة لأرى زمـلائي مـن البلطيـق يضعونهـا في مؤخِّـرة شـاحنة بيضـاء متهالكـة ويقـودون السـيارة بعيـدًا.

هذا هي إشارتي.

أنتظـر بصـبرٍ حتـى يدخـل طبيـب المنـزل إلى الحـمَّام ويـأوي جميـع السـبعة عـشر إلى أسِرّتهـم. يـدقُّ قلبـي كموسـيقى التِّكنـو، أغـوص في الرَّدهـة مصحوبًـا بأطـول جـذع مـن حوامـل سريـري. أضعـه رأسًـا عـلى عقـب بجانـب بـاب القتيـل، وأخطـو فوقـه لأتسـلَّق الجـدار. يتـمُّ الأمـر بسَلاسَـة، عـلى الرغـم مـن تَعـثُّري بلافتـة كـرة سـلة ذات ألـوان زاهيـة في الطريـق.

الحُجـرَة مليئـة بالأكيـاس البلاسـتيكية وصناديـق الكرتـون المليئـة بالتُّفّـاح. تـمَّ تخزيـن خمـس شاشـات مُسـطَّحة لم تُسـتَخدَم بعيـدًا في الزاويـة. أبحـث في جميـع الأماكـن الصحيحـة، وبحثـتُ داخـل كيـس بلاسـتيكي أصفـر مـن متجـر المـواد الغذائيـة بونـس، وجـدتُ مسدَّسًـا صغـيراً للجيـش الألمـاني مـن طـراز والـتر بي 99، مُشـابه للمُسـدَّس الـذي رأيتـه في وقـتٍ سـابقٍ اليـوم. حسـنًا، أخـيراً أشـعر وكأنَّنـي رَجُـلٌ حُـرٌّ،

أحمل مُسدَّسًا في يدي. أنا توكسيك مرَّة أخرى بحق اللعنة، حتى إن المسدَّس مَحشوٌّ، الخزينة بها اثنتا عشرة رصاصة.

أنا جاهِزٌ لحصد لقبَيْن من سُداسيٍّ عضلات البطن.

لا بُدَّ وأنني مُبتَهِج بنفسي للغاية، لدرجة أنني لم ألحظ حتى وجود سيارة شرطة في ساحة انتظار السيارات. القُبَّعات البيضاء موجودة بالفِعل داخل المبنى. يمكنني سماعهم ينزلون من الرَّدهة في طريقهم إليَّ.

# 30
# شماويش

## 2006/08/08 - 2006/08/07

أنـا الرَّجُـل القـطُّ. أجلـس فـوق الجـدار بـين زنزانـة الرجـل الميـت والزنزانــة التاليــة، متمسِّــكًا بالســقف العلــوي الســميك الــذي يلمــس مؤخِّـرةَ رأسي. أسـتطيع أن أرى الطابـق كلـه بعـين الذبابـة، حـوالي سِـتِّ حجـرات عـلى هـذا الجانـب وسِـتٍّ عـلى الجانـب الآخـر، وبينهـما ممـرٌّ ضيِّـق، والمطبـخ في النهايـة البعيـدة.

أسـتطيع سَـماع الضُّبّـاط يتحدَّثـون في الممـر. إنهـم يتحدَّثـون باللغـة الأيسـلندية فيـما بينهـم وباللغـة الانجليزيـة إلى أحـد البولنديِّـين، الـذي يبـدو في حالـة سُـكْر وكأنـه اسـتيقظ للتَّـوِّ.

"هل أنت بولنديٌّ؟".

"لا، أيها الشرطي!".

هنـاك حجرتـان بـين الجـدار الـذي أقعـد فوقـه وبـين مسـاحتي. أقـرب واحـدة فارغـة، وأتسـاءل عـن الأخـرى.

ينتقـل قلبـي مـن موسـيقى تـراش ميتـال إلى موسـيقى سـبيد ميتـال عندمـا أسـمع رجـال الشرطـة يحاولـون فتـح بـاب أقـرب حجـرة. لكـن بعد اهتـزاز المقبـض للحظـة، سـمِعتُ الرجـل البولنـدي يغمغـم لا، لا، وسرعـان مـا أصبحـوا عـلى بـاب الرجـل الميِّـت. آمـل فقـط أن يظـلَّ منشـاري هادئـًا.

أنتظـر حتـى يبـدؤوا في الطَّـرق بصـوتٍ عـالٍ عـلى البـاب ويحاولـون فتحـه بعتلـة. ثـم أنزلـق برفـق عـلى الحائـط، بأسـلوب الرجـل القِـطِّ، وعـلى حافَّـة النافـذة في الحجـرة المجـاورة لتلـك التـي سرقتهـا للتَّـوِّ. سـيارة الشرطـة البيضـاء بالخـارج فارغـة، لا يمكـن رؤيـة قُبَّعـة شرطـي، عـلى الرغـم مـن أن الليـل لا يـزال سـاطعًا بدرجـة كافيـة للقـراءة. يواصـل رجـال الشرطـة أعمالهـم في النجـارة وتسـلُّق الجـدار المجـاور، وألقـي نظـرةً خاطفـة عـلى الحجـرة الواقعـة خلفـه. إنـه ملـك أحـد البولنديـين، وربمـا يكـون هـو الـواشي؛ لأن السريـر فـارغٌ والبـاب مفتـوح.

أخفـض صـوت الموسـيقى في قلبـي قبـل أن أنزلـق مـن الحائـط إلى حافَّـة النافـذة ثـم أتحـرَّك عبرهـا بـلا صـوت. وعينـي عـلى البـاب المفتـوح. لا أحـد يـراني، وبعدهـا أنـا في غرفتـي. تُفسِـح موسـيقى سـبيد ميتـال المجـالَ لقصيـدة غنائيـة، تـكاد تجعلنـي أغنِّـي "بذراعـين مفتوحتـين"[1]. أغنيتـي المفضَّلـة لفرقـة كريـد.

أمضيـت الخمـس عـشرة دقيقـة التاليـة أفكِّـر أيـن أخفـي المسـدس، المسـدس! لكننـي لم أكـن قـد حسَـمتُ أمـري بعـد عندمـا طَـرَق ذوو القبَّعـات البيضـاء بـابي. يقـف اثنـان منهـم في الرَّدهـة، كرتا ثلج مسـتديرتان بـأنفٍ مـن الحـصى في الـزِّيِّ الرسـمي. فجـأة أصبحـتُ مُقتَنِعًـا بأنهـما نفس الرجلـين اللَّذيـن أجريـا مُحادَثـةً صغـيرة مـع تاديـوس، الرسـام البولنـدي في

(1) With Arms Wide Open إحدى أغاني فرقة كريد الأمريكية.

تلك الليلة المشؤومة. يقف بعض التاديوشيين[1] المنهكين من الفودكا خلف الشُّرطيَّيْن، ويشرح أحدهما لهما أنني مواطِنٌ مَحلِّيٌّ.

"هل أنت أيسلندي؟" تسألني الشرطة باللغة الأيسلندية.

"شماويش" أجبت بإيماءات كثيرة وابتسامة.

تعني هذه "بعض الشيء" وهي كلمة سحرية علَّمَتني إيَّاها جان هذا الصيف، وقد تَبيَّن أنها مُنقِذٌ حقيقيٌّ هنا. ثم أحضَرتُ جواز سفري ذا اللون الأزرق الجبلي، وعزف قلبي على نغمة "ن" من نسخة النشيد الوطني الأيسلندي بينما يتفحَّصون الصنعة التي لا تشوبها شائبة.

قرؤوا اسمي بصوت عالٍ، وتفحَّصوا وجهي السِّلافي بنظرةٍ صارِمة.

"توماس ليفور ألافسون؟" يقولون.

"تومي سابقًا[2]!" أردُّ بابتسامة غبية وأُوجِّه أمرًا ليدي اليُمنى بالبقاء بحق الجحيم في جيبي الأيمن.

"أين تعمل؟" يسألونني بلغتهم الباردة.

أنتقل إلى اللغة الانجليزية (مُوضِّحًا أن والدي كان نصفَ أمريكيٍّ وكل هذا الخراء)، وأخبرهم عن سامفير، فتضيء وجوههم على الفور.

"هل تعرف سامي؟".

يعمل اسمُ السامريِّ الصالح مثل مُجفِّف الشَّعر في الوضع الفاتر، فنتحدث لفترة من الوقت عن الرجل الصغير الذي يرتدي نظارات راقصة. يعرفه الشُّرطيَّان من العمل. أكَّدا لي أنه أحد أكثر الرجال

(1) إشارة إلى تاديوش كوسيوسكو القائد العسكري للانتفاضة الشعبية في بولندا عام 1794.

(2) باللاتفية.

مُتعـةً للاعتقـال. ثـم عـادا لجدِّيَّتهـما مـرَّةً أخـرى وسـألاني عـمَّا إذا كانـت لـديَّ أيُّ اتصـالاتٍ مـع رجـال كاونـاس. أقـول لهـم لا.

"هل لاحظتَ شيئًا واسعًا في المنزل اليوم أو الليلة؟".

"تقصد مريبًا؟".

لديَّ اليَدُ العليا الآن. يمكنني الاسترخاء.

يقولون "نعم".

بـدون تفكـير أو رمـش، قـرَّرتُ أن أتحـلَّى بـروحٍ رياضيـة، وأنـسى كل شيء عـن التهديـدات الليتوانيـة. لا بُـدَّ وأنـه تأثـير المسـدَّس، أو امتنـانٌ مُتأخِّـر تجـاه القُبَّعـات البيضـاء لمنحـي أفضـلَ صيـفٍ في حيـاتي.

"نعـم. رأيتهـم يأخـذون جُثَّـة القتيـل إلى الخـارج، منـذ حـوالي عشريـن دقيقـة فقـط. رأيتهـم مـن نافـذتي" قلـتُ لهـم، ودَعَوتُهـم إلى حجـرتي. "كان بحوزتهـم حقيبـة كبـيرة، بَـدَت ثقيلـة جـدًّا، وضعوهـا في مؤخِّـرة شـاحنة بيضـاء وانطلقـوا بعيـدًا".

"هل رأيت رقمه؟".

"رقم اللوحة؟ نعم. لقد كانت سيارة عالية سبعة- أربعة- واحد".

أنـا لا أمـزح. أتذكَّـر رقـم الترخيـص اللعـين. نظـر الضابطـان إليَّ كـما لـو أنهـما يريـدان دعـوتي إلى البحـر الكاريبـي في

رحلـة بحريـة في الدرجـة الأولى، الصيـف القـادم، فقـط نحـن الثلاثـة. ثـم يعـودان إلى رُشـدِهما.

"وأين كانت السيارة؟".

"فقط.. هنا بالأسفل، خارج المدخل".

نقـف بجـوار النافـذة، ويميـل أحدهـم بجـواري لإلقـاء نظـرة أفضـل في الخـارج. أثنـاء القيـام بذلـك، قـام عـن طريـق الخطـأ بلمـس الـشيء

الصغير السميك في جيبي بفخذه الأيسر. يلتفت الشرطي نحوي تلقائيًّا ويقول بأسلوب مُهذَّب:

"أفساكي".

هذه أيسلندية تعني: "آسف، لم أقصد أن ألمس مُسدَّسَكَ".

في اليوم التالي، عندما عدتُ إلى المنزل من العمل، رأيت ثلاث سيَّارات دفع رباعي بيضاء تابعة للشرطة تقف خارج فندقنا الحبيب. بعض شرائط الشرطة الصفراء تهتزُّ في نسيم الصيف المتجمِّد، وقُبَّعة بيضاء تحرس المدخل. ما زِلتُ أسير بجوار المبنى لكن على مسافة، وأقوم مرَّةً أخرى بدور المشَّاء الوحيد على الأرصفة الفارغة في أيسلندا.

بعد ساعة قَرَعتُ جرس جانهيلدور. تفتح الباب وسرعان ما نصل إلى مطبخها غير المرتَّب، نتبادل القُبَل مثل عاشِقَيْن بائسَيْن. أنسى نفسي تمامًا وأعانقها بشدَّة: إنها تشعر بالشيء السميك في سروالي.

"ما هذا؟".

"حديد ألماني".

# 31
# روك الثلج

## 2006/08/09 - 2006/08/08

تورتشور يتحدَّث، تومو يمشي.

أعـادني الرجـل العظيـم إلى فنـدق الأشـغال الشَّـاقَّة لالتقـاط أغـراضي بينــما يتحــدَّث مــع الشرطــة، مســتخدمًا قدراتــه في الإقنــاع وشُــهرته التلفزيونيــة التــي لا تُقــدَّر بثمــن لــشرح حالتــي. تومــي أولافــس هــو ربيبــه، رجُــلٌ حسَّــاس حقيقــي أراد فقــط التَّعــرُّف عــلى بلــده الأصــلي ولا يمكنــه تحمُّــل العيــش مــع مجرمــين قُســاة ومتهوريــن. أودُّ أن أقــول وداعًــا لأصدقــائي البولنديــين، ولدهشــتي أميــل إلى خــدٍّ بالاتــوف في عنــاق سريــع، مــا المنفــى إلا بحــرٌ مُشــعِر.

قضيــت الليلــة في غرفــة العهــد القديــم في منــزل تورتشــور وهانــا. في اليــوم التــالي أجريــتُ حديثًــا حاسـمًا في العمــل مــع أوليــه، وفي المســاء

استقبلني مع تورتشور على عتبة بابه في الطابق الثالث من مبنى خرساني قديم بالقرب من منزل جان.

إن هاربا في نوبة ليليَّةٍ من حمَّام الشمس الخاص بها، وأنا وأوليه نُمثِّل مشهدًا مكتوبًا صغيرًا لحبيبنا تورتشور: التظاهُر بأنني أستأجر غرفة في منزله. من الواضح أن رَجُل الكتاب المقدَّس يعرف الجزار من خلال سامي، يتحدثون عن إغفال دور العنف في تعليم الإنجيل، بينما أفحص مجموعة أوليه الرائعة من سكاكين المطبخ التي علَّقها فوق موقد الغاز الفخم الخاص به. على الرغم من إدراك ماضي الطَّبَّاخ العنيف، إلا أن تورتشور يوليه كلَّ الثقة كمالِك العقار الذي استأجره.

قال في السيارة وهو يضحك بشدَّة: "طالما أنك تدفع الإيجار، فلن يقتُلَك".

بعد بضع دقائق من مغادرة الواعظ في سيارته الجيب المقدَّسة، وصلت إلى منزل جان، وسألتها أين أضع أشيائي. بَدَت متوتِّرة، وهي تأخذ السيجارة إلى غرفة نومها (شيء لا تفعله عادة) وتشير إلى رفَّيْن فارغين في خزانة ملابسها الكبيرة بإصبع مهتَزٍّ.

"هل هناك خطبٌ ما؟" أسأل.

"لا. لماذا؟".

"ربما تعتقدين أننا لسنا مُستعدَّيْن لبدء العيش معًا؟".

"لا لا. إنه فقط...".

"اعتقدتُ أنَّكِ أردتِ هذا. هل يتعلَّق الأمر بتراستر؟".

تنهيدة ثقيلة ثم: "نعم".

"هل تخشين أن يخبر والِدَيْكِ عنَّا؟".

"لا، ليس الأمر كذلك، لا أمانع".

الأمر ليس كذلك، هناك شيء آخر. لكنها لن تقول ما هو.

أعـرض النـوم في الطابـق العلـوي في العِلِّيَّـة، لكنهـا تقـول لا، وسرعـان مـا نكـون في فِراشـها، ونحـاول إبهـاج أنفسـنا ببعـض الجِنـس غـير المبهـج. بعـد ذلـك، تلتقـط هاتفهـا وتُجـري حديثًـا طويـلا وصعبًـا مـع شـقيقها الـذي لا يبـدو أنـه مُعجَـبٌ بفكـرة العيـش مـع قاتِـلٍ محـترف.

قبـل منتصـف الليـل بقليـل، بـدا شـاحبًا وكئيبًـا، حتـى إنـه لم يَقُـل "مرحبًـا". ينـزوي في غرفتـه الصغـيرة عنـد المدخـل، ويُشـغِّل روك أيسـلنديًّا بصـوتٍ عـالٍ حتـى السـاعة الثانيـة صباحًـا. تُصـاب جانهيلـدور بالقلـق وتُدخِّـن عُلبـةً كاملـة قبـل تنظيـف أسـنانها بالفرشـاة لمـدَّة عشريـن دقيقة.

نرقـد في سريرهـا الرخامـي، محبوسَـيْن في حِضـنٍ صامـت، مثـل عُشّـاق قدامـى في مُتحَـف. هـذا ليـس وضعـي المُفضَّـل حقًّـا، أن نسـتلقي معًـا هكـذا، لكنني أوقـف تفضيـلاتي الخاصـة للمناسـبة الخاصـة: ليلتـي الأولى التـي أعيـش فيهـا مـع شـخصٍ مارسـتُ معـه الجنـس، بالإضافـة إلى أننـا لم نَحـظَ بـأيِّ نَـومٍ عـلى أي حـال بسـبب موسـيقى الـروك الأيسـلندية التـي تتـسرَّب عـبر الحائـط. أفتقـد بالاتـوڤ بالفعـل. ثلاثـون دقيقـة أخـرى مـن التعذيـب الموسـيقيِّ وسـيصبح مُلحِّنًـا كلاسـيكيًّا مشـهورًا. أعـاد الرجـل المسـكين لعـب نفـس الأغنيـة لمـدة نصـف سـاعة. يـصرخ المُغنِّـي كـما لـو كان عالقًـا في قـاع وادٍ جليـديٍّ بفخـذ مكسـورة.

"ماذا يغني؟".

أجابت بصوت ضعيفٍ: "سودوما".

"ماذا يعني ذلك؟".

"فقط... أنتَ تعرف... سَدوم...".

"مثل سَدوم وعمورة؟".

"نعم، أظنُّ".

قـراءة الكتـاب المقـدَّس تـؤتي ثمارهـا، ونجـل الكاهـن عـبر الحائـط يعـرف كيـف ينقـل رسـالته. تتشـبَّث بي جانهيلـدور مثـل فـأرٍ يحتـضر. أخـيرًا اسـتنفَدَ تراسـتر غيرتـه عـلى أختـه، ونـام كلا السَّـدوميَّيْن.

لحسـن الحـظّ، يقـضي طائـر الكـركي وقتًـا أقـلَّ في المنـزل الآن مـمَّا كان يفعـل في أيـام الربيـع، حـين كان طائـرك هاربًـا جديـدًا وكان كل شيء أكـثر إثـارة. أنـا أتأقلـم ببُـطءٍ مـع الأيسـلندية كل يـوم. أقـضي أوقـات الصبـاح عـلى الإنترنـت، وأبحـث في "جوجـل" دون جـدوى عـن أسـماء مختلفـة إلى جانـب "مكتـب التحقيقـات الفيدراليـة" و"ديفيـد فرينـدلي" و"المافيـا الليتوانيـة". أو أكتـب رسـائل بريـد إلكترونيـة إلى الأشـخاص الذيـن قـد يعرفـون أيـن يمكـن العثـور عـلى سـينيكا العزيـزة الغاليـة، أو أكتـب رسـائل إلى والـدتي، والتـي تأخذهـا صديقـة لجانهيلـدور إلى لنـدن وتُرسِـلها عـبر مكتـب بريـد مَلَـكيٍّ.

حثَّتنـي الظهـيرة عـلى الوقـوف في السـاحة الرئيسـية مـرة أخـرى، في انتظـار الحافلـة رقـم 6 جنبًـا إلى جنـب مـع المجانـين المحليـين. ينتهـي شـهر أغسـطس بتوقيـتٍ تقليـديٍّ مناسـب لغـروب الشـمس، فأُرحِّـب بالظَّـلام.

يتـلاشى عـلاج تورتشـور في شـكل بضـع مكالمـات تَفقُّديَّـة مـن المُعلِّـم، بالإضافـة إلى زيـارات منتظمـة للجماهـير المجنونـة في كنيسـته التـي تفـوح منهـا رائحـة العَـرَق. في زيـارتي الأولى، رحَّـب بي بشـجاعة وقـدَّم تومـي إلى جمهـوره اليائـس الـكادح عـلى أننـي "أيسـلندي صالـح وصديـق عزيـز! رجُـلٌ قـضى معظـم حياتـه في فنـدق الجحيـم، ولكنـه الآن خـرج واسـتأجر غرفـة في الجنـة، بـارك اللـه روحـه! هلِّلويـا!".

كان المحفـل عـلى قـدم وسـاق، (في الواقـع نـادرًا مـا يجلسـون)، حيـث ترفـع السـيدات المُشـعِرات أيديهـن في الهـواء، مُكَرِّريـن هلِّلويـا وراء تورتشـور. إنـه مثـل هـارلم بـدون رقـص. أجـدني أعانـق رجُـلًا نحيفًـا مُعاقًـا

وخده شديد البرودة. قال بصوت ضعيف: "أهلًا بك!"(1). ثم عاد الواعظ إلى اللغة الأيسلندية، ولِدَهشتي فهمتُ معظمها.

"يجب أن تعرف أعداءك! يجب أن تعلم أن الخطيئة هي ألَدُّ أعدائك! ويجب ألَّا تدعو الخطيئة إلى منزلك أبدًا! لا تدعو الخطيئة أبدًا لتناول العشاء! لا يجب عليك حتى أن تشتري قهوةً لخطاياك!" يصرخ جهير رجوليٌّ، يبدو وكأنه مَلاك الجحيم أكثر من كونه لسان الله.

"لأن الخطيئة ستطلب الكِريمة في قهوتها. وستطلب السُّكَّر. وستطلب الخطيئة ويسكي في القهوة؛ لذلك ستفاجأ بأن الخطيئة تشرب القهوة الأيرلندية! وسرعان ما ستشرب معها. ستشرب مع الخطيئة، وتغنِّي مع الخطيئة، وترقص مع الخطيئة، على جميع أغانيها المفضَّلة! لذلك اسمحوا لي أن أخبركم مرة أخرى: لا تشترِ أبدًا للخطيئة فنجانَ قهوة! مَجِّدوا الله! هلِّلويا!".

أسمع نفسي أُردِّد الكلمة الأخيرة، جنبًا إلى جنب مع الحشد، بينما أشعر بهيكل مسدَّسي القديم الجديد بنَعلِ قدمي اليمنى. القطعة الصغيرة تُناسب مقاس حذائي البالغ 46. اشتريت لنفسي زوجًا من الأحذية الرياضية، من طراز النَّعل الأكثر سُمكًا في المتجر، وأجريتُ عمليَّةً جراحية صغيرة على الجانب الأيمن، حيث أزلت ما يكفي من الطبقات الموجودة في نعلها لتُناسب المسدس تمامًا؛ لذلك أنا الآن "أسير في طريق الرب" كما يقول جودموندور، ومُسدَّسٌ في حذائي. إنه أمرٌ غير مريح للغاية، لكنني سأكون مستعدًّا في الوقت المناسب.

لا أعتقد أن باب الجنة مُزوَّد بجهاز كشف عن المعادن على أي حال.

لا تعرف جان الدافئة عن زميلها البارد. هذه ليست مشكلتها. لدينا ما يكفي بالفعل، لا تسيئوا فهمي.

---

(1) بالأيسلندية في الأصل.

جانهيلدور شيء عظيم، المشكلة الحقيقية هي أنا. لم أشارك شقَّةً مع أي شخص منذ نيكو العزيز منذ أيام هانوڤر. منحني العيش معه درجة البكالوريوس في التَّسامُح، لكن تدخين جانهيلدور اللا مُتناهي، وعادتها في إلقاء الچينز والسُّترات والسراويل الداخلية والزجاجات الفارغة ومَنافض السجائر وصناديق البيتزا حول المنزل تثير أعصابي. في النهاية قد أكون معتلًا اجتماعيًا، لكني أحبُّ ترتيب مساحتي.

"أنا فقط لا أفهم كيف يمكنك أن تكوني ابنةَ والِدَيْكِ. أعني، منزلهم مثل البيت الأبيض بينما منزلك هو البيت القذر".

"حسنًا، دعنا نحصل على بعض المساعدة المنزلية".

"تحدَّثنا بالفعل عن ذلك. لا يمكننا تَحمُّله".

"لسنا مُضطرَّيْن لذلك. اقتل الأولى فور انتهائها من التنظيف لأول مرة. ثم نقوم بتوظيف واحدة أخرى وتقتلها أيضًا. أعني، أنت محترف لعين، أليس كذلك؟".

هكذا تنتهي كل نقاشاتنا. وظيفتي السابقة حاضِرةٌ على الدوام، كأنها حبيبةٌ سابقة معتوهة. عندما تقتل أكثر من مائة شخص لا يَحِقُّ لك أن تشكو من أرضيَّةٍ قذرة أو غرفة غير مُرتَّبة. هكذا الحال، حتى كادت أن تتحوَّل إلى فنانة. في كل مرة تعجز عن الإفلات من موقفٍ ما تنفجر قائلة: "ربما اعتدتَ التعامُل أكثر مع الموتى أليس كذلك؟" أو "لا يمكنك تحمُّل الأشخاص الذين يقومون بأشياء مُمِلَّة مثل التَّنفُّس والتَّحدُّث، أليس كذلك؟" أو ببساطة "لماذا لا تقتلني وحسب؟".

بخلاف هذا فالأمور على ما يرام.

نذهب إلى وظائفنا ثم نمضي معًا لتناول العشاء قبل أن أسحبها معي لمشاهدة أحدث أفلام الرجل العنكبوت، أو أتركها تسحبني إلى

إحـدى الحفـلات الموسـيقية التـي لا تُعـدُّ ولا تُحـصى في هـذه المدينـة الصغـيرة. لا بُـدَّ وأننـي مُعجَـبٌ بهـا بشـدَّة لأننـي لا أمانـع الوقـوف لمـدة سـاعتين كاملتـين، وأومـئ بـرأسي إلى فِـرَقٍ مُسـتقلَّة لا قيمـة لهـا مثـل إيربلاجـس[1] وسـليبينج بيلـز[2]، بينـما تعـزف كريـد داخـل رأسي عـلى وهـج غـزو كنـين المُدمِّـر.

الأمـر الوحيـد المثـير للحـزن الحقيقـي هـو تراسـتر، الـذي لا يبـدو أنـه يبحـث حتـى عـن مـكانٍ للعيـش فيـه. يمكـن لوجـوده الصامـت أن يكـسر بسـهولةٍ علامَتَـكَ التجاريـة الجديـدة إلى أجـزاء ويسـمح للشـخص القديـم بالتألُّـق.

في أول أسـبوعين لم يسـتخدم أكـثر مـن كلمتـين لعينتـين. "مرحبًـا ووداعًـا" عندمـا أعطيتُـه عشـاءه اللعـين، حسـاء الجوليـاش الرهيـب الـذي حملتـه عـلى سـاقي لمـدة عشريـن دقيقـة في حافِلَـةٍ مليئـة بضحايـا المطـر والاغتصـاب، لم يَقُـل حتـى كلمـة "شُـكرًا"[3] واحـدة. لحُسـن الحَـظِّ أنـه في العمـل معظـم الوقـت. مؤخَّـرًا عمـل واحـد مـن عُـمَّال المتاجـر مـع تراسـتر في موقـع بنـاء، ويبـدو أن الطائـر الصامـت نجـمٌ في العـالم الخرسـاني.

"إنـه عبقـري مـع الرافعـة. يمكنـه مـن مائـة مـتر أن يلتقـط نقـودًا صغـيرة في أعتـى ريـح".

حسـنًا، هنيئًـا لـه. إذا كان بإمكانـه فقـط اسـتخدام الرافعـة لالتقـاط الفتيـات...

تمكَّنـت مـن إبقـاء شـياطيني عنـد البـاب، لكنهـا في الليـل تـأتي زاحفـةً عـبر الريـاح إلى غرفـة نومنـا مـن النافـذة التـي تُفضِّـل جانهيلـدور أن تتركهـا مفتوحـة.

---

(1) Ear plugs: بمعنى سدادات أذن.

(2) Sleeping pills: بمعنى حبوب منومة.

(3) بالأيسلندية في الأصل.

بمجـرد أن أنـام، تتوافـد الدَّبَّابـات الصربيـة بإطـارات مصنوعـة مـن رؤوس تـصرخ- رؤوس قرويِّـين كُـروات ونسـاء وأطفـال ملطَّخـة بالدمـاء والوحـل. قـوات شـيتنيك تخـترق دفاعـات نَوْمـي، وتُـسرِع عـبر الحقـول المظلِمـة في روحـي مثـل وحيـد القـرن المُنهَـك. تليهـا كتيبـة مـن سِـتَّةٍ وسـتين رَجُـل أعـمالٍ أمريـكي، مُسـلَّحين بالهواتـف المحمولـة وحقائـب اليد، والذيـن يُشـجِّعهم عَـددٌ مُماثِـل مـن الأرامـل، يصرخـن بطـول الطريـق مـن الغابـات الزَّرقـاء العميقـة في نيوجـيرسي إلى الأسـطح الحـارَّة أمـام حقـول مانيتوبـا [1]، وكلهـا مدعومـة بمباركـة كاهِـنٍ أصلـع بلكنـة جنوبيـة يرتـدي زيَّ الكاراتيـه الأبيـض، حـزام أسـود بلغـاري عليـه علامـة: يـا عاهـرة!

يهاجموننا من جميع الجهات. لقد أحاطوا بنا: أنا وأبي وداريو.

نضغـط أصابعنـا عـلى المسدَّسـات الرشاشـة، ونحـوِّل حصننـا الصغـير إلى رَشَّـاش مـاء مـن الرصـاص، لكـن دون جـدوى. نحـن مُرهَقـون.

يمكننـا أن نسـمع الصرخـات الرهيبـة لنسـائنا وأطفالنـا مـن مسـافة قريبـة للغايـة، وهـم يتدحرجـون مـع دعـس الدَّبَّابـات التي تقـترب بسرعة، وعـلى أصـوات المدافـع شـديدة الصَّخَـب.

شـعرتُ فجـأة أن والـدي مصـاب. لقـد أصيـب في كتفـه اليمنـى. نظـرت ورائي وشـاهَدتُه يسـتدير ببُـطءٍ نحـوي. لكـن لا يمكننـي فعـل أي شيء حيـال ذلـك؛ لأننـي يجـب أن أواجـه العـدو، ولا بُـدَّ لي مـن مواصلـة إطـلاق النـار. لكـن بعـد ثانيـة شـعرت بيديـه عـلى رقبتـي وحـول رقبتـي. لقـد أمسـك رقبتـي بأصابعـه العـشر القَويَّـة. أشـعر أنـه عـلى وشـك خنقـي عندمـا أسـتيقظ وأرى وجـه تراسـتر الأحمـر في ضـوء الصبـاح الأزرق الـذي يمـلأ غرفـة النـوم.

(1) Manitoba: مقاطعة في كندا.

يحاول تراستر أن يخنقني، اللعين! أمسَكتُ بذراعيه وحاولت دفعه بعيدًا، لكنه قَويٌّ ومُضلَّع مثل الثَّور.

تستيقظ جانهيلدور وتصيح باسمه. يُضعِفه هذا بما يكفي حتى أتمكَّن من تخفيف قبضته على رقبتي: سرعان ما نتعارك على الأرض بجانب السرير، ونخلق زوبعة من المجلَّات والأقراط والواقيات الذكرية ومصباح إضاءة، لكنها لا تدوم طويلًا. الجندي الكرواتي وقاتل مانهاتن المحترف، المعدوم بكلمة الله، يهزم ابن الواعظ بسهولة.

فقط لأكتشف أنه ليس ابنَ الواعظ. تراستر ليس شقيق جانهيلدور، إنه، أو بالأحرى كان صديقَها.

هذا اكتشافٌ بالنسبة لي.

لثلاثة أشهر كاملة كان لديَّ انطباعٌ بأنه شقيقها، وأنه ابن جودموندور وسيكريدر. وفي الواقع، أخبروني بذلك بداية، عندما كنت لا أزال أمثِّل دور فريندلي، وكان كل شيء مُعقَّدًا على نحوٍ غير مُعقَّد. قالوا لي إنه ابنهما، لكن لهجتهما جعَلَت "صهره" تبدو لي كـ "ابنٍ عشيقٍ" بدا الأمر غريبًا بالنسبة لي في ذلك الوقت؛ إذ يتفاخرون بحياة ابنهم العاطفية، لكنَّني الآن أفهمها.

والآن أستطيع أن أرى أن فتاة الجليد خدعته معي، في العلِّيَّة، كنتُ مُحطِّم حُبِّهم. بعد فترة وجيزة، لا بُدَّ أنهما انفصلا، لكن الوغد المسكين لم يترك بيتها، ولا حتى بعد انتقالي للعيش! لا بُدَّ وأن الذَّكر الأيسلندي واحدٌ من أكثر الحيوانات التي لا تشتكي على هذا الكوكب. لكن بالطَّبع كان دَمُه يغلي تحت غطاء الصمت، كان يجب أن ينفجر آجِلًا أم عاجِلًا.

وبالطبع كان عليه أن يُغادِر آجِلًا أم عاجِلًا.

ها هو يفعل ذلك الآن.

# 32
# التعافي من السموم

## 2006/09/10

"كيـف لا تعـرف أنـه حبيبـي؟ أعنـي، كُنَّـا نعيـش معًـا، ننـام في نفـس السريـر"

نحــن في طريقنــا إلى ســايلنس جــروف، يجــب تســوية أمــر صهــره. يجــب أن أواجــه مُنْقِــذَيْ روحــي وأخبرهــما أنــه بالإضافــة إلى كل شيء آخــر، ســآخذ ابنتهــما أيضًــا.

لكــن لا أعتقــد أن والدهــا سيُمانع. نحــن "نعيــش الأيــام الأخــيرة" عــلى أيٍّ حــال.

تتــولى القيــادة كالعــادة. لــدى تومــي جــواز ســفر ولكــن ليــس لديــه رخصــة قيــادة. مررنــا بمطــار وســط المدينــة المحــلي. يــدقُّ المطــر فــوق حاجــب الريــح، ويبــثُّ الراديــو أغنيــة شــاكيرا. "هيبــس دونــت لاي".

رأيتهـا أنـا ومونيتـا ذات مـرة تدخـل مطعـمًا فاخـرًا في مـسرح رو، في واحـد مـن مواعيـد العشـاء العديـدة قبـل فـترة المداعبـة. راقَـبَ كلانـا مؤخِّرَتهـا الكولومبيـة العظيمـة، وبمجـرَّد أن تـوارت عـن الأنظـار، أعلنـت مونيتـا أنهـا كبـيرة جـدًّا. لم أكـن أرغـب في إخبـار حلـوتي أنهـا تبـدو صغـيرة جـدًّا مقارنـة بمؤخِّرتهـا الأشـبه بمعبـد الأزتـك[1]؛ لذلـك سرعـان مـا أضفـت للمحادثـة الكنـز اللاتينـي الثالـث: أكـبر ممتلـكات جـي لـو[2]، وخلصـتُ إلى أن أمريـكا الجنوبيـة لطالمـا كانـت كبـيرةً مـن الخلـف بـكل معنـى الكلمـة. أضحَكَهـا هـذا حتـى وصَلَـت إلى فِـراشي.

أحتـاج إلى كل قـوتي العقليـة لإخـراج المؤخـرات الثلاثـة العظيمـة عـن ذهنـي، وتأكيـد حقيقـة أننـي أجلـس بجـوار صديقتـي الشـقراء الجديـدة في سـيارة في أيسـلندا.

"آسف، ماذا قلتِ؟".

"كيف يمكن أن تعتقد أننا كنَّا أخًا وأختًا؟".

"لم أكن أعتقد أنه كان أخاكِ. اعتقدتُ أنه كان كلبَكِ".

تقـود السـيارة لفـترة. إنـه يـوم الأحـد في ريكيافيـك الممطـرة. الجميـع ينتقلـون في سـيارتهم، يلوِّحـون لبعضهـم البعـض باسـتخدام مسَّـاحات الزجـاج الأمامـي. مررنـا باللؤلـؤة، المطعـم الموجـود عـلى السـطح. إنهـا قُبَّـةٌ مـن الزجـاج والفـولاذ مبنيَّـة فـوق بعـض خزَّانـات الميـاه البركانيـة.

كنتُ سأصطحبها إلى هناك يومًا ما لو كانت وظيفتي مُربِحة.

تقول: "لقد كنا معًا لفترة طويلة جدًّا".

"منذ متى؟".

(1) Aztec إحدى حضارات الشعوب الأصلية في أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية.

(2) جينفر لوبيز مغنية أمريكية ترجع أصولها إلى بويرتو ريكو في أمريكا الوسطى.

"منذ المدرسة الثانوية، ولكن مع بعض الانقطاعات الطويلة".

جيد جدًّا في الواقع، بالنظر لنومها مع أربعة فرق كرة قدم (لا يشمل حُرَّاس المرمى).

"حسنًا، ومتى انفصلتما؟".

"ماذا تقصد؟".

"متى أخبَرتِه عنَّا؟".

"فقط... كما تعلم عندما، بدأنا بجدِّيَّة".

"ومتى كان ذلك؟".

"عندما انتقلتَ للعيش، على سبيل المثال".

تبدو غاضبة، وأنا غاضب بشدَّة.

"عندما انتقلتُ؟ قلتِ له حينها فقط؟!".

"نعم، في ذلك الوقت".

"إذن... لمدة شهر كان... كل ليالينا في محل الأثاث... كان يعتقد أنكما ما زلتما معًا؟!".

"حسنًا، أعتقد أنه شكَّ".

"إذن أنتِ كَذبتِ عليه وكذبتِ عليَّ؟".

"أنا لم أكذب عليك. أنتَ لم تسأل قَطُّ".

"لم أسأل قطُّ؟ يعني كيف يمكنني؟ اعتقدتُ أننا معًا! لم أكن أعرف أن لديكِ حبيبًا!".

"ولم أكن أعرف أن لديكَ حبيبة!".

"لكنها ماتت!".

"لم تكن كذلك في المرة الأولى...".

"لا... أنا أعلم. لم يكن ذلك جيدًا؛ لهذا غادرتُ".

"هراء! غادرتَ لأنك اكتشفت أنها ماتت وكنتَ مصدومًا".

"هل يمكنك إيقاف السيارة؟".

"ماذا؟".

"أريد أن أخرج... انتهى الأمر".

"انتهى؟ لماذا؟".

"يجب أن أكون قادرًا على الوثوق بك تمامًا".

"ولكن يمكنك الوثوق بي".

"لا. لقد كذبتِ عليَّ".

"أنا لم أكذب! أنتَ لم تسأل أبدًا!".

"أنتِ كذَبتِ عليه وستكذبين عليَّ. لن أستطيع الوثوق بك أبدًا".

"يا إلهي تود. لماذا لا تطلق النار عليَّ فقط وبعد ذلك سيكون لديك ثقة!".

صمت.

إنها تزيد سرعتها، وأنا أضغط على المسدس داخل حذائي. كلانا يتطلّع إلى الأمام. يمكن رؤية مؤخِّرة سيارة نيسان باثفايندر البيضاء مضاءة باللون الأحمر إذ تسير أمامنا عبر المطر والضباب. تعمل المسَّاحات على الزجاج الأمامي، من جانبي إلى جانبها، ومن جانبها إلى جانبي.

"أنا حُبلى".

مـن الواضـح أنهـا هـي مَـن تتحـدَّث، ولا يسـعني إلَّا أن أُردِّد بعدهـا، كـما فعـل أول شـخص معتـوه في البشريـة عندمـا اكتشـف أن زوجتـه حامـل.

"حامل؟".

"نعم".

"رائع. متى اكتشفتِ؟".

"هذا الصباح".

"و...؟".

"و؟".

"هل هو ابني؟".

"نعـم بالطبـع هـو ابنـك! مـاذا تحسـبني؟! إنـه ابنُـكَ بحـق اللعنـة! أنـا أحمـل طفلـك اللعـين!".

بـدَأَت في البـكاء، دمـوع في الخـارج ودمـوع في الداخـل، وظـروف القيـادة الصعبـة. توقَّفَـت عنـد محطـة الوقـود التاليـة. أحـاول أن أخبرهـا كـم أنـا آسـف. كـم هـو رائـع أنهـا تُنجِـب طفـلي. طفـلي! يجـب أن يكـون هـذا أفضـلَ خـبر سـمعته منـذ هَـزَمَ سـوكر[1] الألمـان في فرنسـا عـام 98. أُقـدِّم لهـا ذراعـي، وهـي تفتـح حـزام الأمـان قبـل أن تسـقط في حضنـي. تبـكي لبعـض الوقـت، أعتقـد أن نصـف ذلـك بسـبب حملهـا. أخبرتنـي مونيتـا ذات مـرة أن النسـاء الحوامـل يبكـين كثـيراً، يتعلَّـق الأمـر بتراكُـم المـاء في الرَّحِـم وإضافتـه إلى إمـدادات الميـاه؛ مـمًّا يتسـبَّب في حـدوث فيضـان في بعـض الأحيـان.

---

(1) davor suker: لاعب كرة قدم كرواتي.

أحـدِّق خـارج الزجـاج الأمامـي. تضـمُّ محطـة الوقـود الجديـدة أيضًـا مطعـمًا للوجبـات السريعـة. أشـاهد أبًـا شـابًّا يمـر تحـت علامـة كنتـاكي الحمـراء الزاهيـة ممسـكًا بِيَـدِ ابنـه الصغـير. تبـكي لفـترة أطـول قليـلًا فيبتـل مُنفَـرج سـاقي. إنـه هطـول الأمطـار إذ يعـود إلى المصـدر، إنهـا دورة الحيـاة.

دفَعَـت نوبـات انفعالاتنـا العاطفيـة البخـارَ عـلى النوافـذ، فحوَّلَـت السـيارة إلى مـا يشـبه الشرنقـة. ثـم أخـيرًا رفَعَـت وجههـا الـذي أغرقتـه الدمـوع. أُكـرِّر أسـفي.

"أنا آسف، لم أقصد أن أضايقك. أنا سعيد جدًّا بذلك".

"هل أنت كذلك؟".

"نعم، بالطبع، بكل تأكيد. أنا مبتهج".

"لذا هل تعتقد أنه يمكنكَ أن... تَثِق بي؟".

"هل يمكنكِ الوثوق بي؟".

مكتبة
t.me/soramnqraa

أشعر بالمسدس في قدمي.

"نعم".

"لكنَّـكِ تعرفـين مَـن أنـا جانهيلـدور، أنـتِ تعرفـين مـا فعلتـه. أنـا لا أفهـم كيـف يمكنـك الوثـوق بي؟ كيـف يمكنـك تكويـن أسرة مـع شـخصٍ مثـلي؟".

"أنا أُحبُّكَ"ز

"وأنا... وأيضًا أنا".

قـد لا يكـون الأمـر صحيحًـا نحويًّـا، لكـن المعنـى يصـل إليهـا ونتبـادَل القُبَـل. لقـد قطعـتُ شـوطًا طويـلًا، لقـد قطَعـتُ كلَّ الطريـق مـن إخـراج مسـدَّسٍ مـن شرج رجـل في غرفـة فنـدق بالطابـق الخامـس والأربعـين

في وسـط مانهاتـن، إلى احتضـان فتـاة شـقراء كالزُّبـدة في سـكودا حمـراء كالصليـب الأحمـر، في محطـة وقـود حقـيرة في إحـدى ضواحـي أيسـلندا، وأقـول لهـا إننـي أحبهـا، وأنـا لا أكـذب، عـلى مـا أعتقـد.

شعور حسن لعين.

ولـكي تسـتقيم الأمـور عـلى الإطـلاق؛ قـرَّر الراديـو أن هـذه هـي اللحظـة المثاليـة لأغنيـة "توكسـيك" لبريتنـي سـبيرز. مذهـل حقًّـا. بالعـودة إلى مدينـة نيويـورك، اعتـادت أن تكـون "أغنيتـي" بالطبـع. كان الفِتيـانُ يضايقوننـي بهـا. في الواقـع أحببتهـا نوعًـا مـا، حتـى انتهـى بي الأمـر بـشراء القُـرص المضغـوط اللعـين، واعتـدتُ تشـغيله بصـوتٍ عـالٍ في طريقـي إلى مَهمَّـة القتـل. كانـت تُشـعِرني بالقـوة، وتجعلنـي في مِـزاجٍ جيِّـد لقتـلٍ جَيِّـد. سَـماعُها الآن يكشـف للـذَّات القديمـة أن الجديـدة قـد ابتلَعَتهـا، الأولى صغـيرة مثـل رصاصـة، والأخـيرة كبـيرة مثـل الحـب.

لقد تطهَّرتُ من السموم.

لم تلحـظ جانهيلـدور الأغنيـة، وبعـد لحظـة طويلـة مـن السـعادة الشـديدة، واصلنـا السـير. يأخذنـا الطريـق السريـع المكـوَّن مـن مسـارَيْن عـبر نفـق، أسـفل منحـدر وأعـلى آخـر، ثـم تحـت جـسر علـوي. تسـير سـيارات الدفـع الرباعـي الفاخـرة أمامنـا؛ مـمَّا يثـير "غبـارًا" مصنوعًـا مـن المـاء. تنعطـف إلى جاروبـير، المدينـة الخاملـة التـي يعيـش فيهـا والداهـا. ثـم قالـت فجـأة: "إذن، هـل تريـد أن تعيـش في أيسـلندا؟".

"نعم. ولكن فقط ما دُمتِ حيَّةً، بمجرد أن تموتي، سأرحل".

"لذا من المحتمل أن تقتلني؟".

"ليس إذا تزوَّجتِني".

"هل هذا طلب زواج؟".

"لا، إنه تهديد".

نظَرَت إليَّ بابتسامة يمكنني أن أقتُل من أجلها. عفوًا لا. بابتسامة يمكن أن أعرِّض نفسي للقتل من أجلها.

نحن اثنان سعيدان من الهامستر، ونتوقَّع الثالث بينما نتوقَّف أمام منزل والديها. ألقيتُ عليها نظرة سريعة وجادَّة لأسأل:

"هل يجب أن نخبرهما أيضًا عن الطفل؟".

عاد وجهها إلى طبيعته تقريبًا، رغم أن عينيها ما زالتا حمراوين قليلًا.

"لا ليس الآن. لستُ متأكِّدة ما إذا كنتُ أريد الاحتفاظ به".

"ماذا؟ جانهيلدور؟ لا!".

نظَرَت إليَّ لبعض الوقت ثم ابتسَمَت ابتسامةً بشفتيها الرطبتين.

"استرخِ. لقد كان مجرَّدَ اختبار".

# 33
# زَمنُ الاجتهادات العِلاجيَّة القَضائيَّة

## 2007/05/12

إنـه مايـو 2007. لقـد مـرَّ عـامٌ منـذ وصـولي العابـر إلى أيسـلندا. منـذ تقاعُـدي المبكِّـر مـن صناعـة القتـل. دخـل إلى روحـي شـتاءٌ مـليء بالأيـام المظلمـة والليـالي الثلجيـة. والآن أصبَحَـت مُشرِقـةً مـرَّة أخـرى. الربيـع هنـا بـارِدٌ كـما كان دائمًـا، مـع ضـوءٍ لا نهايـة لـه، ومسـابقة الأغنيـة الأوروبيـة، العربـدة السـنوية للنسـاء الرائعـات والرجـال المِثليِّـين.

إنها الليلة.

نذهـب إلى والِـدَيْ جانهيلـدور مـن أجـل تجمُّـعٍ عائـليٍّ[1] تقليـدي. الطفـل الكـرواتي الكبـير بداخلهـا قـد يحـين موعـده في أي لحظـة الآن، وهـي تبـدو مثـل الأفعـى التـي أكَلَـت كُـرَة السَّـلَّة. تقـول جـان إنني أربِّت عـلى بطنهـا كـما لـو كنـتُ أنتظـر مليـون دولار وليـس طفـلًا. ترحِّـب بنـا

(1) Fjölskylduboð: بالأيسلندية في الأصل.

سيكريدر، وتُقبِّل ابنتها وصهرها على الخد، وهذا الأخير لأول مرة في الواقع، لقد استغرق الأمر موسم كامل من الظلام لتقبل حقيقة أن ابنتها ستنجب مُجرِمَ عصابات مُستقبليًّا.

أخبَرَتني عَشيَّة عيد الميلاد، عندما تَصادَف أنْ كُنَّا وحدنا في مطبخها: "أريدك أن تعرف أنَّكَ إذا خذلتنا، فسأذهب إلى الهاتف وأتصل بالسفارة الأمريكية على الفور".

بعد أن تدرَّبتُ جيدًا على العادات الأيسلندية، خلعتُ حذائي الرياضي ووضعته في زاوية. يُسمح لجانهيلدور بألَّا تخلع حذاءها شبه العالي. (وفقًا لقواعد المنزل الأيسلندية، يُسمح لك بالدخول بحذائك إذا كانت تكلفته أكثر من مائتي دولار) تمشي في غرفة المعيشة وتخرج إلى الشرفة لتُقبِّل والدها.

جودموندور بالخارج يعبث بشوَّاية الغاز، فخر كلِّ منزل أيسلندي؛ مخلوق أسود بأربع أرجل وثَديٍ أصفر لامع يتحمَّل الشتاء الطويل في صمت. يتسكَّع في الحدائق الجليدية مثل حيوان ثديي في القطب الشمالي. تمَّ تصميمه في الأصل لحفلات الشواء في تكساس، وقد رأيتُ أفرادًا من بلاد الراحة[1] يزيلون الثلوج عن ظَهْره قبل إشعال اللهب. في بعض الأحيان، تعود شريحة اللحم المطهوَّة جيدًا نصف مُجمَّدة بسبب العاصفة الثلجية.. هؤلاء الناس سادة حقيقيون في خداع الذات.

بعد قليلٍ وصل آري شقيق جانهيلدور. لقد عاد إلى المنزل لبضعة أسابيع بعد دراسته لشيء له علاقة بالكمبيوتر في بوسطن. رجُلٌ أشقر بوجنتين حمراوين ونظارات. يبدو وكأنه نسخة مُحدَّثة من والده. نلتقي للمرة الأولى.

(1) Easelanders: حَرَّفَها الكاتب من Icelanders.

"مرحبًا، أنا توماس".

"أهلًا".

"ندعـوه تومـي!" يصيـح جودمونـدور بسـعادَةٍ مـن الشرفـة، وهـو يرتـدي قُفَّـاز الشـواء ويمسـك الكمَّاشـة. أطلـق عليـه أحيانًـا اسـم جونـدي.

أتحـدَّث مـع آري عـن فنـدق ويسـتن كوبـلي بـالاس في بوسـطن حيـث حـضر مؤخَّـرًا حفلـة عيـد الميـلاد الثلاثـين لأحـد أصدقائـه (وقـد نَفَّـذتُ العمليـة رقـم 30 قبـل بضـع سـنوات). ثـم شـاهَدتُ جانهيلـدور وهـي تفتـح البـاب الأمامـي لأوليـه وهاربـا اللذَيْـن يُحيِّيانهـا بابتسـامة وزجاجـة وباقـة زهـور. إنهـما يشـبهان إلى حـدٍّ مـا زوجـين مُختَلِطَـيْ الأعـراق: فتـاة العـود مدبوغـة إلى أقـصى الحـدود، لكـن رَجُـل اللحـم أبيـض كقُبَّعـة الطبـاخ.

بعد فترة وجيزة، وصل تورتشور وهانا مع أطفالهما الصامتين.

كالعـادة، مصافحتـه قادمـة مبـاشرة مـن الكتـاب المقـدَّس، وأنفاسـها الطبيعيـة غـير مُلوَّثـة بالفلورايـد أو غسـول الفـم. يجلبـون لحمهـم، ربمـا مـن الحَمَـل الـذي ذبحـه تورتشـور بنفسـه في مرآبـه. أحـضره إلى جودمونـدور، ودردش الرَّجُـلان لبعـض الوقـت بالقـرب مـن شـوَّاية الدخـان وكأنهـما زعـماء قبائـل.

"كيف تسير الأمور بشأن الخطاب؟" تسأل هانا.

" الأمور على ما يرام".

إنها تشير إلى خطاب فريندلي.

"أمرٌ جيِّد أن أسمع ذلك. وهل سترسله؟".

"لا أعرف، قد أفعل".

نـأكل مُبكِّرًا حيـث يبـدأ البَـثُّ المبـاشر السـاعة السـابعة في هـذا الجزء مـن العـالم. يرتـدي جودمونـدور ربطـة عنـق ورديـة ويرفعهـا عـلى كتفـه بينـما يـأتي باللحـم الدافـئ مـن الشرفـة الأرضيـة البـاردة. يسـألني آري عـن العمـل. يبـدو أنهـم لم يبلغـوه بمـاضيَّ الدمـوي. أخـبره عـن وظائفـي، بصيغـة الجمـع؛ لأننـي الآن أؤيِّـد التقليـد الوطنـي المتمثِّـل في وجـود وظيفتـين. في الصبـاح أعمـل في الكافيتريـا بالمكتبـة الوطنيـة، وأعمـل أربـع مـرات في الأسـبوع في كنيسـة تورتشـور. وهـذا يشـمل مسـح أرضيـات مـن عَـرَق الوحـي الإلهـي، وأحيانًـا مواسـاة المـرأة الوحيـدة التـي تبقـى لتتحـدَّث عـن خيباتهـا. وبينهـما أُنهـي دروسي في اللغـة الأيسـلندية وأعمـل عـلى رسـالتي.

يتضمَّـن هـذا الـشيء الأخـير البحـث الـذي أقـوم بـه عـادةً في المكتبـة عـلى الكمبيوتـر المحمـول القديـم لابنـة هانـا، وهـو عبـارة عـن قطعـة حَجَـرٍ مـن القـرن العشريـن مليئـة بالحِيَـل، ولكنهـا خاليـة مـن أي كماليات العـصر الأخـير. ومـن وقـتٍ لآخـر، أتلقَّـى أيضًـا دروسًـا في الكاراتيـه مـن تورتشـور في غرفـة المرتَبَـة.

أوليه وهاربا خجولان بعض الشيء في وجود كل هؤلاء المشاهير.

يركِّـز أوليـه عـلى الأكل، بينـما يرقـص قرطـه الصغـير في فكِّـه مثـل نظـارات سـامي وهـو يمضـغ الحَمَـل السـماويَّ بـلا هـوادة، لكـن هاربـا بالـكاد تلمـس نصيبهـا. ينظـر تورتشـور إلى زجاجـة حمـراء كـما لـو كانـت مليئـةً بـدم الشـيطان. عـرض أوليـه أن يسـكب لي البعـض لكنـي أرفـض بصمـت. تـأتي لحظـة وجيـزة مـن الإثـارة عندمـا تطلـب منـي جانهيلـدور تمريـرَ الصلصـة وتناديـني بــ "تـود" إذ تعضُّ شَـفَتَها، لكـن "أوليـه" و"هاربا" يشـعران بضغـطٍ شـديدٍ فلـم يلاحظـا ذلـك، في حـين تَحـدَّث آري مـع هانـا.

يتحــوَّل الحديــث إلى الحــرب في العــراق ومشــاركة أيســلندا فيــه. بطريقــةٍ مــا، تمكَّنَــت الدولــة التــي لا جيــش لهــا مــن الخــروج بجُنــديٍّ واحـد، ثـم أرسَـلَته إلى بغـداد للمسـاعدة في هـذه الفـوضى الكبـيرة. ولكـن الآن تجـري عمليـة إعادتـه إلى المنـزل. لقـد تَطلَّـب الأمـر كتيبـةً كاملـة مـن الأمريكيـين لحمايـة الوغـد البائـس.

"لم يرغبـوا في المخاطـرة بالقضـاء عـلى الجيـش الأيسـلندي بأكملـه"، كـما يقـول آري بلهجـة أمريكيـة، ثـم يضحـك ضحكـةً بلهـاء بعينهـا لم أسـمعها منـذ سـنوات، لكننـي أتذكرهـا مـن كافتيريـا الجامعـة في هانوڤـر. درس شـقيق نيكـو علـومَ الكمبيوتـر، وكان أصدقـاؤه يضحكـون بهـذه الطريقـة طـوال الوقـت. الأولاد الأذكيـاء يضحكـون على غبـاء الآخريـن... و"الآخرون" هـم جميـع الأشـخاص في العـالم باسـتثناء أولئـك الذيـن يدرسـون علـوم الكمبيوتـر في جامعـة هانوڤـر.

يضحـك أوليـه معـه، لكـن تورتشـور ينظـر إليهـما مـن تحـت حواجـب ثقيلـة، كـما لـو كان يفكِّـر في تسـليح كل المصلِّـين وإرسـالهم إلى العـراق ليُعلِّـم هـؤلاء المسـلمين كيـف يختنـون قلوبهـم. لكـن بـدلًا مـن ذلـك التفـتَ إليَّ -ابـن مواليـد طفـرة الكتـاب المقـدَّس- وقـال إن هـذه سـتكون المـرة الأولى عـلى الإطـلاق التـي يشـاهد فيهـا مسـابقة الأغنيـة الأوروبيـة. يقـول إنـه يفعـل ذلـك مـن أجـلي.

"وأنــت تنظــر إلى رجُــلٍ أخــبر شــعبه ذات مــرة أن تكريــس وقتــك لمهرجـان الحمقـى هـذا كان شـكلًا مـن أشـكال عبـادة الشـيطان. هـا هـا. كانــت تلــك هــي الســنة التــي أرســلنا فيهــا لوطيًّــا يرتــدي زي لوســيفر[1] نفسـه. لا، إنـه لا شيء سـوى الغـرور وانزعـاج الـروح. لكنـي سـأعضُّ لسـاني هـذا المسـاء.. هـا هـا".

(1) Lucifer: اسم الشيطان في المسيحية قبل خروجه من نعيم الرب.

سيكون عرضًا متوحشًا. منذ فوز الوحوش من فنلندا العام الماضي، تقام مسابقة هذا العام في هلسنكي.

يبدأ البَثُّ بهم وهم يعزفون الأغنية الفائزة "روك هلّلويا". مشاهدة رَدِّ فِعل تورتشور أمر مُعذِّب حقًا. ومع ذلك، أظن أنه معجب قليلًا بعازفي الروك الدينيين. إن أسلوبه الكرازي متأثِّرٌ بأسلوب الهيڤي ميتال بدرجة كبيرة.

دور أيسلندا هو رقم خمسة في القائمة. عازف روك أصهب متأثّر بالبرد ويرتدي الجِلَد يصيح بـ "عيد الحب المفقود". جانهيلدور تحبه، وأنا كذلك. أشاهدها تجلس بجانب شقيقها على الأريكة، وهي تمدُّ ساقيها البيضاوين الطويلتين على الأرض، من تحت الفستان القصير الأسود المشدود على بطنها. حبيبتي المُشرِقة. احمرَّت الشفاه والفخذان بسُمكِ بوصة واحدة عن العام الماضي. أصبحت مُؤخَّرتها لاتينيَّةً تقريبًا الآن، وقد ارتفع ثديها إلى مستوى مناسب. بشكل عام، تبدو أكثر جاذبية، بصرف النظر عن بطن كرة السلة الصُّلبة من أثر تراكم المياه، لكني لم أدفعها للبكاء على الإطلاق في الشتاء الماضي.

ثم ألقي نظرة فاحصة أخرى على تورتشور. رئيسي الجديد، ديكان الأيسلندي. إذا كانت لديه نقطة ضعف تجاه وحوش تمجيد الله فيمكننا القول إنه عاد إلى شخصيته المُحِبَّة للهارد روك الآن. تنعكس ألسنة اللهب المتلألئة "الغرور وانزعاج الروح" في نظارته، بينما يُعبِّر عن ازدرائه بشفتيه، وهو يتحرَّك في لحيته مثل دودتين على العشب. إن مشاهدته إذ يتابع مسابقة الأغنية هذه مُسلِّية أكثر من مشاهدة العرض نفسه. يُذَكِّرني بديكان وهو يشاهد دينامو زغرب يخسر أمام هايدوك[1].

---

(1) نادي كرة قدم كرواتي.

قـرَّرَت كرواتيـا هــذا العـام اسـتخدام جهـاز ضبـط الوقـت مثـل أيسـلندا. إنـه دادو توبيتـش يلعـب وحـده مـع بعـض الأطفـال الذيـن لم أرهـم مـن قبـل. دادو هـو ملـك موسـيقى الـروك الكرواتيـة، لقـد كتـب الموسـيقى التصويريـة لشـبابي كلـه. حتـى إنـه كان حـاضرًا في الليلـة التـي فقَـدتُ فيهـا عُذريَّتـي.

الآن يغنــي: "أؤمــن بالحــب[1]" بصوتــه الخَشِــن العميــق، ولا يــزال شَـعرُه طويـلًا ويرتـدي حـذاء رُعـاة البقـر.

الأغنيـة جيـدة في الواقـع، لكـن تورتشـور يقـول إن الفتـاة التـي تُغنِّـي معـه غـير متناغمـة. برَبِّـكَ يـا رجـل!

قبـل أن تنتهـي الأغنيـة، يـرنُّ جـرس البـاب، فيذهـب إليـه جودموندور، ثـم يعـود قائـلًا إنـه لي. ألقـي نظـرة سريعـة عـلى والـدة طفـلي وأتَّجـه نحـو البـاب. إن البـابَ مُـوارَب، فيندفـع في وجهـي بَـردُ الربيـع الأيسـلندي المذهـل مثـل نـوع مـن الغـاز عديـم الرائحـة الـذي يجعلـك ترتجـف حتـى العَظـم- لكـن لا يمكننـي رؤيـة أي شـخص هنـاك.

أخطـو عـلى العتبـة الذهبيَّـة الشـهيرة وأبحـث عنهـا. يمسـك شـخصٌ مـا بذراعــي ويمكننــي أن أشـعر بفوَّهــة المســدس إذ تخـترق جانبــي الأيـسر. ربمـا تـمَّ غسـل عقـلي في نهـر الأردن، لكـن جهـازي العصبـي لا يـزال جنديًّا. أشـعر بالمسـدَّس عندمـا يكـون هنـاك.

إنه نيكو.

من بين جميع الرجال في العالم، إنه نيكو اللعين.

يَخفُـق قلبـي عـلى الفـور قبـل أن تهبـط الإبـرة عـلى أغنيـة بريتنـي "توكسـيك". في لحظـة واحـدة، تطغـى حيـاتي القديمـة عـلى الجديـدة.

---

(1) بالكرواتية في الأصل.

يقـول باللغـة الكرواتيـة بابتسـامة معتـادة: "تسـعدني رؤيتـك"، ويطلب منـي الانضـمامَ إليـه في جولـة، مشـيراً إلى سـيارة أودي سـوداء تقـف في الشـارع. "أعتقـد أننـا يجـب أن نتحـدَّث".

من الجيد أن أسمع لسانَ وطني مرَّةً أخرى.

أقـول لـه إنننـي بحاجـة للحصـول عـلى حـذائي. مـن الواضـح أنـه لم يكـن مسـتعدًّا لهـذه المعلومـة المباغتـة، وشـاهَدَني أعـود داخـل المنـزل.

الحـذاء خلـف البـاب. ربمـا ينبغـي أن أدعـو أوليـه للقفـز إلى المطبـخ للحصـول عـلى سـكِّين حـاد، أو أطلـب مـن تورتشـور أن يُخـرج لسـانه النـاري. لكننـي أكتفـي بالانحنـاء فـوق حـذائي الريـاضي ذي النَّعـل السـميك، وشـعرتُ بنظـرة نيكـو الحـادة تطعـن ظهـري، بينـما أسـتمع إلى الأوتـار الأخـيرة لصـدى أغنيـة دادو مـن أحشـاء المنـزل متبوعًـا بالتصفيـق المجنـون مـن الجمهـور. أرتـدي حـذائي، وحـين مَـدَدتُ يـدي لأمسـك بسـترتي الجلديـة السـوداء هـزَّ نيكـو رأسـه رفضًـا.

أقول "لكن الجو باردٌ بحقٍّ اللعنة".

"لن يطول الأمر".

تـصرخ جانهيلـدور بـشيء مـن غرفـة المعيشـة فأتـردد للحظـة، وأنـا أنظـر في عينَـيْ صديقـي القديـم، قبـل أن أغلـق البـاب خلفـي، وبمجـرَّد أن نكـون بالخـارج يفتِّشـني بسرعـة، ويبحـث عـن بندقيـة آليـة في إبطـي، في جيـوبي، بـين فخـذي. أرتـدي سُـترَةً سـوداء رفيعـة فـوق قميـص أبيـض وسروال چينـز رائـع سـاعدتني جـان في اختيـاره. عندمـا دخَلـتُ السـيارة، ظنَنـتُ أني لاحظـت بعـض الحركـة في نافـذة غرفـة المعيشـة الخاصـة بنُسَـائي. كـما لـو أن أحدهـم قـد رآنـا. لا داعـي للقَلـق حقًّـا. سـيحضر الرِّجـالُ المقدَّسـون فريقَهـم الخـاص مـن ملائكـة التَّدخُّـل السريـع لإنقاذي.

إذًا... مُنِعتُ للسنة الثانية على التوالي من مشاهدة مسابقة يوروفيچن بالكامل. كنت أتطلَّع حقًّا إلى فقرة الدخول الصربي. تردَّدَت شائعةٌ أنهم سيُدخلون قِزمَةً مِثليَّة، تبدو مثل ابنة ميلوسيڤيتش[1] غير الشَّرعيَّة، تصلي من أجل الحب، أو السلام، أو قطعة من أرضنا، أو أي شيء آخر.

لم يتغيَّر نيكو كثيرًا، تحوَّلَت لحيته الصغيرة إلى اللون الرمادي قليلًا، وظهرت على جِلدِه علاماتُ البرد. لكن الأنف الطويل ومُقَل العيون السوداء القاسية موجودة- نظرته تلك التي تقول بوضوح "لا تعبث معي بحقِّ اللعنة!". يُلقي بنفسه على المقعد بجانبي، وينطلق السائق.

تفوح من السيارة رائحة الجِلد والرفاهية. يبدو أن عمرها حوالي ساعتين. أتعرَّف على السائق، إنه مُموِّل نيويورك، رادوڤان العزيز الحبيب. حلق رأسه تمامًا، حتى إنه يرتدي نفس النَّظَّارات الشمسية اللعينة التي ارتداها في آخر يوم لي في أمريكا.

إذًا حان وقت لَمِّ الشمل، تكرار اللقاء[2]. يجب أن نتَّجِه إلى مطعم فاخر حيث ينتظر دون ديكان في نهاية الطاولة، محاطًا بشبيهات جان، ويمتصُّ سيجار هاڤانا الدَّسِم الذي كان يحاول إشعاله على مدار الثلاثين عامًا الماضية.

نيكو يراقبني، ويحتفظ بمسدَّسه أ.ق.أ بالرغم من أنه ظلَّ يُصوِّبه ناحيتي. إنه من طراز نسر الصحراء، وهو شبه آليٍّ شديد السَّواد صُنِع في إسرائيل. أذكر عندما حصل عليه لأول مرة، احمرَّ تَشوُّقًا مثل صبي، لقد صمَّم أن يحصل على واحد بعد أن شاهد أول أجزاء فيلم ماتركس.

---

(1) سلوبودان ميلوسيڤيتش: رئيس جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية من 1997 حتى 2000.

(2) بالكرواتية في الأصل.

كعـادة نيكـو. تشـبه عيونـه السـوداء فتحـة البرميـل. ثلاثـة ثقـوب سـوداء تحـدِّق في وجهـي. "لا تعبـث معـي بحـق الجحيـم!" هـذا مـا شـعر بـه ضحايـاه عندمـا واجهـوا المسـدَّس المَحشـوَّ والإصبـع التـي تنـوي قتـلًا. إلَّا أن اللـه في صَفِّـي. في كل مـكانٍ عَينَـا الـرَّبِّ مُراقِبتـان الطَّالحـين والصالحـين[1].

يبـدو أن رادوڤـان أمـضى أسـبوعًا في ريكياڤيـك. إنـه يقـود سـيارته مثـل محـلِّيٍّ بالفعـل، بثقـة وسرعـة كبيرتـين. الشـوارع مهجـورة. الجميـع يشـاهد السُّـحاقيَّات الصِّربيَّات.

"إذن انتظرتَ اللحظة المناسبة؟" أسأل.

يقول نيكو: "كُنَّا ننتظر هذه اللحظة".

أقول: "أنا أيضًا. لقد استغرق الأمر وقتًا أطول ممَّا كنتُ أعتقد".

"ربما اعتقدتَ أنك هربتَ منَّا... يا توماج ليڤور؟".

عليَّ الاعتراف بأني مُعجَبٌ ببحثه.

"مَن هو رَجُلُك؟ تراستر؟".

"تراستر؟ مَن هو ذاك؟".

"لا تهتمَّ. ماذا يحدث في نيويورك؟".

"لقد أفسدتَ الأمر يا توكسيك".

يقـود رادوڤـان في الطريـق الخـالي. يبـدو أنـه مُتَّجِـهٌ إلى المطـار، إنهـم يعيدوننـي، السـؤال الوحيـد هـو مـا إذا كنـتُ سأسـافر في رحلـة عمـل أم مشـحونًا.

"ماذا حدث؟" أسأل.

---

(1) (أمثال 15: 3)

لا إجابة، فأحاول مرة أخرى:

"كيـف أخطـأت؟ لقـد اتَّبعـتُ الأوامـر، فعلـتُ فقـط مـا طلـب منـي ديـكان أن أفعلـه".

"لقــد أخفقــتَ يــا ســام. مــات إيڤــو، ومــات زوران، ومــات برانكــو بــراون، وكذلــك برانكــو كارلوڤاتــش".

"وديكان؟".

"الزعيم بخير".

يبتسم رادوڤان من مقعد السائق ويتحدَّث في مرآة الرؤية الخلفية:

"أخبرني ديكان أن أقبِّلَك. عندما تموت! ها ها".

"اخرس وقُدْ!" يصرخ نيكو.

إذًا سـيكون السَّـفر شَـحْنًا. بـدأت الدقائـق الخمـس عـشرة الأخـيرة في التَّكتكـة. يتحـوَّل القلـب مـن موسـيقى البـوب لبريتنـي إلى فوجـا جنائزيـة. تأخذنــا ســيارة أودي الســوداء عــبر مصنــع الألمنيــوم الممتــد في ضواحــي المدينــة، وينبعــث مــن الراديــو الناعــم لويــس أرمســترونج، ينفــخ في بوقــه "مــن الخــدِّ للخَــدِّ"[1] ويخبرنــا أنــه في الجَنَّــة.

"مَــن قتلهــم؟ الفيدراليُّــون؟" أســأل، وأضــع قدمــي اليــسرى خلــف اليمنــى.

أن أكـون قـادرًا عـلى التحـدُّث بلُغَتـي مـرة أخـرى، بهـذا القُـرب مـن النهايـة، يُشـبِه عَـرضَ سـيجارة أخـيرة عـلى مُدخِّـن شَرِهٍ أقلـع عـن التدخـين قبـل الحَـدَث الكبـير. تخـرج الكلـمات الكرواتيـة مـن فمـي مثـل حلقـات الدخـان النَّهِمـة.

في الواقع، رؤية وجه نيكو مرة أخرى، تثير رغبتي في التدخين.

---

(1) Cheek to cheek.أغنية جاز أمريكية شهيرة.

"أنتَ قتلتهم يا توكسيك".

قتلتُهم. لا بُدَّ وأن عملية مكبِّ النفايات قد تسبَّبَت في سلسلة من الاجتهادات العلاجية القضائية. لكنَّ الفيدراليين لا يقتلون الناس، على الأقل ليس قبل أن يسمعوا قصة حياتهم عبر الملابس الداخلية المتَّسِخة الموضوعة فوق رؤوسهم، بتشجيع من كلب بوليسي مجنون ينبح على أعضائهم التناسلية العارية. أنا لا أفهم، كنت مُجرَّد قاتِلٍ مُحتَرِف، لم أرغب في إيذاء أحد. والآن أنا مَن يَلقَى اللوم؟ أُركِّز على أشياء أبسط. يجب أن أواصل الحديث.

"هل قتَلتَ مونيتا؟" سألتُ صديقي القديم وشريكي السابق في السَّكن، بينما أدفع طرف حذائي الأيسر بحذر مقابل كعب يميني.

"مونيتا؟" يُكرِّر نيكو بابتسامةٍ وهبَّةٍ قصيرة في الأنف.

يقول رادوڤان: "كان جسدها رائعًا، لكنَّ الرأس قبيح".

يضحك نيكو، يضحك نيكو وهذه هي اللحظة المناسبة. أدفع الجزء السُّفلي من كعبي الأيمن بإصبع قدمي الأيسر بقوة، حتى ينفصل النَّعل عن الكعب: تمكَّنت من "فتح" الحذاء من الخلف، فأرفع قدمي وأهزُّها قليلًا، يتدحرج المسدس الصغير برفق من الجزء الخلفي من حذائي، إنه على الأرض الآن. أضغط عليه بقدمي اليسرى، لقد فعلت ذلك مئات المرات، تدرَّبتُ بقوَّة طوال فصل الشتاء. لا يلاحظ نيكو أيَّ شيء ويواصل الضحك.

يُردِّد رغيف اللحم "رأس قبيح" ثم ينعطف إلى الطريق الرئيسي ويتَّجه إلى طريق ترابي نحو الجبال. لقد اختفت الانجرافات الثلجية تقريبًا، وتحوَّلَت الطحالب على الحُمَم إلى اللون الأخضر، وصار العَدَمُ من حولنا مُطلَقًا.

لا أشجار ولا طيور ولا شيء. فقط بعض الصخور القذرة ورذاذ الطحالب هنا وهناك. هذه المناظر الطبيعية القمرية بعيدة جدًّا عن المنحدرات البيضاء، وهي مُزيَّنة بأشجار السرو وأشجار الزيتون، التي أعرفها من التِّلال المحيطة بسبليت. لقد بدأت أقدِّر الفراغ الجليدي البارد الآن، لكن علي أن أعترف أنني ما زلتُ أفتقد نبع البحر الأدرياتيكي. وفجأة بدأت أدقُّ النشيد الوطني لكرواتيا جميلتِنا[1].

"دراڤا، ساڤا، استَمِرَّ في التَّدفُّق

يا دانوب، أنتَ تعرفُ وجهَتَكَ".

نيكو يحفر في أذنيه، لكنه لا يستطيع مجاراة الأغنية ولا الكلمات. أُهَمهِم بصوتٍ أعلى قليلًا، وعيني دافئة. في كل مرة تسمع فيها هذه الأغنية، يظهر حوالي عشرين ألفًا من الكروات أمام عينيك، جميعهم يرتدون القميص الوطني باللونين الأحمر والأبيض، وهم يصرخون في المدرَّجات ويصرخون قبل مباراتنا الأخيرة في فرنسا 98.

"أخبِرْ البَحرَ وأخبر الرمال أن الكرواتيَّ يحبُّ وطنه".

"اسكُتْ!" يصرخ نيكو. "اخرس بحقِّ اللعنة!".

أقول: "حسنًا... هل يمكنني تدخين سيجارة قبل أن تقتلني؟".

"هل عُدتَ للتدخين" يسأل نيكو.

"لا تَقُل، لن يقتلني".

ينظر إليَّ وكأنه يريد إطلاق النار عليَّ على الفور. ربما كان سيفعل ذلك، إذا كان عمر السيارة الـ أَوْدي أكبرَ من ساعتين.

---

(1) بالكرواتية في الأصل.

# 34

# بوك[1]

## 2007/12/05

يوقف رادوڤان السيارة في موقفٍ جانبي وَعرٍ بجوار الطريق حيث يسود الأرضَ الصَّمتُ المطبق. أحاول الحفاظ على هدوئي عندما يخرج نيكو من السيارة ويترك الباب مفتوحًا. يقوم ببعض حركات الرقص الحديثة السريعة، ويُظهِر مُسدَّسه الرائع للبيئة المحيطة.

نعم يا رجل، من الأفضل أن تنتبه إلى تلك القُبَّعات البيضاء. أنحني للأمام بشكل عفوي، وأتمكَّن من التقاط المسدس الصغير من الأرض دون أن يلاحظ السائق. أنتوي التخلُّص منه على الفور، لكن عندما صرخ نيكو لي بأن أخرج بحق الجحيم من السيارة، أتردَّد بشدة، أضع المسدس في جيبي بحذر وأخرج من السيارة وقلبي يعزف جميع أنواع الموسيقى مثل راديو متعثِّر.

---

(1) Bok: تحية كرواتية تعني إلى اللقاء أو أهلاً.

قُضي عليّ.

ليلة الربيع الساطعة شديدة البرودة. يأمرني نيكو أن أمشي أمامه، بعيدًا عن الطريق، ثم يصيح في رادوڤان، إذ لا يزال داخل السيارة. أشقُّ طريقي عبر سطح الحُمَم الجامدة غير المستوية. توجد بُقَعٌ من الطحالب الخضراء الفاتحة والرمادية هنا وهناك، وعلينا أن نتخطَّى بعض الفتحات المستطيلة والضيقة في أرضية الحمم، والتي تبدو مثل مُنَمنَمات جراند كانيون[1]، يمكنك أن تُسمِّيها شقوق.

أحاول جاهِدًا أن أمشي بشكل طبيعي بينما أبذل قصارى جهدي لإخفاء النعل الفضفاض لحذائي الأيمن. سَمِعتُ رادوڤان يخرج من السيارة، يغلق بابها ويملأ أذني بالصَّوت، آخر باب في حياتي... يمكنني أيضًا أن ألتَفِتَ الآن، وألتقط المسدس وأقضي عليهما في لمح البصر.

لا لن يفلح الأمر. نيكو سريعٌ بما فيه الكفاية.

أخيرًا أخبرني أن أتوقَّف. فَهِمتُ، لقد قاما باستذكار دروسهما جيِّدًا.

نتوقَّف عند حافَّة شقٍّ من الحُمَم البركانية كبير بما يكفي ليكون نعشي. ستبتلعني أيسلندا مثل سائحٍ قليلِ الحظِّ.

أستدير لمواجهة صديقيَّ وجَلَّادَيَّ. كُلُّنا نرتعد من البرد، لا بُدَّ وأن درجة الحرارة حوالي درجتين مئويَّتين. لا يمكن سماع سيارة أو طائر أو طائرة، الهواء ساكن تمامًا، الصمت مُطلَق. أفكر في جانهيلدور. إنها حتمًا في السيارة الآن، تجول بلا هدف، يائسة. أو ربما لا يزالون في المنزل، مُحتَجزين كرهائن على الأريكة مع دخول الفريق الأوكراني للمُسابقة، معتقدين أنني لا بُدَّ أنني خرجتُ مع صديق قديم من مدرسة العصابات.

(1) Grand canyon: الأخدود العظيم في الولايات المتحدة الأمريكية.

يأمر نيكو رادوفان بإعطائي سيجارة. في الواقع كِدتُ أنسى الأمر. الأبله يُخرِج العلبة ويرمي لي واحدة. إنها "بال مال". لا يوجد حدٌّ على الإطلاق لغَرابة هذا الرجل. على الرغم من أنه يبدو مثل الهيكل الأبيض في بذلة، فنّانته المفضلة هي سيلين ديون. قال لي ذات مرة إنه شاهد تيتانيك ثلاثين مرَّة. أطلب قدَّاحة، فيفتِّش الأصلع جيوبه دون جدوى.

يواصل نيكو تصويب نسر الصحراء إليَّ. أُبقي عينَيَّ على فوَّهته بينما يستخدم يده الحرة ليلتقط قدَّاحةً من بنطاله، يلقيها في وجهي، أتظاهر بإمساكها، لكنني أتركها لتُفلِت من يدي وتهبط على أرضية الحُمم البركانية. أستأذن قبل الركوع للحصول عليها، إنها من زغرب ساموفار. أتردَّد للحظة قبل التقاط القداحة، وأنظر لنيكو نظرةً خاطفة، إنه متوتِّرٌ كالنسر المُقيَّد.

"لا تعبث معي بحق اللعنة!" من الواضح أنه لا يستطيع الانتظار ليقصف وجهي برصاصة طويلة من مُسدَّسه الأسود الكبير. ومع ذلك، فقد وعدني بأن يسمح لي بالتدخين للمرة الأخيرة، من أجل الأيام الخوالي.

قد تكون هذه لحظتي، أقول لنفسي وأنا أمسك بالقدَّاحة. لكن لا... أتردَّد مرَّةً أخرى. أنهض دون أن أفعل أي شيء، وأشعل السيجارة التي تهتزُّ في فمي مثل ذراع ناقل السُّرعات في الجرار. قلبي يُكرِّر نفس النبض مرارًا وتكرارًا، مع صوت قُرصٍ مضغوط عالق على وضع الخدش.

أزلت السيجارة من شفتيَّ وتأمَّلتها، تلك الـ 3.5 بوصة من الورق والتبغ، أنا أَبعَدُ 3.5 بوصات عن قبري. لديَّ 3.5 بوصات لأتصرَّف فيهم. الآن 3.41 على وجه الدِّقَّة.

بـدأت بالتدخـين في الحـرب. في تلـك الأيـام المجنونـة، كل سـيجارة تضـع شـفتيك عليهـا تُمثِّـل سـبع دقائـق مـن وقـف إطـلاق النـار، لمحـة مـن الجَنَّـة في وسـط الجحيـم. بعـد الحـرب أصبـح الأمـر عكـسَ ذلـك: كل سـيجارة تجلـب سـبع دقائـق مـن إطـلاق النـار والقصـف؛ لذلـك اسـتقلتُ. تلـك الصـورة هنـا يمكنهـا فقـط أن تعيـد ذكريـاتي المتناثـرة: أمـي تشـتم في المطبـخ، محطـة القطـارات المركزيـة اللعينـة في هانوفـر، رَجُـل وينيبيـج ومحفظتـه الداميـة، ابتسـامة جانهيلـدور ذات لـون الشِّـفاه الأحمـر. أُدخِّن ببُـطءٍ قـدرَ الإمـكان.

"لكن لماذا تقتلني؟ ما الغرض؟".

"اخرس".

"لقد استقَلتُ. لم أعُد أسافر بعد الآن. أنا فقط...".

"اخرس عليك اللعنة!".

"آسف. اسمحا لي فقط أن أنهي هذا وبعد ذلك يمكنكما...".

نتحـدَّث باللغـة الكرواتيـة كسـالف الأيـام. عليـك أن تتخيَّـل ترجـمات بيضـاء ناصعـة تومـض عـبر صدورنـا المُظلِمـة.

أسحب نَفَسًا مرَّة أخرى، وأراقب الجبال الزرقاء المنخفضة أمامي.

لا بُـدَّ أنهـم شـاهدوا شـيئًا كهـذا مـن قبـل. حيـث السـماء فارغـة، لا سـحب ولا طائـرات. في مـكانٍ مـا خلفـي، تنبسـط ريكيافيـك عـلى مسـافة بعيـدة، المدينـة الرابعـة في حيـاتي، وفي البحـر لا بُـدَّ وأن غـروب شـمس الربيـع المـشرق قـد بـدأ بقـوَّة.

وادعًـا أيَّتهـا الدنيـا[1]". أزفـر وأنظـر إلى كعـب المسـدس. لم يتـبقَّ سـوى نَفَـسٍ واحـد في السـيجارة، بَقِـيَ عـلى حيـاتي أقـلُّ مـن بوصـة واحـدة.

(1) بالكرواتية في الأصل.

اضطـرب صديقـاي الزائـران. أرفـع السـيجارة الصغـيرة إلى شـفتيَّ وأسـحبُ نَفَسًـا.

ها نحن.

أنحنـي إلى الأمـام، مُتظاهِـرًا بإطفـاء السـيجارة في الطُّحلـب المتجمِّـد بيـدي اليـسرى، بينـما أمـدُّ يـدي اليمنـى في جيبـي. يـصرخ نيكـو عـلى الفـور ويتقـدَّم للأمـام، مُصوِّبًـا مسدسـه إلى الأسـفل باتجـاه رأسي. سريعًـا مثـل الثَّعلـب الهائـج، أنبطـح إلى يمينـي، وأتدحـرج عـلى الأرض البركانيـة الصُّلبـة، وأُطلِـق النـار.

ترتـدُّ الرصاصـة في حلقـات مـن الحُمَـم البركانيـة في آذاننـا. وقبـل أن يـدرك أننـي أحمـل مُسدَّسًـا، دفَنـتْ رصاصـةً في أعـلى ذراعـه اليمنـى، فـصرخ صراخًـا مكتومًـا. هـمَّ رادوڤـان عـلى الفـور بالبحـث عـن سـلاحه، لكنـه تلقَّـى رصاصـةً في معصمـه الأيمـن. يـصرخ بصـوتٍ عـالٍ، بينـما يمسـك نيكـو مُسدَّسـه بذراعـه المصابـة بيـده اليـسرى، أنهـض عـلى قدمـيَّ، وأصـوِّب المسـدس نحوهـما وأصيـح:

"ألقِ السلاح! أَلْقِ المسدس اللعين!".

ينظـر نيكـو إليَّ بعينـين مرتبكتـين. "مـا هـذا بحـق اللعنـة!" لديـه السـلاح الآن في يـده اليـسرى.

"قُلتُ أَلْقِهِ!".

يسـيل الـدم مـن ذراعيهـما المصابتـين. لا يـزال رادوڤـان يرتـدي نظَّارتـه الشمسـية، ويبـدو مثـيرًا للسـخرية، مثـل رجُـل عصابـات مُصطَنَـعٍ في فيلـم روسي مـن الدرجـة الثانيـة.

"ألقِ المسدس اللعين!".

لسبب غامض، أستخدم هنا الكلمة الإنجليزية "مُسدَّس"[1] بدلًا من الكرواتية pistolj. يجعلني هذا أفكِّر في جانهيلدور.

يصرف التفكير انتباهي فيشم نيكو ضَعفي بخبرته. رفع المسدس ضدي بسرعة. نضرب في وقتٍ واحد، مثل توائم روحٍ كما كُنَّا دائمًا. تسقط رصاصتي في ذراعه اليسرى التي تحمل مُسدَّسًا. صراخه أعلى الآن، أحاول ابتلاع صرختي. ينطلق خطٌّ من الدفء الغريب أعلى فخذي في اتجاه فخذي اليسرى. ثم يتحوَّل الدفء إلى نار. يبدو الأمر كما لو كانت مباراة تشتعل، أوَّلًا الضربة ثم الحريق.

إنها رصاصة نموذجية من يدٍ يسرى. كان يستهدف قلبي لكنه حصل على المثانة. بينما أصَبتُ أنا الهدف. إنه بارعٌ مثل أعزل، وكذلك رادوفان بعد رصاصة أخرى من بي بي 9. وفجأة أجدني أصوِّب إلى السلاح فقط. لقد أطلقت أربع رصاصات ولكن لم يَمُت أحدٌ حتى الآن.

يتلوَّى وجهَا صديقيَّ ألمًا، كما حتمًا يتعذَّب وجهي أيضًا. أيديهم مُعلَّقة بجانبهم بلا حياة، خنازير مذبوحة حديثًا، والدم ينزف من حوافرهم. أُوجِّه مُسدَّسي الصغير نحو رأسيهما الآن، وبعد المزيد من الصراخ، أسقط نيكو مسدَّس نسر الصحراء الكبير. أطلب منه أن يعطيه ركلةً ثم أنحني بسرعة لاستلامه، وأثبِّت قامتي مرَّةً أخرى بصعوبة بالغة. أبعاد الألم في فخذي غير مسبوقة.

خراءٌ مُقدَّس.

وضعتُ مُسدَّس نيكو في جيبي.

طلبتُ من رادوفان أن يقترب ويفتح سُترَتَه لي، لكنه بالطبع لا يستطيع بسبب يديه. اقتربتُ منه بحذر، وعيناي تميلان بينه وبين

---

(1) Gun.في إشارة إلى جانهيلدور.

نيكـو كل ثانيتـين، أفتـح سُـترتَه السـوداء ماركـة أرمـاني بيـدي اليـسرى، سـلاحه في الجيـب الداخـلي، مسـدَّس فـضِّيٌّ مـن طـراز سـميث آنـد ويسـون. لكـن عندمـا أمسـك بـه، يحـاول العمـلاق الغبـي دفعـي بعيـدًا بمرفَقِـه. ينتهـز نيكـو الفرصـة ليهاجمنـي، برأسـه أوَّلًا، مثـل كبـش مجنـون بـلا قـرون. تخلَّصـتُ منـه بضربـة "مرفـق" بسـيطة، وهـو أمـرٌ أتقنتـه في تدريـب تورتشـور هـذا الشـتاء. مـع سـقوط نيكـو، لا يخاطـر رادوڤـان بـأيِّ حِيَـلٍ أخـرى، وسرعـان مـا أغتنـم مسدَّسـين في جيبـي والثالـث في يـدي.

أخـرج مفتـاح السـيارة مـن جيـب رادوڤـان ثـم أنتظـر بصمـتٍ نيكـو ليعـود إلى رشـده. أمـرت كليهـما بالزحـف إلى الـوادي الصغـير. يسـتغرق هـذا بعض الوقـت. لا يـزال رادوڤـان يرتـدي النظـارات الشمسـية، ويبـدو أكـثر سـخافةً، إذ يمـضي إلى مـوتٍ كوميـديٍّ. أطلـب منهـما الاسـتلقاء والانبطـاح أرضًـا، وأعـضُّ شـفتيَّ مـن الألم. شيء مـا يتـسرَّب مـن فخـذي اليـسرى، أشـعر وكأننـي أتبـوَّل عـبر خصيتـي.

هـذا هـو زمـن الحـرب مـن جديـد. الصيـاح في وجـوه النـاس باللغـة الكرواتيـة، ومُسـدَّس في يـدي ونزيـف في سـاقي. تشـغل بِنيَـةُ السـائق الضخمـة معظـمَ المسـاحة الموجـودة في نعـش الحُمَـم البركانيـة. ويبـدو نيكـو بجانبـه وكأنـه زوجـة عـذراء نحيفـة عـلى وشـك أن تُدفـن مـع زوجهـا، وعيناهـا تصرخـان: "أرجـوك، ضاجِعنـي بـدلًا مـن ذلـك!".

"انبَطِح أرضًا بحق اللعنة!" أصرخ، وأبدو متوتِّرًا قليلًا.

أخفـض مسـدسي. أمامـي اثنـان مـن الحمقـى، مسـتقيمان يصرخـان طلبًـا للرصـاص. لا يوجـد شيء آخـر للقيـام بـه. سـيتعيَّن عـلى قَاتِـلَي مونيتـا قضـاء نحبَيْهـما عـلى تلـك الجزيـرة المتجمِّـدة اللعينـة. كنـتُ عـلى وشـك سـحب الزنـاد حـين هـبَّ نَسـيمٌ مُفاجـئ في ليلـة الربيـع التـي لا تـزال قائمـة. أنظـر حـولي بسرعـة ولكنـي لا أرى شـيئًا. لا شيء يـأتي لا شيء

يذهـب، هنـاك فقـط هـذا النسـيم المفاجـئ، يهـبُّ عـبر حقـل الحمـم القمريـة، ويفتـح بـاب القمـر الصالـح[1]...

آمين.

ألقـي نظـرةً فاحصـة طويلـة عـلى رفيقـيَّ السـابِقَيْن، إذ اسـتلقَيَا مُنبَطِحَـيْن عـلى وجهيهـما داخـل الصَّـدع، مثـل اثنـين مـن السـادة يرتديـان ملابـس لا تلائـم المقـبرة الجماعيـة. ثـم أومـأت بـرأسي عـدَّة مـرَّاتٍ قبـل أن أقـول لهـما وداعًـا بكلمـة كرواتيـة قصـيرة:

"بوك".

اسـتدرتُ بعيـدًا وبـدأت أعـرج نحـو السـيارة. فخـذي يبـكي وقلبـي يهتـزُّ، ولكـن روحـي تقـول هلِّلويـا.

(1) good moon door - : إحالة إلى اسم والد زوجته جودموندور.

# 35
# الدُّخول الضَّربي

## 2007/05/12

تدفعك قيادة سيارة الأودي للاعتقاد بأنك يجب أن تكون سعيدًا. يُكافِئُكَ النجاح بمقاعد جلدية ولوحة قيادة طائرة. لحسن الحظِّ أن غيارها آليٌّ؛ لأنني لا أشعر بساقي اليسرى، وكذلك النصف السفلي من جذعي. سروالي غارق في الدَّم أو البول أو أي سائل داخلي آخر على وشك ملء حذائي الأيسر. أتساءل ما إذا كانت الرصاصة لا تزال بداخلي في مكان ما. أشعر وكأنها تستريح في قاع مثانتي، تعمل كقابس في حوض الاستحمام.

عندما مشيتُ حوالي ستين قدمًا مؤلمًا بعيدًا عن الأحمقين، استدرتُ ونظرت في عينيهما. كانا ينظران من قبرهما البركاني بعيون مذهولة، يشبهان إلى حدٍّ كبير خروفَيْن عالِقَيْن في حفرة. لماذا لم تقتلنا؟ حتى إنني شعرتُ بخيبة أمل في عيونهم. أَوْلَيتُهم ظهري وواصَلتُ مسيرتي

نحـو السـيارة. رمَيـتُ مسدسـيهما في صنـدوق السـيارة، ووضعـت مسـدسي في جيبـي، وتمكّنـتُ مـن وضـع ألمـي في مقعـد السـائق.

أعـود مـن نفـس الطريـق الـذي أتينـا منـه. أسـتطيع أن أرى بالفعـل مصنـع الألمنيـوم أسـفل السـاحل. تمـر أمامـه بعـض السـيارات عـلى طريـق ريكيافيـك- كيفلافيـك السريـع، لا بُـدَّ وأن مسـابقة الأغـاني قـد انتهـت.

كانـت سـينيكا صربيّـةً، صربيّـة جميلـة للغايـة، وهـي حقيقـةٌ أخفيتهـا عـن والـدي. اسـمها الحقيقـي دراجانـا، المكافـئ الـصربي لــسيكريدر؛ لذلك اسـتقررنا عـلى سـينيكا، الـذي يشـير إلى خلفيَّــةٍ بوسـنيَّةٍ، بـل ومسـلمة. تَواعَدنـا لأكـثر مـن عـام، ولكـن بعـد ذلـك اندلعـت الحـرب واضطـرَّت إلى الابتعـاد مـع عائلتهـا.

بعـد غـزو كنـين كنَّـا نُمشِّـط المنطقـة المحيطـة بهـا، وقـد أُمِـرتُ بالبحث في بعـض الڤيـلَّات ذات المظهـر الألماني.

كان سـقف إحداهـا مُدمَّـرًا ونوافذهـا مُحطَّمـة وجدرانهـا محترقـة. منـزلًا ضخـمًا مـن ثلاثـة طوابـق. أخـذت بندقيتـي وانتقلـت مـن غرفـة إلى أخـرى. كلهـا كانـت فارغـة، لكـن عندمـا نزلـت إلى الطابـق السـفلي، سـمعتُ بعـض الضوضـاء. هرعـتُ إلى غرفـة جانبيـة، وصِحـتُ في الجنـدي الـصربي المختبـئ تحـت سريـرٍ قديـم قبيـح. بعـد أن قُمـتُ بإطـلاق بعـض الرصـاص في جميـع أنحـاء الغرفـة، خـرج زاحفًـا. إلَّا أنـه كان هـي... كانـت سـينيكا. دراجانـا اڤراموڤيتـش. كانـت لا تـزال جميلـة جـدًّا. وأكـثر مـن ذلـك أنهـا ترتـدي هـذا الـزِّيَّ الفظيـع. تَـمَّ قَـصُّ شَـعرها لدرجـةٍ أقـصر؛ مـمَّا جعلهـا تبـدو أكـثر صبيانيَّـة. لكــنَّ الشَّـامة كانـت هنـاك، وتلـك الشـفتان المغريتـان، والعينـان اللتـان تنضحـان شِـعرًا... أرَدتُ أن أمسـك خدَّهـا الصُّلـب بإصبعـي.

كان كلانا مَذهولًا، ثم لاحَظتُ ندبةً قبيحةً على رقبتها.

"سينيكا؟".

"تومو؟".

سرعان ما كُنَّا نتبادل القُبَل، جنديان في زيٍّ العدو. ولكن بعد ذلك توقَّفَت فجأة عن التقبيل وتراجَعَت إذ تحمل مُسدَّسًا في يدها، زاستافا صربي الصُّنع، تُصوِّبه إليَّ بنظراتٍ جادَّة. ألم تثق بي؟ لقد حاوَلتُ أن أحافظ على هدوئي بينما يتدلَّى على ظهري رشَّاش إيه كيه 47 المربوط حول كتفي.

"هل تريدين إطلاق النار عليَّ؟" سألتها بهدوء شديد.

"لطالما أردتُ ذلك".

"لماذا؟".

"لأنَّكَ مثل هذا الأحمق".

"أحببَتُكِ".

"كاذب".

"لا. فعَلتُ حقًّا".

قالت بشفتين مرتجفتين: "اشتقتُ إليكَ".

"اشتقتُ إليكِ أيضًا".

"لم تكتب لي مرَّةً أخرى".

"كتبتُ، ألم تحصلي عليه؟ لقد كتَبتُ لك إلى بلجراد، على عنوان عَمَّتِكِ".

"كاذبٌ".

قلتُ بابتسامة: "سينيكا ما زلتِ مجنونةً. أتذكَّر.. دائمًا كيف كُنتِ تُردِّدين أنَّكِ تريدين قتلي".

"نعم. والآن أستطيع".

شـعرتُ فجـأةً وكأننـا عدنـا معًـا، نتجـادل في قبـو زوج والدتهـا غـير المرتَّـب في قلـب سـبليت، ومـن دون تفكـيرٍ مَـدَّت يدهـا ولمسـت مسدسـها بإصبعـي السـبابة. أضـع إصبعـي داخـل الفوهـة بقـدر مـا تمكـن أن تصـل، وأخبرهـا بصـوتٍ أكـثر اسـترخاءً أن التقبيـل أفضـل مـن القتـل.

ظلَلـتُ ألعـب بمسدسـها، وأرسـم العلامـة الدوليـة لــ "مـارس الحـب وليـس الحـرب" (أدخلـتُ إصبعـي وأخرجتهـا مـن الماسـورة عـدَّة مـرَّات) حتـى أنجَبَـت شـفتاها الرطبتـان الابتسـامةَ التـي افتَقَدتُهـا منـذ خمـس سـنوات. سـنوات طـوال.

وسرعـان مـا كُنَّـا نتبـادل القُبـلات مـرة أخـرى، أنـا وفتـاتي المجنونـة، أنـا وفتـاتي الصربيـة.

بعـد فـترة وجيـزة كنَّـا عـلى الفـراش، تشـقُّ أيدينـا المتعطِّشـة طريقهـا عــبر السـنوات الخمـس الضائعــة والـزي الثقيــل. انفجـرت القنابــل في الخــارج، واهتــزَّ المنــزل كلــه مثــل الجَرَّافــة وكان هنــاك صــوت زُجــاجٍ يتحطَّـم، فأضـاف كل هـذا الوقـود إلى نارنـا وحسـب، لا شيء يجعـل الحُـبَّ أكـثر إثـارة مـن الحـرب. كنَّـا نلهـث، ووضعـت أصابعـي عـلى ثديَيْ جيشِـها الصُلبَـيْن عندمـا ظهـر اثنـان مـن زمـلائي الجنـود فجـأةً داخـل الغرفـة وهـم يضحـكان ويهتفـان لي. كان لهـذا تأثـير مُعاكِـس.

لاحظا ودفعاني جانبًا، ووضعا أيديهما القَذِرة على فم سينكا.

كان عــليَّ أن أشــاهدهم. حاوَلــتُ أن أغمــض عينــي، لكــن الأمــر كان أسـوأ. كان عـليَّ أن أشـاهدهما بحـقِّ اللعنـة. لم أكـن أريدهـما أن يقتلاهـا؛ لـذا كان عـليَّ أن أنتظـر حتـى ينتهيَـا.

يمكن أن يكون لديك اثنان من أ.ل.ع[1].

(1) اختصار لـ أبشع لحظة على الإطلاق.

حاوَلتُ الاتصال بها طيلة سنوات. في كل شهر من شهور عملي في نيويورك، بحثتُ عن اسمها على جوجل، وكتبتُ لعائلتها وأصدقائها دون توفيق. كتَبَت لي إحدى صديقاتها في سبليت من إيطاليا تخبرني أنها حصَلَت على بطاقة بريدية من سينيكا قبل بضع سنوات، من بلجراد. بخلاف ذلك، لا شيء. لا يبدو أن حتى ملفَّات المقابر الوطنية الكبيرة لدينا تحتوي على اسمها.

فقط زوج أمِّها، دُفن في نوفي ساد في 2002. ربما كانت تعيش خارج نطاق الإنترنت، في قرية جبَليَّة أو في بعض الأراضي البعيدة. لم أكتب اسمها لأكثر من ثلاثة أشهر حتى صادَفتُها في الشتاء الماضي.

في ريكيافيك.

من بين جميع الأماكن في العالم، صادفتها في كرنجلان مول خارج مكتبة بينين، بجوار متجر الهدايا التذكارية الغريبة. كان ذلك قبل عيد الميلاد مباشرة. كان المكان يعجُّ بالناس الذين يعانون من الإجهاد المفرِط، واصطدمنا ببعضنا البعض. كانت هي دون شكٍّ. كنت أتعرَّف على تلك الوحمة في أي مقبرة جماعية. استغرَقَت بضعَ ثوانٍ للتعرُّف عليَّ. اندفع الناس أمامنا بينما نقف هناك مُجمَّدَيْن، ننظر إلى بعضنا البعض دون أن نقول الكثير.

ذهبتُ إلى المركز التجاري بحثًا عن هدية عيد الميلاد من أجل جانهيلدور، فوَجَدتُ سينيكا. كانت تخفي ندبَةً كبيرة بغطاء، وخدَّاها ما زالا جافَّيْن، وشفتاها ناعِمتان ومثيرتان، لكنَّ جَمالها تلاشى. لقد أصبَحَت سمينة أيضًا. أستطيع أن أقول إنها اعتقَدَت نفس الشيء عني. جلسنا لاحتساء القهوة، وأضافت بعض الدُّموع إلى اللاتيه.

قلتُ بلغتنا الحبيبة: "كان يجب أن تقتليني في ذلك القبو".

"لا. فحينها كان سيقتلني أصدقاؤك".

"لقد كادوا يقتلونني لأنني أطلَقتُ سَراحَكِ".

"أعتقـد أننـا حصلنـا جميعًـا عـلى نصيـبٍ مـن المـوت في تلـك الحـرب، كـما اعتـادت ماما أن تقـول. الحـرب تقتـل الجميـع، بمـن فيهـم مَـن نجـا".

كان الاثنـان في أيسـلندا منـذ أكـثر مـن ثـلاث سـنوات، جـاءا إلى هنا بعد عَقـدٍ مـن العيـش في أماكـن عديـدة، بمـا في ذلـك مُخيَّـم اللاجئـين التابـع للصليـب الأحمـر لأكـثر مـن عـام، حيـث تـوفيِّ زوج أم سـينكا، الشـاعر. لقِيـت شـقيقتها حتفهـا في الحـرب مـع عائلتهـا. أخـيرًا قـرَّروا الانضـمام إلى مجموعـة مـن ثلاثـين صربيًّـا وبـدء حيـاة جديـدة في بلـد جديـد.

في بدايـة عـام 2003، اسـتقرَّت المجموعـة في قريـة صغـيرة في غـرب أيسـلندا. هنـاك بَقيَـت الأم وابنتهـا لمـدَّة عامـين، في شـقَّة جديـدة تمامًـا فَرَشَـها لهـم السُّـكَّان المحليُّـون.

"النـاس هنـاك طيِّبـون حقًّـا. لكـن الأمـر كان أشـبه بالعيـش في خزانـة، مـع وجـود جبـالٍ زرقـاء شـديدة الانحـدار حولنـا. خـلال فصـل الشـتاء، لا تـرى الشـمس لمـدة ثلاثـة أشـهر تقريبًـا". بقيـت والدتهـا في المنـزل وهـي تحـدِّق مـن النافـذة في المحيـط. "يمكنك أن تـرى كل الطريـق إلى جرينلاند" بينـما كانـت سـينكا تعمـل في مصنـع الأسـماك. "أكـثر وظيفـة مُمِلَّـة في حيـاتي"، ولكـن عندمـا احتاجـت الأم إلى مزيـد مـن التمريـض، انتقلـوا إلى المدينـة في الجنـوب. في البدايـة عملَـت كأمينـة صنـدوق في أحـد متاجـر بونـس، لكنهـا حقَّقَـت حلـم حياتهـا مؤخَّـرًا عندمـا حصلـت عـلى وظيفـة "عاملـة" في مـسرح المدينـة.

كيـف كان كلُّ شيء مُرعِبًـا؟ مـن بـين جميـع مـدن العـالم، انتهـى بنـا المطـاف في هـذه المدينـة.

قالـت سـينكا الآن إن المـرأة العجـوز تمكَّنَـت منهـا الشـيخوخة. "إنهـا لا تتحـدَّث عـن أي شيء آخـر غـير جرينلانـد. يجـب أن تذهـب إلى جرينلانـد"

وجَدَت والدتها أفضل طريقة للتعامُل مع خسائرها من خلال مرض الزهايمر، ووجَدتُ أنا وسينكا طريقة مختلفة.

إنها تنتظر قدومَ طفلي.

أعرف. لم أتخرَّج في مدرسة تورتشور بتخصُّصٍ في القداسة.

أشقُّ طريقي إلى جاروبير. يبدو أن الأَوْدي السوداء تجد طريقها من تلقاء نفسها. وسرعان ما وقَفَت خارج منزل أصهاري الأيسلنديين.

أدَّت الرصاصة لانتفاخ مثانتي حتى صارت في حجم بيضَةِ نَسرِ الصحراء. يستغرق الأمر حوالي أربع دقائق للخروج من السيارة. لماذا أتيت إلى هنا على أي حال؟ كان يجب أن أذهب مباشرة إلى المشرحة. بهذه الطريقة كنت سأوفِّر الكثير من وقت الناس ومالهم، أرَدتُ فقط إعطاء رقم سينيكا لجانهيلدور حتى يتمكَّنا من تدبير اللقاء بين أطفالي.

يزداد ألم الفخذ مع كل خطوة، بينما أشقُّ طريقي إلى الباب الأمامي، تاركًا ورائي أثرًا من الدماء. أفتح الباب بصوت أجراس الكنيسة الصامتة، وأخطو فوق العتبة الذهبية. يستقبلني صوت الموسيقى وبعض المزامير وأشياء قادمة من غرفة المعيشة. عندما أدخل (بحذائي) أستطيع أن أرى أنهم جميعًا لا يزالون هناك، مجتمعين حول التلفزيون الصاخب: جودموندور وسيكريدر وتورتشور وهانا وآري وجانهيلدور وأوليه وهاربا، يبدو أنهم فوجئوا برؤيتي، وهم يحدِّقون فيَّ بعيون كبيرة وأنوف صغيرة وأفواه مفتوحة. ثماني كرات ثلجية تواجه رجُلًا يحترق.

"لم..." تمكَّنتُ من النطق بها قبل أن أنهار على الأرض: "لم أقتُلهم".

يندفعون لإنقاذي، وينقر حلق أوليه الذهبي الصغير فوقي مثل هالة أُلقِيَت عليَّ من على ارتفاع ألف قدم. امتقع وجه تورتشور،

فتحوَّلَت نظارته إلى نصف قمر. يحوم فوقي وجه جانهيلدور المشرق مثل شمس كبيرة فوق أرض مضطربة. تقول شيئًا، لكني لا أستطيع سماعه. وبعد ذلك تظهر المزيد من الوجوه. هانا، هاربا، سيكريدر... وكلهم يقولون شيئًا ما، لكن لا يمكنني سَماعُه لأن الغرفة مليئة بالموسيقى.

لا أتعرَّف على الأغنية، لكن يمكنني أن ألتقط بعض الكلمات: "لكني لا أستطيع"[1]...

"ما هي الأغنية؟" تمكَّنتُ من الهمس.

"إنها الأغنية الفائزة، من صربيا. صربيا هي مَن فازت" تقول جانهيلدور.

"أوه؟ فازوا؟ أحسَنوا" أقول.

ثم لستُ مُتأكِّدًا ممَّا حدث بعد ذلك.

مكتبة
t.me/soramnqraa

(1) بالكرواتية في الأصل.

# نبذة عن الكتاب

دليـل القاتـل المحـترف لتنظيـف البيـوت هـي روايـة هيلجاسـون الوحيـدة المكتوبـة باللغـة الإنجليزيـة. نُـشرت ترجمـة المؤلـف الخاصـة في أيسـلندا في عـام 2008 وأصبحـت مـن أكـثر الكتـب مبيعًـا في ألمانيـا في عـام 2010.

في هـذه الروايـة نلقـي نظـرة عـلى العـالم مـن عدسـة قاتـل كـرواتي محـترف وسـاخر، أنهـى عمليـة قتـلٍ خرقـاءَ في نيويـورك، ثـم ضـلَّ طريقـه إلى أيسـلندا بعـد أن قتـل كاهِنًـا في المطـار واسـتولى عـلى هويَّتـه. وفي البـلاد البـاردة رغـم سـطوع الشـمس المتواصـل فيهـا ليـل نهـار، ينكشـف للقاتـل أن الكاهـن هـو في الحقيقـة مَـن قـضى عليـه، فإمَّـا أن يتخـلَّى توكسـيك عـن زُعافِـه القاتـل، أو يفعـل ذلـك كمحـترف.

# نبذة عن الكاتب

(...-1959)

بدأ هالجريمر هيلجاسون حياته الفنية كرسَّامٍ، حيث عرض أعماله في صالات العرض في نيويورك وباريس. ظهر لأوَّل مرَّة كروائيٍّ في عام 1990. ونال اهتمامًا دوليًّا عن روايته الثالثة "ريكياڤيك 101"، والتي وصفها الناقد تيم ساندلين: "تَخيَّلْ لو كان هنري ميللر قد كتب "مدار السرطان» تحت تأثير الكراك كوكايين بدلًا من النبيذ". تمَّ تحويله لاحقًا إلى فيلم من بطولة ڤيكتوريا أبريل.

في عام 2001 حصل هيلجاسون على جائزة أيسلندا الأدبية كأفضل مؤلِّفٍ في أيسلندا. وتمَّ ترشيحه مرتين لجائزة المجلس الاسكندنافي الأدبية: الأولى لـ "ريكياڤيك 101" في عام 1999، ثم "أرض العاصفة" في عام 2007 والتي أُنتجت فيلمًا في أوائل عام 2011.

وُلِد هالجريمر في ريكياڤيك عام 1959، وهو أب لثلاثة أطفال، ويقضي وقته بين ريكياڤيك وجزيرة هريسي.

# نبذة عن المترجم

كريـم كيـلاني، كاتـب وصحفـي ومترجـم مـصري، يعمـل بالمجـال الصحفـي والأدبي منـذ عـام 2009. قـام بترجمـة عـدة روايـات، منهـا: "عـلى السـبيل" لچـاك كـيرواك، و"مدينـة الـرب" لباولـو لينـس، و"أخـت فرويـد" لجوسـيه سميلفسـكي. كـما صـدَرَت لـه روايـة "الهـروب مـن الطريـق الدائـري" عـن دار "المحروسـة"، وكتـب لعَـددٍ مـن الصحـف والمواقـع والإذاعـات العربيـة.

telegram @soramnqraa

# دليل القاتل المحترف لتنظيف البيوت

**لكن... هل يصبح القاتل كاهنًا حقًا؟**

... "لقد كان لديَّ الوقت لإلقاء نظرة خاطفة على كل ثَقبٍ فتَحتُه في حياة الناس. في عقلي تتبَّعتُ كلَّ رصاصاتي في حناجر الناس، في رؤوس الناس وفي المستقيم. وأشعر بالأسف، فقد أطلقتها جميعًا في الاتجاه المعاكس؛ ممَّا جعلها تعود إلى مصدرها، لتفتح مائة ثَقبٍ في رأسي، فيتحوَّل إلى دُشٍّ تنساب منه كلُّ ذنوبي المميتة".

إنها كوميديا سوداء حول قاتل مافيا كرواتي هبط عن طريق الخطأ في أيسلندا، المجتمع الأكثر سلميَّةً ونسويَّةً في العالم، متنكرًا في زيِّ قسٍّ ومذيعٍ إنجيليٍّ أمريكي.

ISBN 978-977-313-916-2
9 789773 139162
مركز المحروسة
للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات